

...مقدمة...

ليتني أستطيع أن أتوقف عن حبي لها ، ليتني أستطيع أن أبعد ناظري عنها ..

في كل مرة أراها أمامي يرقص قلبي فرحاً برويتها ويخفق بجنون ..

أجل أحببتها وسمحت لقلبي بحبها ، أعلم بأن كل ما أفعله خاطئ ولكن ليس بيدي ، حبها تغلغل لأعمالي وأصبحت لا أستطيع رؤية امرأة غيرها ..

بالرغم من أنها زوجة ابني وبالرغم من أنها لربما ستصبح في المستقبل أمماً لأحفادي ، بالرغم من المواقف ومن التصدي الذي حصلت عليه منها ، بالرغم من خيانتني لزوجتي بعقلي وقلبي ، بالرغم من خيانتني لولدي الوحيد وبكري ، بالرغم من أنني لربما أخزب عليه حياته وفرحته ، بالرغم من أنني تخليت عن مبادئ وأخلاقي وشرقيتي ، بالرغم من كل شيء وأي شيء سأظل على حبها ، سأظل على عشقها ، سأظل على رائحتها ..

لا يهمني أحد ولا يهمني المجتمع ولا يهمني سائر البشر ، كل ما يهمني هو تلك الوردة النقية والبريئة ، تلك المرأة التي جعلتني كالخاتم في إصبعها من اللاشيء ، كل شيء أعشقه بها ، عيناها وجهها شفتاها جسدها شعرها قلبها عقلها برائتها سذاجتها كل شيء بها وأي شيء منها أنا مهووسٌ به ..

أعلم بأن كلامي جنوني وأعلم بأن ما اقترفه هو خطأ فادح وبأن ما أتفوه به هو جنون بحد ذاته ، وأعلم بأن وصولي إليها مستحيل ولكن لا أستطيع أن أتوقف عن حبها لحظة واحدة ..

لربما تعتبرون كلامي ليس جنون فقط وإنما هوس أو إدمان أو عشق لا أعلم ولكن الذي أعلمه هو أنني سأظل على حبها حتى وإن لم تكن لي ، حتى وإن لن أستطيع الحصول عليها ، حتى وإن لن يجوز أن تصبح على ذمتي ولكنني سأحبي وسأموت ولن أعلن انخلاعي عن عشقها أبداً ..

---

شهد : فتاة جميلة ولطيفة ، عمرها ثلاثة وعشرون عاماً ، مواصفاتها عادية ومثلها مثل أي فتاة ، بشرة حنطية مائلة للسمره وجذابة بشكلٍ خاطف للعقول ، فمها الصغير المرسوم باحترافية ، عيناها بلون العسل الصافي ، أنفها الدقيق والمناسب لوجهها ، شعرها البني الغامق والمموج والطويل نوعاً ما ، جسدها الممشوق والرشيح ، وطولها معقول بمعنى أنها ليست قصيرة جداً ولا طويلة أيضاً ، تعيش حياتها بشكلٍ طبيعي ولكن لا أعتقد بأنها ستعيش بشكلٍ طبيعي للأبد ، متخصصة في هندسة الديكور وتعشق مجالها كثيراً ..

تقوم بالتجهيز لحفل زفافها والذي سيكون عما قريب ، أجل ستتزوج ذلك الشاب الذي كان وما زال حبيب طفولتها وسيتحقق حلمها وأخيراً ..

زين : شابٌ وسيم وهادئ ، عمره أربعة وعشرون ، تخرج من كلية الطب منذ سنة أيضاً ، وهو يمارس مهنته في المستشفى الخاص كمرض مبدئاً وسيكمل الدكتوراه ليثبت نفسه ويصبح أمهر وأشهر جراح في البلاد ، مواصفاته هادئة جداً ، طويل القامة ، عيان سوداء ، رموش كثيفة ، شعر أسود وبتسريحة مميزة لا ينفك عن تغييرها لأنه يعلم بأنها تناسبه ، جسد مقبول ورياضي ، بشرته الخمرية ، أنفه المدبب ، شفتاه الممتلئة ، لحيته الخفيفة ، حسناً باختصار هو جميل وجذاب ..

أيضاً هو يكاد يطير من فرحته لأن حلمه سوف يتحقق وأخيراً وسوف تصبح شاهدة الصغيرة على ذمته ..

زياد : والد زين ، وبطلنا الأساسي في هذه القصة ، رجل ذو جاذبية خاصة ، عمره سبعة وأربعون عاماً ، لديه النفوذ والسلطة ، المال ، وسامته صارخة ، بالرغم من أنه رجل في أواخر الأربعينات ولكنه حقاً يمتلك شخصية جذابة ورجولة طاغية ، لديه جسد ضخم ورياضي ، النساء تتهاقن عليه ولكنه لا يبالي لأي واحدة منهن ، مسؤول عن جامعة إدارة الأعمال وهو الأمر النهائي بها ، يمتلك الكثير من الأموال ، إليكم مواصفاته ، عيناه باللون البني الغامق ، شعره الكثيف والمائل للبني قليلاً وبتسريحة مميزة وخاصة بعمره ، شفتاه المرسومة ، لحيته الخفيفة والتي تخطف الأنظار ، وقاره الذي يلفت النظر ، حقاً هو وسيم ولا نستطيع أن ننكر ذلك ..

يعيش بمنزله الكبير برفقة زوجته وابنه الوحيد والذي ليس لديه سواه ، زوجته تدعى (سلمى) وهي امرأة طيبة وهادئة ورزينة وتصغر زياد بعامين فقط ..

---

الساعة الثالثة صباحاً ..

لم ينام .. لم يستطع النوم ولم تغمض له عين .. لا يعلم لما هو الآن يشعر بحالة قهر .. انزعاج .. غير .. غيظ .. يشعر وكأن جبلاً يطبق فوق صدره .. يريد أن يراها .. لا يريد أن يبقيان معاً .. لا لا هو لن يكون بحالة جيدة إن ظل على تفكيره هذا .. لن يكون على مايرام أبداً ..

نظر للجانب الآخر ليرى زوجته نائمة بجانبه بعمق .. امتعض وتنهق بحنق لينهض بعنف ويهبط إلى الأسفل لكي يلجأ إلى ملاذه الوحيد ألا وهو الشرب ..

ساعة وساعتان إلى أن استيقظت سلمى زوجة زياد على صوت ارتطام بالأسفل جعلها تجفل بخوف .. نهضت فوراً لترتدي الروب الخاص بقميص النوم الطويل الذي ترتديه لتنهبط فوراً إلى الأسفل لترى ما يحدث .. هي

خافت كثيراً خصوصاً عندما لم ترى زياد بجانبها ظنت بأنه قد حدث له .. هبطت فوراً إلى الأسفل لترى زياد جالساً على الأريكة والزجاج متناثر حوله .. اقتربت منه بسرعة لتقول بصوتٍ خافتٍ وحاني :

..حبيبي مابك ما الذي حدث..

نظر لها ببرود ليضع يديه على رأسه ويغمض عينيه بقوة .. عقدت حاجبيها بخفة وهي خائفة عليه لتقول :  
..هل أنت مريض زياد أجبني مابك عزيزي ماذا افعل لك..

لمعت الفكرة برأسه وحاول جاهداً أن يخفي ابتسامته الخبيثة ليتصنع الألم ويقول :  
..اااه يا سلمى رأسي يؤلمني بشدة وأشعر بدوارٍ فظيع..

ابتلعت ريقها بخوف لتقول بقلق :

..حبيبي لا تقلق سأتصل بالطبيب لكي يأتي ويفحصك..

أرادت أن تنهض ليمسك يدها موقفاً إياها ليقول :

..اه انتظري أي طبيب سيأتي بهذا الوقت ، اتصلي بزين لكي يأتي وهو سيعطيني دواء ويرى مابي ااه أرجوك  
أسرع سلمى ألم رأسي لا يُحتمل..

حركت رأسها بإيجاب لتنهض فوراً وتهاتف ولدها والذي كان في رحلة تنزه هو وحبيبة قلبه وخطيبته شهد في منزل الريف .. لقد قررا أن يقضيان يوماً جميلاً فيه لذلك هما هناك منذ البارحة .. لقد انطلقا في الساعة التاسعة مساءً وقررا أن يعودان في اليوم التالي مساءً ولكن زياد لم تعجبه الفكرة نهائياً وظل طوال الليل بحالة قهر وغيره .. فهو يكره قرب زين من شهد يكره ارتباطهما .. يكره فكرة أنها ستصبح زوجة ابنه بعد عدة أيام .. يكره حبهما الجنوني لبعصهما .. يكره كل شيء يخص علاقتهما ويحبها هي يعشقها هي ولا يستطيع أن يتخيلها مع ولده الوحيد ..

يعلم جيداً كم أن زين يخاف على والده وكم انه حريص على صحته لذلك لمعت في رأسه تلك الفكرة الخبيثة لكي يأتي فوراً ويخرب عليهما نزهتهما الرائعة ..

ثواني وأنت سلمى إليه لتضع يدها على كتفه وتقول :

..أوه حبيبي لقد هاتفت زين كان نائماً وقد انتفض سريعاً وحدثني بأنه قادم فوراً هو وشهد..

ذلك زياد جبينه بأصابعه وهو مغمضاً عينيه ليقول بتعب كاذب :

..ااااه جيد أنه أت أشعر أن رأسي سينفجر ياسلمى..

عقدت حاجبيها بحزن لتقول :

..ليت الوجع بي ولا يكون بك ياروحي..

ابتسم بوهن ليمسك يدها ويقبلها .. ابتسمت له بحنية لتردف له :

..حبيبي هيا تعال لأساعدك كي تصعد إلى الغرفة وسيأتي زين في الحال..

حرك رأسه بإيجاب لتمسك يده وينهض معها ويتصنع التعب ويمشي برفقتها ببطئ إلى أن أوصلته إلى الغرفة وقامت بمساعدته لكي يتمدد على السرير وغطته جيداً ومن ثم هبطت إلى الأسفل لكي تلملم الزجاج المتناثر من الأرض ..

بينما بطلنا الخطير ما إن خرجت زوجته من الغرفة حتى ضحك بخبث وتنهد براحة منتظراً ابنه وحبيبة قلبه الصغيرة كما يسميها هو ..

بعد نصف ساعة من الوقت ..

وصل زين إلى المنزل وبرفته شهد ليتوجه بسرعة البرق إلى غرفة والده ويدخل عليه ليراه ممدد على السرير وينظر للاشيء بوهن وتعب .. اقترب من والده لينظر له بقلق ويقول :

..أبي مابك أخبرني ماذا حدث..

لم يجيبه بشيء .. أجابت عنه سلمى لتقول بقلق :

..بني لا أعلم مابه قال لي أن رأسه يؤلمه بشدة ويشعر بدوار..

مسح على رأس والده ليقول له بقلق :

..لا تقلق أبي سأعطيك حقنة مهدء وسترتاح عليها بإذن الله..

تحدث زياد بوهن :

..ااااه يابني رأسي يؤلمني كثيراً ، حتى أنني لا أقوى على النهوض ، كلما نهضت أشعر بدوار وغباش في عيني..

تحدث زين بقلق :

..حسناً أبي سلامتك كل شيء بخير لا تقلق..

أردف زين قائلاً لشهد ووالدته :

..أخرجاً كي أعطيه الحقنة..

اقتربت شهد من عمها لتبتسم له بارتباك وتقول بصوتها الناعم والذي يعشقه زياد :

..سلامتك عمي..

تحدث زياد بينه وبين نفسه :

..سلمك الله لي يا حبيبة قلب زياد وروحه..

حرك رأسه لها بوهن لتخرج سلمى وشهد من الغرفة بينما زين كان يجهز الحقنة ليقول :

..هيا أبي الحقنة جاهزة..

تنهد زياد بتعب ليستدير ويحدث نفسه :

..يا حبيبي سأخذ حقنة وأنا لا يؤلمني شيء أو ووف..

أعطاه الحقنة وانتهى ليقول زين :

..أوه ستنام وترتاح أبي وستستيقظ بكل نشاط وسيذهب الألم بإذن الله..

تمتم زياد :

..شكراً لك بني اااه..

تصنع الألم ليعقد زين حاجبيه بقلق ويقول :

..سلامتك أبي سلامتك..

ثواني وتحدث زياد بوهن وتعب :

..أوه بني أنا أسف لقد قطعت عليك تنزهك أنت وخطيبتك بمرضي لا تؤاخذني..

ابتسم زين بخفة ليمسك يد والده ويقبلها ليقول :  
.. لا عليك يا سيد زياد المهم أن تكون بأفضل حال..

ابتسم لابنه بامتنان ووهن طبعاً ولم يتحرك عنده عرق الندم بفعلته تجاه ابنه .. نهض زين لكي يخرج ولكن أوقفه صوت زياد قائلاً بسرعة :

..بني هل ستعودان إلى منزل الريف..

نظر لوالده باستغراب ومن ثم ابتسم ليقول :  
.. لا أبي لن نتركك ونذهب لنفرح وننبسط وأنت هنا مريض..

ابتسم له زياد بوهن ليخرج زين من الغرفة ويتنهد بقوة ويغمض عينيه وهو مبتسماً بانتصار ..

---

#### الساعة الرابعة مساءً

كان جالس في الصالة وهو يرتشف من كأسه بهدوء وبرود .. علم من زوجته أن زين وشهد قد خرجا للتسوق لإنهما يجهزان لحفل زفافهما والذي بقي عليه عدة أيام فقط .. طبعاً زين خرج منذ ثلاث ساعات وكان زياد مازال نائماً وقد اطمئن على والده ومن ثم خرج هو وخطيبته .. هذا يعني بأنه لربما اقترب موعد مجيئه من السوق هو وشهد ..

حسناً سأخبركم عن أمر هام بالنسبة للسيد زياد ألا وهو أنه يشرب كثيراً .. هو مدمن على الشرب حقاً ولا يستطيع أن يمر عليه يوم دون أن يشرب وينعم بهذا السم القاتل كما تحدثه زوجته .. لقد حاولت كثيراً سلمى أن تمنعه من الشرب ولكن كل محاولاتها باءت بالفشل .. وكلما تحدثت معه عن هذا الموضوع انتهى بهما المطاف بالصراخ والغضب من قبله ..

لا يعلم لما هو يصبح بحالة قهر كلما يجتمع زين بشهد .. لا يستطيع أن يفكر لمجرد لحظة أن ابنه سينزوج شهد ويعيشان حياة هادئة .. هو وللصراحة حاول زياد كثيراً أن يفشل بمخططاتهما ويفشل زواجهما طبعاً من دون أن يعلم بأن زياد وراء المصائب التي تحل عليهما .. ولكن ومع كل ذلك هما متمسكان ببعضهما ولا يستطيعان أن يفترقا ابداً مهما واجها من مشاكل .. حسناً السيد زياد يعرف شهد من قبل أن تصبح خطيبة ابنه وهو واقعا لها بشدة منذ زمن وكان ينوي أن يتزوجها بالسر على زوجته ولكن قرار زين بارتباطه بشهد جعل زياد بحالة قهر وغل في قلبه .. اعترض زياد كثيراً أن يخطبها وأن يتخدها ابنه زوجة له ولكن إصرار زين

عليها حال دون ذلك .. لم يترك قصة إلا وجعلها بهذه الفتاة من فقيرة إلى شعوره بأنها غير مهذبة إلى أنه يشعر أنها غير مكتملة وغير مناسبة لولده ولكن كل ذلك لم يؤثر على زين ..

طبعاً زين كان ينصحه ويحدثه بكل هدوء وكأنه الوالد الذي يريد مصلحة ابنه .. وكلما أخرج بالفتاة عيب صحح له ابنه وأعطاه العذر وأوجد له حلاً بها سريعاً ..

شهد كانت ومازالت حلم حياة زين .. كانت زمازالت عشقه الوحيد .. عشقه البريء .. عشق الطفولة والبراءة .. كانا في نفس المدرسة وهما أيضاً كانا يسكنان في نفس الحي .. كبرا سوياً وكبر حبهما معهما .. كانت شهد دائماً تأتي وتلعب مع زين أو زين يذهب ويلعب معها ..

عندما أصبحت شهد فتاة بالغة وأصبحت أجمل من ذي قبل هنا انتبه لها زياد وصار يتمناها له ويتخيلها بجواره دوماً .. من هنا بدأ حبه الكبير لها .. عشقه المقيم بها ..

أجل شهد كانت تلاحظ ردود أفعال من زياد وكانت ردود غريبة جداً ولكنها لم تكن تفكر ل لحظة بأنه سيؤذيها لأنها تعتبره كوالدها تماماً وتحترمه جداً ..

مرت ساعة كاملة إلى أن عاد زين وبرفقتة شهد .. ألقى التحية على والده ومن ثم والدته بينما زياد ما إن رأى شهد حتى أعطاهم نظرة مخيفة .. نظرة تحمل الغضب والغيط والغيرة .. لم تعلم مابه ولم تتجرأ أن تسأله أساساً هي لا تحدثه كثيراً وتتحاشى دائماً النظر إليه أو الحديث معه .. لأنها في الأونة الأخيرة بدأت تتعجب كثيراً من تصرفاته ونظراته وتفحصه لها أكثر من ماكان عليه قبل سنوات ..

الآن شهد في المطبخ تعد القهوة للجميع .. بينما زين وزياد وسلمى كانوا في الصالة .. ابتسمت سلمى لزين لتقول :

..ماذا جلبتما بني..

بادلها زين الابتسامة ليقول :

..أوه أومي لقد جلبنا ملابس وبقية الأغراض التي تنقصنا..

اتسعت ابتسامة سلمى لتقول :

..جيد بني هيا تعال وأرني الملابس هيا..

حرك رأسه بإيجاب لينهض مع والدته ويربها مع اشترى .. بينما زياد ابتسم ابتسامة جانبية ليتنهد ويعدل هندامه ويتوجه إلى المطبخ .. استند على الحائط وكتف يديه وابتسم ببرود وهو يتابعها كيف تحضر القهوة وتصبها بالفناجين .. محم لجذب انتباهها لتلتفت هي بفرع وتراه واقفاً بتلك الابتسامة التي لا تنم على خير أبداً .. تنهد بقوة ليصع يديه في جيوبه ويمشي بخطوات بطيئة باتجاهها ويقول بحزن مصطنع ظاهر عليه :

.. اه ياشهد مزال رأسي يؤلمني يا صغيرتي ماذا أفعل..

أنهى جملته تزامناً مع وقفته مقابلاً لها لتبتسم بتوتر وتبتلع ريقها وتقول :

..سلامتك عمي ، قل لزين أن يعطيك حقنة مهدء أخرى..

عقد حاجبيه بخفة ليقول :

..توء توء توء لا أريد حقنة ولا يلزمني حقنة أصلاً..

نظرت له بتوتر ليمرر يده على وجنتها ليردف لها بصوتٍ خافت :

..يلزمني من يريح قلبي المتعب يا صغيرتي..

ابتلعت ريقها بتوتر لتقول بخفوت :

..وكيف يرتاح قلبك عمي..

ابتسم بخفة ليقول :

..هي واحدة فقط من تستطيع أن تريح قلبي..

نظرت له ببراءة ممزوجة بالتوتر لتزيح يده عن وجنتها وتقول :

..ومن هي..

وما إن لامست يده حتى أغمض عينيه مستمتعاً بلمسة يدها الناعمة .. فتح عينيه ببطئ ليعض على شفتيه وينظر لها بعمق ومن ثم قال :

..أنتِ واللعة على كل شيءٍ من بعدكٍ .. ....

"صدودك وصلٌ وسُخطكِ رضاً

وجوركِ عدلٌ وبُعدكِ قربٌ"

---

ناظرته بعينان جاحظة ولم تستوعب كلامه .. حقاً كانت بحالة صدمة .. ابتلعت ريقها لتقول بتقطع :

..ما ماذا تقصد ع عمي..

ابتسم ابتسامة جانبية ليقول :

..كما سمعتي ياقلب عمك..

لم تعلم كيف ستجيبه .. هي أساساً لا تعلم مامقصده وما الذي يريده منها وما سر نظراته وتصرفاته الغريبة في الآونة الأخيرة .. كل ماتعلمه بأنها حقاً بدأت تخاف منه ومن تصرفاته .. ظل ينظر لها بكل جراءة وهو واضحاً يديه في جيوبه ليردف لها بمكر :

..مابها شهدي لما هي صامتة..

تحدثت بتقطع وهي تفرك بأصابعها :

..لا شيء عمي سأقدم القهوة قبل أن تبرد..

ابتسم وهي تمر بجانبه ليمسكها من معصمها ويقول بحاجب مرفوع :

..لا تهربي مني ياشهد فلنتحدث قليلاً..

ابتلعت ريقها بتوتر لتقول :

..بماذا سنتحدث..

ابتسم بخفة لينظرها بهيام ويتحدث بصوتٍ خافت وهو ينظر لعيناها مباشرة :

..بكمية عشقي لك..

جحظت عيناها وتسارعت أنفاسها لتعود خطوتان للوراء وهي غير مصدقة ماتسمعه منه .. ثواني من الهرج والمرج ليدخل عليهما زين وهو مبتسم ليرى شهد واقفة ومصدومة بينما والده ينظر له بابتسامة جانبية .. عقد حاجبيه باستغراب ليقول وهو يقترب من شهد :

..ماذا حدث أبي ومايها شهد لما هي بهذه الحالة..

ضحك زياد بخفة ليقول :

..أوه بني صدق من قال بأن المرأة بنصف عقل انظر لخطيبتك كيف تبدلت ملامحها فقط لأنني قلت لها بأنها أصبحت بدينة بعض الشيء..

ضحك زين ضحكة رنانة ليقول وهو يحاوط خصرها :

..أبي أنا أحبها كيفما كانت حتى لو أصبحت بدينة..

ابتسم زياد بمكر ليقول :

..أجل بني ولكنها لم تترك شيء لبعد الزواج ، فكما تعلم أن المرأة بعد الزواج يصبح جسدها ممتلئ أكثر..

أنهى جملته غامزاً ليكنتم زين ضحكته بينما شهد فهي حقاً مصدومة من كلامه .. كيف استطاع أن يغير مجرى الحديث كله في ثواني ويقنع ابنه بكلامه الكاذب .. تحدث زين بخفوت :

..أبي أرجوك لا تسمعها من هذا الحديث فهي تخاف من أمور الزواج ، أنا لم أصدق متى أفنعتها بفكرة زواجنا وإقامة حفل زفافنا قريباً..

همهم زياد بمكر ليقول :

..بيدو بأن خبراتها قليلة جداً..

عض زين على شفته وهو يكتم ضحكته ليقول مغيراً مجرى الحديث :

..إلى حسناً شهدي هيا اجلي القهوة وتعالى ، هيا تفضل أبي..

حرك زياد رأسه بإيجاب ليخرج زين من المطبخ ويتقدم زياد من شهد ويقول :

..إن كانت خبراتك قليلة حقاً فتعالى لكي أعلمك بعض الأمور الزوجية صغيرتي..

عقدت حاجبيها باستغراب لتقول ببراءة :

..أمور ماذا عمي حقاً لا أفهم عليك شيء..

ابتسم بسخرية ليقول :

..كم أنت بريئة يا شهد ، عموماً سنكمل حديثنا لاحقاً..

أنهى جملته غامزاً لها ليخرج من المطبخ بينما شهد تنفست الصعداء لتحمل القهوة وتلحقه إلى الصالة بحيث زين ووالده ووالدته موجودين ..

حل المساء واجتمعوا على مائدة الطعام ليأكل كل منهم بصمت وهناك عينا تراقب شهد بكل حركاتها .. لم ينزل عينيه من عليها ولم يدعها تهنأ في لقمة فهي قد لاحظت نظراته لذلك شعرت بالتوتر والحرج ولم تستطع أن تكمل طعامها لذلك نهضت فوراً وأقنعتهم بأنها شبعت ..

جلست في الصالة وبعد قليل من الوقت انضموا إليها وما إن رأت زياد قد جلس مقابلاً لها حتى توترت وحدثت زين بخفوت :

..هيا زين ألا تريد أن توصلني..

نظر زين لعيناها بحب ليقول :

..لما لا تظلين وقتاً أطول يا قلب زين..

ابتسمت بخجل لتقول :

..لا أستطيع فقد تأخر الوقت والداي ينتظراني في المنزل..

همهم لها ليتنهد ويقول لوالديه :

..أبي أمي سأذهب لكي أوصل شهد إلى بيتها فهي قد تأخرت..

تحدث زياد بسرعة :

..أوه صغيرتي شهد لماذا ستذهبين هل مللتي منا ياترى..

ابتلعت ريقها بتوتر لتقول :

..لا عمي ولكن والداي ينتظراني في المنزل..

ابتسم ابتسامة جانبية ليقول :

..لما لا تنامين عندنا اليوم ياشهد ، سنفرح بكِ كثيراً..

تحدث زين بحماس :

..أجل أجل شهدي ابقِي اليوم هنا وأنا سأقنع والديكِ لا تقلقي..

تدخلت سلمى في الحديث لتقول بابتسامة عذبة :

..أجل عزيزتي ابقِي هنا اليوم ، غرفتكِ جاهزة وستنامين وترتاحين ولن يزعجكِ أحد..

ابتسم زياد ليقول بسرهِ :

..أجل صدقاً لن يزعجها أحدٌ غيري ، سنستمتع كثيراً معاً ياشهدِي..

انتشله من شروده صوت زين ليقول :

..أبي مابك انا أحدثك..

همهم له زياد ليردِّف له زين :

..كنت أقول لك بأن شهد وافقت على بقائها هنا اليوم..

ابتسم بخفة ليقول :

..هذا جيد صغيرتي وهذه فرصة جيدة كي تظلان سوياً أنتِ وزين..

حدث نفسه بمكر :

..أقصد أنا وأنتِ..

ابتسمت له بتوتر وأخفضت رأسها وبدأت تلعب بأصابعها بينما زين ابتسم بخفة وأيضاً سلمى ابتسمت بود ولكن ابتسامة زياد كانت مختلفة جداً وماكرة وتفكيره أيضاً مختلف ..

الساعة الثانية عشر ليلاً :

كان واقفاً بالشرفة وهو مبتسم بمكر ويرتشف من كأسه بين الحين والآخر .. أجل أجل لقد افتعل كارثة هذا الرجل فهو قد وضع منوم لزوجته وابنه في الشاي ماعداً شهد لم يضع لها شيء فهو يريد لها مستيقظة لينفذ ماينوي عليه .. ابتسم باتساع ليتنهد بقوة ويدخل إلى غرفته ويتأكد من نوم زوجته .. اقترب منها بحذر لينظر لها بامعان ومن ابتسم لأنها حقاً غارقة في النوم .. نفخ خديه لينهض من جانبها ويقف أمام المرأة وهو يعدل من هيئته ويضع العطور ومن ثم ابتسم بمكر وخرج من غرفته ليتوجه نحو غرفة ابنه وأيضاً وجده غارقاً بالنوم .. توجه بخطواتٍ بطيئة نحو غرفتها ليترك على بابها طرقات خفيفة وهو مستندا بكتفه على الحائط ومنتظراً ردها .. ثواني وفتحت الباب لتظهر أمامه وتسود عينيه من هذا المنظر البريء الذي أمامه .. فشهد كانت ترتدي قميص نوم بأكمام ويصل إلى ركبتيها .. عقدت حاجبها بخفة وتملكها التوتر لتقول بخفوت :

..عمي هل حدث شيء..

نظر لها نظرة غريبة جعلتها تجفل منه ليقول بصوتٍ عميق :

..حدث الكثير من الأشياء صغيرتي..

عقدت حاجبها بخفة ولم تفهم مقصده ليرد لها بمكر :

..أوه كيف يتركك زين وينام هذا الأحمق ، توء توء ليس له حق أن يترك كل هذا الجمال ويخذ للنوم..

ابتلعت ريقها لتقول بتقطع :

..إلى هو كان متعب لذلك خلد للنوم وأنا أيضاً أريد أن أنام لإنني متعبة..

ابتسم بمكر ليتقدم خطوة منها ويقول بهمس :

..إذا سأزِيلُ تعبكِ نهائياً صغيرتي..

تراجعت خطوة للوراء لتقول :

..ماذا تقصد..

تحدثت بخفوت وهو مندفعاً نحوها :

..ستعلمين الآن يا صغيرة..

أنهى كلمته ودفعها للداخل ومن ثم دخل ليغلق الباب خلفه ويقفله لتبدأ شهد بالصراخ والبكاء بينما زياد متجاهلاً صرخاتها وتوسلاتها ..

صباح اليوم التالي استيقظ زين لينظر بشرود إلى السقف وهو يتذكر ماذا حدث بالأمس .. آخر ما كان يتذكره هو وجود شهد بجانبه وهي تحدثه بصوتها الناعم :

..حسناً حبيبي هيا نم تصبح على خير..

أجل هو تذكر كيف أنه شعر بالنعاس فجأة ولم يعد يستطيع أن يفتح عيناه حتى لذلك صعد بخطوات غير متزنة إلى غرفته وقد لحقت به شهد لترى ما به .. لم يجيبها سوى بأنه متعب ويريد النوم وهي لم تقل له سوى تلك الجملة وقد خلعت له حذائه وقامت بتغطيته جيداً وخرجت من الغرفة ومن ثم توجهت إلى غرفتها فوراً ..

تنهد بقوة لينهض من فراشه ويفعل روتينه اليومي ويرتدي ملابسه ليخرج من غرفته متوجهاً إلى الأسفل ظناً منه بأن شهد موجودة في الأسفل مع والديه فالساعة قد قاربت على الحادية عشر صباحاً ..

ألقي تحية الصباح على والديه وجلس بينهما ليسأل عن شهد وتجيبه سلمى :

..عندما استيقظت لم أجدها في غرفتها ، حاولت إيقاظك ولكنك لم تستيقظ ولكنني هاتفتها ولم تجبني لذلك هاتفته والدتها وقالت لي بأنها عادت منذ الصباح الباكر إلى المنزل ودخلت إلى غرفتها فوراً ، أردت أن أحدثها ولكنها قالت لي بأنها نائمة..

تعجب زين من تغيرها المفاجئ وخروجها من المنزل منذ الصباح الباكر .. لم ينتظر أن يطرح التخمينات ليصل إلى جواب بل نهض وتوجه إلى منزلها بسرعة البرق ليعلم ما سر تغيرها هذا ....

"كالقدس أحلامنا طاهرة .. لكنها مُحتملةٌ من قِبَلِ واقعٍ مَرير"

---

كانت جالسة في غرفتها وعلى سريرها تضم ركبتيها وشاردة الذهن باللذي حدث معها في الليلة الماضية وباللذي خرج من عمها .. عمها الذي تعتبره كوالدها تماماً .. هي الآن أصبحت في موضع خطر جداً .. منذ مدة وهي تلاحظ تصرفاته الغريبة ولكنها كانت تتجاهله دوماً ولا تضع في بالها .. لأنها وببساطة لم تكن لتتوقع أن يكون عمها بهذا الشكل ..

عينها دامعة ولم تكف عن البكاء منذ أن أتت .. لا تعلم أيراها رخيصة مثلاً لكي يحاول التقرب منها والتصرف معها بذلك الشكل أم أنه مريض أم ماذا في عقله ؟ ..

أسئلة كثيرة كانت تدور في عقلها ولكتها لم تجد أي أجوبة لها .. لم تنسى ماحدث ولم تنسى أي كلمة من الكلام الذي قاله لها أبداً .. أرجعت برأسها للخلف وعادت قليلاً بذاكرتها للوراء :

: Flash back

يُنَظَرُهَا بِعَيْنَانِ هَائِمَةٍ .. نَظَرَاتٌ هَائِمَةٌ وَشَهْوَانِيَةٌ بِنَفْسِ الْوَقْتِ .. يَرِيدُهَا صَدَقًا يَرِيدُهَا .. هَذِهِ الصَّغِيرَةُ تَقُودُهُ لِلْجَنُونِ مِنْذُ زَمَنٍ .. لَا أَخْلَاقَهُ وَلَا رَقِيهِ وَلَا عَمْرَهُ وَلَا مَرْكَزَهُ يَمْنَعُونَهُ عَنِ التَّصَرُّفِ بِهَذَا الشَّكْلِ .. ضَرْبَ بَأْفِكَارِهِ يَعْزِضُ الْحَائِطَ لِيَحَاوِلَ التَّقَرُّبَ مِنْهَا بَيْنَمَا هِيَ تَنَظَرُهُ بِفَزَعٍ وَخَوْفٍ وَلَا تَقْوَى عَلَى الْحَدِيثِ مِنْ شِدَّةِ صَدْمَتِهَا بِتَصَرُّفِهِ وَنَظَرَاتِهِ لَهَا ..

اتضح له أنه يحبها لدرجة الهوس .. يحبها بجنون ويهيم بظلمتها .. هي أمله الوحيد بهذه الحياة ..

خوفها منه لم يضايقه بل على العكس تلك النظرات الخائفة التي كانت ترسلها له لم تزيده بها إلا حباً ورغبة بها وبجسدها الصغير ..

لا يعتبر أن حبه لها شهواني بل هو يريد أن يشعر بها يريد امتلاكها .. الاستيلاء عليها .. الحفاظ عليها وتخبئتها بقلبه .. نبض روحه هي ..

ابتسم بمكر عندما هبطت دموعها لتقول له ببكاء وخوف :

.. عمي ما بك ما الذي يحدث معك ، لما أنت تقترب مني هكذا ، أنت تخيفني ..

اتسعت ابتسامته الماكرة ليدفعها ويحاصرها بالحائط ويضع كلتا يديه محاصراً إياها ليقول بهمس :

.. شهدي صغبرتي لا تخافي مني ، إن سلمتي نفسك لي ولم تقاوميني ستخرجين بأقل الأضرار ها مارأيك ..

جحظت عيناها وحاولت أن تفهم كلامه لتقول بخوف :

.. ما ماذا تقول أنت لم أفهم ماذا يعني أن أسلمك نفسي أنت ماذا تريد مني ..

مرر يده على وجنتها الطرية ليقول :

.. أنا أريد أن أشعرك بالسعادة ، أريدك أن تطيري وتحلقين معي بالسماء ، ستستمتعين معي كثيراً حبيبتي لا تخافي ..

أبعده عنها بعنف لتصرخ به قائلة :

..أنت أنت ماذا تقول ، أنا خطيبة ابنك وسأصبح له بعد عدة أيام ، سأصبح زوجته كيف تتحدث معي هكذا ها ..

ابتسم بمكر ليمسكها من معصمها ويقول بهمس حاد :

..وهذا ما أرمي إليه صغيرتي ، سأجعلك ملكي كي لا تتزوجين من زين وتصبحين على ذمته ، ستصبحين لي أنا فقط هل تفهمين..

صرخ بأخر جملته لتصرخ هي بالمقابل وتحاول إبعاده عنها .. لا تعلم ما به .. كل ماتدركه الآن أنه هو سيء جداً .. مختل .. رجل نظرته شهوانية فقط .. لربما يشعر بالنقص وهذا ماجعل منه حيوان بل أكثر .. سترت ظاهر وجهها بباطن كفيها وازداد نحيبها أكثر فأكثر وهي تحاول إبعاده عنها ..

سوداويته صنعت منه دكتاوترياً بأسأ ورجل حيواني ذو شهوة لا تقاوم .. تظن بأنه يريد أن يقطفها كوردة طرية ويشتمها وفي الحال يدوسها بقدمه النجسة ..

أمسكها من رسغها وشده إليه ليحاوط خصرها بيده الأخرى ويقرب ليقبلها بقذارة .. واللعنة على هذا الطعم .. هذا الشهد الذي بين يديه فعلاً كالشهد ..

صراخ .. توسل .. طعنات .. أصوات قبل مقززة .. مشهد افتراس حيواني مخزي .. نهضت بعد أن ركفته بقدمها على منطقتة ليتأوه بألم وتبتعد عنه هي لتلتصق بالحائط وتنظر له بفزع وتبصق عليه بصقات أظهر من وحل قذراته ..

ظل ينظر لها بحدة ونظراته لا تتم على خير ليبتسم بشر ويحرك رأسه موافقاً بينما هي كانت تناظره بفزع لتجول بنظرها بأرجاء الغرفة وإذ بها ترى مقص أمام المرأة .. أمسكته لترفعه في وجهه وتحاول إخافته .. لم يحرك ساكناً ولم يأتي بأي حركة سوى أنه ظل يلهث ويبتسم بشر وهو يتفرسها بنظراته .. تحدثت هي بحدة ممزوجة بالخوف :

..افتح لي الباب..

ضحك بقوة لينهض ويتوجه ناحيتها بينما هي تعود للخلف إلى أن التصقت بالحائط .. اقترب منها لترفع المقص بوجهه وتدفع يدها ناحيته لتجرحه به .. أمسك يدها الصغيرة وضغط عليها لتصرخ هي بألم وترخي قبصتها ويقع المقص من يدها .. أمسك بقبصتها الثانية ورفعها للأعلى ليقول بهمس حاد ونظراته القذرة تتفرسها :

..سأتركك الآن ياشهد ولكن إعلمي بأنك لن تكوني لغيري ، وإن حدث وتزوجتي بزین ستكونين لي بالحرام..

ابتسم في آخر جملته بمكر ليدفن وجهه برقيبتها ويطلع قبلا متفرقة ورطبة على رقيبتها بينما هي بدأت بالبكاء والنحيب والتوسل به أن يبتعد عنها .. تشعر بروحها تسحب منها بالبطئ كلما وضع شفاهه على رقيبتها .. تشعر بالاشمزاز والتعريف منه ..

ابتعد عنها لينظر لها وهو مبتسماً بوهن ليقول بهمس :

.. ابقى شرسة كما أنتِ عندما أحصل عليكِ فأنا أعشق ذلك كثيراً يا صغيرة ..

ابتسم بمكر ليردف لها :

.. لم أفقد رجولتي اطمئني ، سأقوم بالواجب عندما تكونين بين يدي لا تقلقي ..

جحظت عيناها لتكز على أسنانها وتقول بحدة :

.. أيها العجوز المقرف أنا بعمر ابنتك أنا خطيبة ابنك وسأصبح زوجته ، أفق أفق على نفسك حرام عليك ماتفعله بي وبفلسك ، أنت مقرف ومقرز وأنا أكرهك وأكرهك جداً ..

أنهت جملتها بصراخ ليضحك هو بصخب ويقول ضاحكاً :

.. لا يهمني ما تشعرين به تجاهي المهم أنني أنتفسك أتفهمين ..

غمز لها في آخر جملته وطبع قبلة صغيرة على وجنتها ليبعد عنها ويخرج المفتاح من جيبه ويفتح الباب ومن ثم يخرج من الغرفة بأكملها .. لم تعلم إلى أين توجه ولا يهتما أصلاً فليذهب للجحيم هذا العجوز الخرف ..

شهد .. الصغيرة شهد .. لم تكن لتستوعب ماحدث وماخرج منه .. ظلت جامدة وعيناها تهبط بجمود لتترنج وتجلس على الأرض وتبدأ بالبكاء بصمت وهي تنظر للأمام بجمود .. ظلت تبكي لمدة طويلة إلى أن طلع الصباح .. لم تتم ولم تفعل شيء سوى البكاء ..

نهضت لتغير ثيابها وتخرج من المنزل متوجهة إلى منزلها والذي لا يبعد كثيراً عن منزل زياد .. دخلت فوراً إلى المنزل لتتوجه إلى غرفتها ومن ثم إلى الحمام الملحق بغرفتها الهادئة والمرتبطة متجاهلة نداءات والدتها لها .. خلعت ثيابها بعنف وفتحت صنوبر المياه لتندفق المياه على جسدها البريئ والصغير .. تبكي بحرقة كلما تذكرت قبلاته ولمساته ونظراته وكلماته .. تفرك بجسدها وتملئ الكثير من الصابون والشامبو بيدها وتضعها على جسدها وهي تنظف جسدها من قذارته ..

جسدها أصبح أحمر من شدة الفرك بالصابون .. تريد أن تطهر جسدها وتزيل لمساته وقبلاته ..

خرجت من الحمام بعد ساعة وهي تلف المنشفة حول جسدها .. جلست على السرير وعيناها حمراء من كثرة البكاء .. تفكر ما الذي ستفعله الآن .. ما الذي ستقوله لزين عندما يسألها عن لما رحلت من الصباح الباكر ..

لم تقبل أن تحدث والدتها ولم تتفوه معها بحرف فقط ظلت صامتة وطلبت منها الخروج لتدعها تنام وترتاح .. تمددت على السرير وهي لم ترتدي ثيابها بعد لتنتهد بحرقة وتحاول نسيان ماحدث والتفكير بشأن زين فقط ..

... End flash back

عند الساعة الثانية عشر ظهراً توجه زين بسرعة البرق إلى منزل شهد ليرى مابها .. دخل على والدتها ليسألها عن حالها ولكنها لم تجيبه بشيء لأن شهد لم تتفوه بحرف .. دخل إلى غرفتها ليراها ممددة على السرير وهي تغط في نوم عميق والمنشفة حول جسدها .. عقد حاجبيه بخفة ليتوجه ناحيتها ويجلس أمامها على السرير ويمرر يده على وجنتها بخفة ..

شعرت بيد دافنة وضعت على وجنتها لتهمهم وتفتح عينيها ببطئ وترى زين أمامها .. ظلت تنظر له بشرود بعد أن استوعبت كل شيء وعادت لها الأحداث وأيضاً ظل زين يناظرها بقلق ليهمس لها :

..شهدي ما بك..

لم تتطرق بحرف بل ظلت تنظر له بعينان دامعة وواهنة ليقرب منها ببطئ ويلصق شفثيه بشفتيها الوردية .. قبلها بهدوء وبطريقة أذابت قلبها لتبادله قبلته بهدوء مماثل وبخبرة قليلة منها وفعة بريئة ..

ابتعد عنها بعد ثواني ليبتسم لها بخفة ويمرر إبهامه على شفثيها ويقول بهمس :

..مابها حبيبتي الصغيرة..

ترقرقت عيناها بالدموع لتقول بصوت ناعم وبكاء :

..لا تتركني زيني ، أنا أحبك كثيراً..

عقد حاجبيه ليقول :

..روحي أنتِ ، أموت ولا أتركك ياقلبي..

ابتسمت من بين دموعها لتحتضنه بقوة ..

بعد قليل من الوقت وشهد هادئة ولا تتفوه بحرف .. لقد طرح عليها عدة أسئلة وسألها لما خرجت وعادت للمنزل ولكنها لم تجيبه بكلمة .. فقط ظلت نائمة بحضنه ومستمتعة براحته التي تعشقها ودفئه ..

حممت لتكسر الصمت وتقول :

..زيني..

نظر لها بشبح ابتسامة لينقر بسبابته على أنفها ويقول :

..ماذا تريدين قطة..

ابتسمت بخفة لتقول :

..دعنا نتزوج الآن..

صدم من جملتها وظل يناظرها بصدمة إلى أن تحدث :

..لم أفهم شهدي..

ابتلعت ريقها لتقول :

..لما لا نتزوج الآن زيني..

ظل ينظر لها بتعجب وهو يحاول استيعاب كلامها إلى تنهد بعدم راحة وقال :

..انهضي وارتي ثيابك ، سأنتظرك في الخارج..

حركت رأسها موافقة ونهضت لترتدي ثيابها وترتب نفسها بينما هو خرج من الغرفة وظل منتظراً إياها بالصالة .. بعد قليل من الوقت خرجت شهد وهي مرتدية فستان أسود طويل يصل إلى كاحلها ودون أكمام تاركة لشعرها العنان ولم تضع أي من مساحيق التجميل على وجهها .. ابتسم زين عندما رآها لينهض ويمسك بيدها ويستأذنان من والدة شهد ويخرجان إلى وجهة لا تعلمها شهد ..

في المساء وعند الساعة التاسعة .. عاد زين إلى المنزل ليجد والده ووالدته في الصالة .. طبعاً زياد كعادته كأس النبيذ لا ينزل من يده ووالدته كانت جالسة تتابع التلفاز وكل منهما صامت لا يحدث الآخر .. تنهد زين بعد أن ألقى التحية عليهما ليجلس ويصمت لفترة قصيرة ..

سألته والدته لما شهد خرجت من الصباح الباكر ولم يجيها بشيء .. نظر له زياد ببرود ليقول :  
..ها ماذا لديك..

استجمع جرأته وزفر ليقول :

..لقد عقدنا القران أنا وشهد اليوم.. ....

"أيها الرجل ما نصيبك منها وما جصتها منك !..لاشيء.. فرااااغ بينكما لن يملأه سواها و إلا فالتنافر بينكما  
قائم إلى يوم الدين"

---

قد كنت أرجو وصلكم فظللث منقطع الرجاء

أنت التي وكلت عيني بالسهاد وبالبكاء

إنّ الهوى لو كان ينفذ فيه حكمي أو قضائي

لطلبته وجمعته من كل أرض أو سماء

وجع .. قهر .. خيبة .. شعر بالخيبة .. كخيبة ذلك السجين الذي سمحوا له بزيارة واحدة في السنة ولم يأتيه أحد  
.. ماذا يفعل الآن ؟.. لقد ضاع حلمه .. ضاع .. ذهب مع الرياح .. لم يعد ينفع شيء .. لم تعد تنفع الخطط  
الخبیثة والمؤامرات والاتفاقات .. كل شيء انتهى .. أصبحت على ذمة ابنه .. لم يعد يستطيع اتخاذها زوجة له  
.. لا يستطيع أبداً حتى لو تطلقت منه ..

أجل لا يستطيع .. ولكنه يستطيع أن يتخذها له كعاهرة أو كعشيقة أو كفتاة ليل أي شيء .. لا لا .. ليس زياد  
الذي يخسر حرباً قد دخلها .. وإن أصبحت زوجة ابنه فوالله لن يدعها تنهأ بهذه الزيجة .. حسناً هو يعلم بأنها  
هي من طلبت من زين أن يعقدان القران .. هه بالتأكيد هي وراء ذلك .. لا بأس ياشهد لا بأس ..

لا أخلاق .. لا منطق .. لا وعي .. لا تربية .. ولا هيبة ولا وقار ولا مجتمع .. لااااا شيء .. فقط شهد .. شهد  
وطريقة اتخاذه لها .. بالأدب أو بالإكراه ستكون له .. هه ماذا سيحدث أسوء من أنه سيسعى جاهداً لكي يطلقها  
من ابنه ويتخذها عشيقه له .. هذا أبسط شيء سيفعله .. فقط هي تنتظر لترى ما اللعنة التي ستحل عليها فقط  
لإنها وضعت رأسها برأسه ..

الرغبة .. العشق .. الهوس .. كل هذا سيدفعه لفعل أشياء جنونية وبغيضة ودينئة .. ليس لأنها تحدثه ولم تسمع منه وتكون له لا لا .. ولكن لأنه يعشقها .. لأنه متيم بها .. هذه الفتاة التي فعلت به ما لم تستطيع سيدة سيدتها فعله بزياد ..

لربما أصبح يريد الانتقام ولربما أصبح يريد أخذ حقه منها ولكن دافعه الأساسي لافتعال المشاكل بالأيام القادمة هو عشقه لها وحرقة قلبه على خسارتها وخذلانه بسبب عدم قدرته على الزواج منها ..

بطلنا الخطير زياد هو فعلاً يستطع إخفاء ردود أفعاله أياً كانت وراء بروده .. لم يحرك ساكناً عندما سمع بكلام ابنه .. أجل لقد سرح لمدة وهو يتخيل ما الذي ممكن أن يفعله بها وكيف سيبدأ من الآن فصاعداً بجلب المشاكل لها .. لكنه لم يفعل ولم يشتم ولم يصرخ ولم يفعل أي شيء سوى الإماء بابتسامة بسيطة لابنه .. لم يناقشه ولم يحدثه ..

لقد توقع زين أن يغضب والده أو أن يبدي ردة فعل لا تعجبه ولكنه تعجب جداً من هدوءه وعدم التفوه بحرف .. سلمى فقط هي من بدأت بمعاتبته بشكل هادئ بقولها أنه كان من المفترض أن ينتظر ليوم الزفاف ومن هذا الكلام ولكن زين كان قد حدثها بهدوء وبرر لها فعلته بأنه لم يفعل شيء خاطئ ..

نهض زياد متوجهاً إلى غرفته .. دخل إلى الغرفة ليغلق الباب ورائه بقوة .. توجه إلى المرأة ليسند يديه وينظر إلى صورته بانعكاس المرأة وهو يبتسم بشر .. اتسعت ابتسامته الشريرة ليحدث نفسه قائلاً :

..حسناً يا صغيرتي أنتِ من فتحتي أبواب جهنم على نفسك ، أذف عمري كله لأقضي ليلة واحدة معك ومن ثم أموت والله أقبل ، هه انتظري الآتي مني يا حلوتي وأعدك بأنك ستكونين بين يدي..

تنهد بعمق ليمسك بهاتفه ويطلب رقمها .. اتصل بها مرة واثنان وثلاثة ولم تجيبه ..

في أثنائها كانت شهد تسمع الكثير من التهزيئات من والديها بسبب تلك الخطوة التي أقدمت عليها هي وزين .. في الحقيقة لم يفرق معها تهزيئاتهم وصراخهم عليها بل ظلت صامتة ولم تنفوه بحرف ..

بعد أن ملت من كثرة الصراخ تنهدت بضيق لتنهض وتتوجه إلى غرفتها .. دخلت وجلست على سريرها لتمسك بهاتفها وإذ بها ترى عدة مكالمات من زياد .. بدأ صدرها يعلو ويهبط من الخوف .. مؤكداً بأنه اتصل عليها لكي يبدأ بالصراخ والتهزيئ والشتم ..

جفلت عندما رأت مكالمات هاتفية جارية منه لتبتلع ريقها بخوف وتجيب بعد ثواني بتردد .. أتاها صوت ضحكة رنانة خفيفة لتبتلع ريقها بتوتر وتقول :

..ما ماذا تريد مني..

ابتسم زياد بمكر ليقول :

..لقد فعلتي ما أكرهه ياشهد وأنتِ سترين مني ما تكرهينه أيضاً في الأيام القادمة..

عضت على شفتها السفلى لتقول من بعدها بتوتر :

..ماذا تقصد..

اتسعت ابتسامته ليقول :

..لقد عُقد القران هذا صحيح ولكن حفل الزفاف لم يتم بعد والناس لا تعلم بأنك أنتِ وزين قد عقدتما القران لذلك لا تفرحي كثيراً صغيرتي..

جحظت عيناها ولم تتحدث ليرد لها قائلاً :

..وحتى إن أقيم حفل الزفاف أيضاً لن تهنئين بزواجك من زين ياشهد ، باختصارااا ستكونين لي بالحرام كما قلت لك في الأمس أتذكرين..

شجعت نفسها لتقول بحدة ممزوجة بتوتر :

..إفعل ما شئت لا يهمني ، أنا الآن أصبحت زوجة ابنك ولن تستطيع فعل شيء لي ، زين لن يتركني أبداً لذلك أفق على نفسك واخجل من نفسك ومن تصرفاتك الصبيانية التي تفعلها ودعني وشأني..

احتدت نظرتة ليقول بصوت هامس حاد :

..تصرفات صبيانية قلتي لي ها ، وعشقي لك تسمينه تصرفات صبيانية ، حسناً ياشهد لك هذا ولكن اعلمي جيداً بأنك حالما تدخلين إلى منزلي وأنتِ زوجة ابني سفتح عليك أبواب جهنم ، سأجعلك تتمنين لو لم تقابلين زين أو تكونين زوجته..

أنهى جملتها المتوعدة لها ليغلق الخط بوجهها ويرمي الهاتف بعرض الحائط .. نظر للاشيء بحدة وتوعد وهو يقسم على أنه سيكون كابوسها من الآن فصاعداً ..

بينما شهد فهي حقاً قد خافت منه ومن كلامه .. تعلم جيداً بأنه كل كلمة قالها لها فهو يعنيها .. ف الذي يحاول الاعتداء على خطيبة ابنه يجعل حياة زوجة ابنه جحيم ولا شك في ذلك .. ولكن ومع كل هذا ستجازف .. ستكون لزين .. ستحافظ على نفسها وتكون قوية ولن تهابه أبداً ..

تم تحديد حفل زفاف زين وشهد ألا وهو بعد عشرة أيام بالضبط .. زياد لم يعطي ابنه أية أهمية ولم يتحدث معه بشيء .. فقط يقف بعيداً ويتابع كل شيء بصمت مبتسماً بمكر لأنه هو من سيربح هذه الحرب وليست تلك الصغيرة التي تدعى الشجاعة أمام بطلنا الخطير ..

لم يراها نهائياً طيلة هذه الفترة .. في الواقع هي التي لم ترغب برؤيته لأنها كانت خائفة من مواجهته .. خائفة من أن يستغل الفرصة ويفتعل بها أية مصيبة .. لذلك فضلت الابتعاد كلياً عنه وعن منزله ريثما تتزوج هي وزين ..

لقد حاولت إقناع زين بأن يسكنان بمنزل بمفردهما ولكن زين اعترض ولم يحبذ فكرة الابتعاد عن والديه .. فهو الولد الوحيد لوالديه وشيء طبيعي أنه عندما يتزوج سيسكن هو وزوجته عند والديه ولن يتركهما أبداً .. حسناً يا لك من طيب القلب وساذج وأحمق يازين ..

قبل خمسة أيام من حفل الزفاف طلبت السيدة سلمى من ابنها أن يجلب شهد لكي تتناول الغداء معهم ولقد رآها زين فكرة جيدة علماً بأنها لها وقت طويل لم تقم بزيارتهم .. وطبعاً السيد زياد رآها فكرة رائعة أن تأتي شهد ويراهما لأنه حقاً اشتاق لرؤيتها بعيداً عن كل شيء ..

لم تقبل شهد دعوة الغداء في الأول ولكن زين أصرّ عليها أن تأتي وهي أخيراً استسلمت وتوجهت برفقته إلى منزلهم ولكنها كانت واضعة يدها الى قلبها مخافة من زياد وقررت أنها ستظل ملتصقة بزين ولن تفارقه أبداً مخافة من زياد وأفعاله معها ..

كانت شهد جالسة برفقة زين وسلمى فقط .. زياد لم يكن جالساً معهم فقد كان يخطط ويستعين بعدة أشخاص من أجل أفعاله الدنيئة القادمة .. ولكنه انضم إليهم فيما بعد ودخل عليهم بابتسامة خفيفة وألقى التحية على شهد بابتسامة مستفزة جعلتها ترتعد أوصالها من هذه الابتسامة وهذا الهدوء والبرود الذي هو به ..

جلس مقابلاً لها ووضع قدم فوق الأخرى وهو مبتسماً لها بمكر .. لقد أزعجها حقاً بنظراته وبحركاته وبنظراته الخبيثة .. كان زين منشغلاً بالتحدث مع صديقه على الهاتف بينما سلمى كانت تحضر الغداء ..

بدأ زياد ينظر لها بخبث وهو يعرض على شفته السفلى بينما هي تحاول تجاهله ولكنها فشلت .. إما يعرض على شفته بطريقة خبيثة وإما يلحق شفثيه وإما يهمس لها بكلماتٍ تزعجها ..

استغل فرصة أن زين يتحدث عبر الهاتف ليقول لها :

..ها أخبريني ، هل اقترب منك زين ياترى..

ابتلعت ريقها لتقول بتوتر :

..ماذا تقصد..

ابتسم بمكر ليقول :

..هه أقصد هل فعلها معك وأصبحتي امرأة أم مازلتني فتاة بريئة وعفيفة محافظة على عفئك وطهارتك وعذريتك..

أنهى جملته غامزاً لها لتجحظ عيناها وتقول :

..ما الذي تقوله أنت ، أنا أنا لا أصدق حقاً كيف تتجراً وتتحدث معي هكذا..

ضحك بقوة ليقول ضاحكاً :

..صغيرتي شهدي يجب أن تعتادين على الوضع فالقادم سيكون أفعال وليس أقوال فقط..

ابتلعت ريقها بخوف ونهضت لتتوجه إلى المطبخ ولكنه أوقفها قائلاً :

..إلى أين..

تحدثت بتوتر وهي تفرك بأصابعها :

..أريد أن أساعد عمتي بتحضير الغداء..

همهم لها بمكر ليقول بخبث :

..حسناً تعالي وساعديني أنا أولاً ، أريحيني قليلاً صغيرتي..

عضت على شفتها السفلى ووجهها أصبح أحمر كالدماء لتتظر له بغضب وتتوجه راكضة إلى المطبخ ..

بعد تناول الغداء انضم للعائلة والدي شهد .. وبينما كانوا جالسين في الصالة يحتسون الشاي .. حمم زين ليقول لشهد :

..شهدي لقد قمت بتحضير مفاجأة لك..

ابتسمت لتقول :

..ها ما هي..

ضحك ليقول :

..حسناً ستعلمين بعد قليل..

تنهد بقوة لينهض ويغلق باب الصلاة .. لم يعلق أحد على فعلته لأن زياد وسلمى يعلمان لما يريد فعله .. ابتسمت سلمى بخفة بينما زياد ظل يتابع الموقف ببرود وداخله مبتسم بمكر ..

بعد قليل من الوقت نهض زين ليقول :

..هيا انهضي..

نهضت شهد برفقته وقد لحقه البقية وما هي إلا ثواني حتى هتف لها الجميع بصوت واحد :

..عيد ميلاد سعيد..

حسناً حقاً كانت مفاجأة لشهد فهي كانت قد نسيت عيد ميلادها .. ضحكت بسعادة وضحك زين لضحكتها ليحتضنها بقوة بينما زياد يتابع الموقف بامتعاض وملل .. لم ينكر بأنه فرحٌ جداً بعيد ميلادها فهو يقدر هذا اليوم بالتحديد ..

في كل سنة هو أول من يذكر عيد ميلادها يسبق الجميع بتهنئتها وبجلب الهدايا لها منذ أن كانت صغيرة ..

بدأ الجميع يغنون لها أغنية عيد الميلاد ومن ثم بدأوا يقدمون لها الهدايا .. إلى أن أتى دور زياد وقد تابعه الجميع وهم متحمسين جداً لمعرفة هديته ففي كل سنة تكون هديته لها مميزة .. ابتسم بخفة ليقول :

..أوه صغيرتي هديتك موجودة في الأعلى اصعدي إلى الغرفة التي تنامين بها وستجدينها..

ابتلعت ريقها بتوتر وقد ظنت بأن هذا فخ لكي ينفرد بها .. أراد زين أن يصعد معها ولكن زياد منعه وطلب منه أن يدعها تصعد بمفردها .. وقبل أن تصعد همس زياد لشهد قائلاً :

..هديتك التي يجب أن تظهرينها أمامهم موجودة على السرير أما الهدية التي لن تتجربين أن تظهرينها هي شريط فيديو معتبر شاهديه صغيرتي..

غمز لها في آخر جملة بينما هي نظرت له بخوف لتبتلع ريقها بتوتر وتتوجه إلى الأعلى فوراً .. دخلت لتغلق الباب خلفها وتقوم بتشغيل الفيديو والذي كان مجهزاً لها في مكانه .. فقط كل ما عليها أن تقوم بتشغيل التلفاز ..

قامت بتشغيل التلفاز لترى ما تراه وتضع يدها على فمها وعيناها مترققة بالدموع .. بدأت بالبكاء عندما رأت بأنه قام بتصويرها عدة مقاطع وقد جمعهم بفيديو واحد .. عندما خلعت ثيابها وقامت بتغييرهم .. عندما قامت بالاستحمام .. عندما خرجت من الحمام وهي تلف المنشفة حول نفسها ومن ثم خلعتها لترتدي ثيابها .. بالمختصر قام بتصويرها وهي عارية وكل هذا وهي في بيتهم .. هه أجل لقد كان حاسباً حساب كل شيء ..

بدأت تجهش بالبكاء حالما انتهى الفيديو لتخرجه وتقوم بتحطيمه تحت قدميها .. جفلت عندما فتح الباب عليها وقد كان زياد مبتسماً لها بمكر .. دخل ليغلق الباب خلفه ويتوجه ليقف أمامها .. اتسعت ابتسامته ليقول بصوت خافت :

..أنا الآن رأيت جسدك من خلال هذا الفيديو ، تماماً كما رسمته بخيالي ، بقي لدي أن أمارس رذيلتي وأفعالي الصببانية كما تقولين أنتِ على جسدك الصغير والناعم هذا..

شهقت ببكاء لتقول :

..ماذا تريد مني ، لما تفعل كل هذا بي ، أرجوك عمي أنت يجب أن تعاملني كابنتك وليس كفتاة قادمة من الشارع..

أنهت جملتها وأجهشت بالبكاء ليقول :

..هذا ما سترينه مني عندما لا تسمعين كلامي يا شهدي..

ظلت تبكي ليردف لها :

..ااه بالمناسبة ، النسخة الثانية من الفيديو موجودة في غرفة زين..

شهقت بصدمة لتقول بتوسل :

..أرجوك عمي أرجوك ، زين يغضب بسرعة ولن يفهم الأمر ، سيفهم الأمر بشكلٍ خاطئ ، أرجوك لا تدعه يراه..

ابتسم بسخرية ليقول بمكر :

..هذا لصالحك أن يفهم الأمر بشكلٍ خاطئ..

أمسكت يده وقبلتها لتقول بتوسل :

..قل لي ماذا تريد لتبتعد عني أرجوك ارحمني أنا تعبت..

ابتسم بمكر ليقول :

..أريدك أنتِ ، كوني لي وأعدك أن لا يرى أحداً هذا الفيديو سأحرق جميع النسخ..

تحدثت ببيكاء :

..كيف ها ، كيف وأنا أصبحت على ذمة ابنك فقط قل لي كيف..

حرك كتفيه بلا مبالاة ليقول :

..لا شأن لي ، تطلقني منه ، قومي بإلغاء حفل الزفاف وتطلقني منه ومن بعدها كوني لي ، بالحرالم لا بأس..

أنهى جملته غامزاً لتجحظ عيناها وتقول بذهول :

..أنت مريض ، مهووس ، شيطان أنت شيطان ، لا تخاف الله..

ضحك بقوة ليقول ضاحكاً :

..أجل أنا مريض بك ، مهووس بك ، شيطان عليك ، وسأعصي الله من أجلك ألا ترينها تضحية كبيرة أن أدخل إلى جهنم من أجلك ، أنا أرفض الجنة وأقبل بنارك ها..

حركت رأسها رافضة ببطئ وهي تناظره بذهول ليرد لها :

..اسمعيني ، إن انتشر هذا الفيديو ستصبحين مشهورة جداً شهدي ، الجميع سيراكي عاهرة رخيصة وهذا لمصلحتي كي لا يتزوجك أحد فقط لكي تبقين لي ، وهذا معنى جملتي عندما قلت لك ستكونين لي بالحرام..

عادت وأجهشت بالبكاء لتقول ببيكاء :

..ماذا تريد أنت ماذا تريد..

أشار لها أن تقترب منه ليهمس بإذنها :

..أريدُ عذريتك..

وضعت يدها على فمها وظلت تبكي إلى أن حدثته بكلمة صعقته وقلبت الموازين لتقول :

..ولكن زين قد أخذ عذرتي.. .....

"كُلَّمَا أَحَاوَلْتُ الْعَثُورَ عَلَيْكَ

أَضِيعُ أَنَا

فِي غَابَةِ أَشْجَارِهَا أَنْتِ

أَفَاعِيهَا أَنْتِ .. رَمَالُهَا أَنْتِ

وَأَنَا ذُنْبٌ مُحْطَمٌ ..

أَلَا تَسْمَعِينَ عَوَائِي؟ ..

الْجِسْدُ لَمْ يُعَدِّ يَقْوَى الْعَذَابِ

وَالْمَشَاعِرِ

لَا تَحْتَوِيهَا أَحْشَائِي"

---

..السلام عليك يا أمي..

ابتسمت تلك الأم لابنها بحنان لتظهر تلك التجاعيد على وجهها التي خطها الزمن لها وتقول :

..وعليك السلام يا بني..

بادلها الابتسامة ليقترب ناحيتها ويمسك يدها مقبلاً إياها ومن ثم جلس بقربها ليقول بابتسامة :

..ها كيف حالك يا أم حسام..

حركت رأسها بإيجاب لتقول :

..الحمد لله ، وأنت كيف حالك وكيف حال زوجتك سناء..

ما إن ذكرت اسمها حتى تلاشت ابتسامته تدريجياً ليحجم ويقول بجمود :

..بخير أمي بخير..

نظرت له بعمق محاولة فهم ما يحدث .. هو هكذا منذ وقت طويل كلما سألته عن زوجته يتحول وجهه للجمود ويختصر بالحديث عنها ويغير مجرى الحوار فوراً ..

ابتسم إيهاب بعمق ليقول :

..مم ألا يحادثك حسام من بلاد الغربية التي هو بها..

أنهى جملته بابتسامة ساخرة لتتنهد والدته وتقول :

..يحادثني كل يوم بالطبع يا ولدي..

همهم لها ليقول :

..وكيف حاله هو وزوجته وابنه..

أجابته :

..الحمد لله جميعهم بخير..

حرك رأسه بإيجاب ولم يتفوه بكلمة من بعدها .. جامد الوجه وشارد الذهن فيما يحدث معه في حياته .. فيما يخصه هو وزوجته والسبب الرئيسي لجفائه وبروده المستمران معها ..

انتشله من شروده صوت أمه وهي تقول :

..ألا تحدث أخيك يا إيهاب..

نظر لها ببرود ليعود وينظر للاشيء ويقول :

..ليس دائماً..

نظرت له بحزن وصمتت ولم تتفوه بحرف ليجاملها بابتسامة ويقول :

..متى ستأتين للمكوث في منزلي عدة أيام أنت و جهاد..

-----  
( جهاد اسم فتاة )  
-----

ابتسمت لتقول :

..فقط ريثما تنتهي أختك جهاد من مذكراتها في الجامعة وعندها سنأتي..

همهم لها بابتسامه ولم يتحدث لتردف له قائلة :

..كيف حال السيد زياد ، هل تقوم بزيارته..

ابتسم بسخرية ليقول :

..م رأيته منذ عدة أيام ، بالمناسبة حفل زفاف ابنه بعد أسبوع..

ابتسمت والدته بعمق وحركت رأسها بإيجاب سارحة بخيالها إلى تلك الذكرى الأليمة التي تخص ذاك المنزل وأهله ..

بينما إيهاب كان سارحاً بحال السيد زياد وبالسر الذي عرفه عنه وبالمخطط الذي يجهز له حاملاً في قلبه كل الحقد والغل واتجاه دنائته التي وصل لها .. مقسماً بينه وبين نفسه بأنه لن يتواني لحظة عن الوقوف في وجهه وحماية كل من يريد أذيته ..

تنهد بعمق لينهض ويقبل يد والدته قائلاً :

..أستاذنك يا أمي يجب أن أذهب الآن..

ابتسمت بحنان لتحرك رأسها بإيجاب وهي ترى ابنها يخرج من الصلاة ومن ثم سمعت صوت إغلاق الباب لتتندب بتعب وترجع برأسها للخلف مغمضة عيناها وعقلها لا يستطيع نسيان تلك الذكرى ..

-----

كان زياد جالساً في غرفة مكتبه وعقله يكاد يفقده من شدة التفكير بأمرها .. بقي أسبوع واحد على زفافهما .. أسبوع واحد وستصبح شهد لزين رسمياً أمام الناس أجمع ..

يحاول فقط أن يكذبها ويكذب ماقالته في ذلك اليوم أن زين قد أخذ عذريتها ..

لم تتلقى منه في يومها سوى الصمت وتلك الابتسامة العميقة التي ظهرت على وجهه قد بدلت حالها كله وجعلتها ترتعد خوفاً منه ..

صدقاً ولأول مرة لم يعلم في يومها ما الذي سيفعله أو ما الذي سيتحدث به ..

كل ما فعله وقتها أنه خرج من الغرفة وتوجه إلى غرفته فوراً ولم يعد يحدث أحداً نهائياً .. علماً أن الجميع قد سأل عنه وطلبه ولكنه لم يبالي بأحد ..

لعن وشم وغضب وتمرد وفي داخله نيران مضمرة تشتعل وتكاد تحرق كل خلية بجسده فقط جراء كلامها الذي ألفته على مسامعه .. محاولاً تناسي وتجاهل كلامها وداعياً لربه أن لا يكون كلامها صحيح ..

لقد جن في وقتها من فرط التفكير ولم يستطع لثانية واحدة أن يخرج كلامها من عقله .. منذ ثلاثة أيام يحاول مهاقتها وهي لا تجيبه وكأنها تتهرب منه ومن الحديث معه ..

تنهد بعمق ليدلك جبينه بأصابعه شاعراً أن رأسه سينفجر .. أمسك هاتفه ليحاول مهاقتها وكعادتها لم تجيب أول مرة ..

وبعد عدة مرات من الاتصالات المتكررة كانت قد استيقظت على صوت هاتفها بانزعاج وما إن رأت اسمه حتى بدأ قلبها يطرق بعنف لتجيبه بصوتٍ خافت :

..ماذا تريد..

أغضض عيناه بقوة ليقول :

..أريد إثبات لكلامك الذي قلته لي في ذلك اليوم ، عدا عن أنني سأريك الجحيم بسبب تجاهلك لي وعدم ردك علي..

عقدت حاجبيها لتقول بشجاعة لا تدري من أين أتت بها :

..وكيف سأثبت لك مثلاً ، اسمعني سيد زياد لا أريدك أن تقترب مني بعد الآن ، يكفي ماحدث وما فعلته ، وبالنسبة للفيديو الذي لديك فا لا يهمني لإنني وببساطة عندما ستكشف ذلك الأمر أمام زين فأنا أيضاً سأكشف جميع أوراقك وفي حينها ستكون أنت الخاسر هل فهمت..

ضحك بعلو صوته ليتحدث ضاحكاً :

..يا إلهي كم أنك ذكية ياشهد ، أصبحتي تجيدين التمرد ها ، اسمعيني أنتِ - لا يهمني ما ستفعلينه وما ستقولينه وأنتِ حقاً لا تريدين أن أدع زين يرى الفيديو حسناً ، لذلك كوني فتاة مطيعة وإلا أنزلت الجحيم عليكِ وعلى عائلتكِ بأكملها انفقنا..

ابتلعت ريقها حالما سمعت بكلماته ليرد لها بتهديد :

..حسناً يا شهد ، قلتي أن زين قد أخذ عذريتك وأنا سأجاريك ولكن أريد إثبات وإن أثبتني لي صحة كلامك ف صدقاً سأدعك وشأنك ولن ترين مني شيئاً بعدها ما رأيك..

همهمت بتوتر لتقول :

..حسناً موافقة ولكن كيف سأثبت لك..

ضحك ضحكة رنانة وهو يرجع برأشه للخلف ليقول بصوت هامس :

..شيء بسيط جداً ، ستقضين ليلة معي وسأرى إن كنتي صادقة أم كاذبة ، إن كنتي صادقة فهنيناً لابني عليك وإن كنتي كاذبة فهنيناً لي كوني أخذت لك عذريتك ، ما رأيك بهذا الاقتراح..

جحظت عيناها ما إن سمعت بكلامه لتبتلع ريقها بصعوبة وتقول بغضب :

..أنت ، أنت ما الذي تقوله ، أنت شخص سيء جداً وقذر ومقرف ، أنا لن أفعل معك شيء أبداً ، لا تحلم بذلك نهائياً هل فهمت..

ضحك ليقول :

..هذا ما عندي ياشهد وإلا سترين مني العجب..

ابتسمت بسخرية لتقول :

..سأرى أكثر مما رأيته منك ، هه لا أظن..

ابتسم بشر ليقول :

..لا أظن بأنك رأيتي شيئاً بعد ، كل الذي فعلته لا شيء صدقيني..

كزت على أسنانها بغضب لتغلق الخط في وجهه وترمي هاتفها أمامها بغضب .. بينما هو نظر للهاتف بجمود وظل يفكر بحل يرضي كلاهما إلى أن بعث رسالة نصية لها وقد كان محتواها :

"حسناً لدي حل آخر ، سنذهب أنا وأنت إلى طبيبة نسائية وتكشف عليك وهي ستقول لي إن كنتي عذراء أم لا ، ما رأيك؟!"

ظل منتظراً ردها وهو على أعصابه .. دقيقة واثنان وثلاثة وعشرة إلى أن بعثت له برسالة وقد كانت :

"حسناً موافقة ومن بعدها استدعني وشأني"

ابتسم بسخرية حالما قرأ رسالتها .. هي تفكر بشيء وهو يفكر بشيء .. هو يحترق من كلامها وهي ليست أبهة سوى بابتعاده عنها ..

أطلق تنهيدة حارة ليبعث لها رسالة أخرى :

"الكِ هذا بعد أن أتأكد من صحة كلامك ، غداً عند الساعة الثالثة سأخذك من أمام منزلك ، كوني منجزة"

ابتلعت ريقها حالما قرأت رسالته وبداخلها هاجس من الخوف .. خوفها من الذهاب برفقته إلى أي مكان .. لم تعد ترتاح له نهائياً .. وكيف لا وهو من حاول مراراً أن يتقرب منها بطريقة باتت تخيفها وترعبها ..

-----

عند الساعة الثالثة مساءً

كانت شهد واقفة أمام منزلها منتظرة زياد وقلبها يرتجف من الخوف .. لا تعلم كيف ستخرج نفسها من ذلك المأزق ولكن يجب أن تذهب وتثبت له صحة كلامها وتنتهي منه فقط ..

تنهدت بقوة وبدأ قلبها يخفق بسرعة حالما رآته يقترب بسيارته لتتوجه نحو المقعد الأمامي وتجلس ناحيته دون التفوه بحرف ..

نظر لها ببرود ليبتمس بعدها بسخرية وينطلق بها إلى عيادة الطبيبة بسرعة البرق ..

-----

أتى دور شهد وقد دخلت إلى الطبيبة وزياد منتظراً إياها على أحر من الجمر ..

صدقاً لا أحد يستطيع تخيل حالته وبداخله ذاك الكم الهائل من القلق .. وقد لاحظت عليه السكرتيرة ذلك الشيء من حركة قدمه وتوتره وفرقة أصابعه ..

عشرون دقيقة قد مرت على زياد وكأنها عشرون عاماً .. إلى أن خرجت شهد وناظرته ببرود ومن ثم خرجت من العيادة بأكملها ليعقد حاجبيه بتعجب ويتوجه ناحية الطبيب التي كانت تتابع خروج شهد بعمق ليقول زياد ببرود :

.. عنراء أم لا..

تتهدت الطبيبة بقوة لتحرك رأسها رافضة وما إن وصله الجواب حتى ابتلع ريقه وبدأ قلبه يخفق بعنف ..

كور قبضته بغضب وخرج من العيادة ليرى شهد قد ابتعدت قليلاً عن العيادة ليلحق بها بسرعة وهو ينادي عليها ..

توقفت شهد واستدارت لتتظر له ببرود وتمد يدها لتعطيه ورقة صغيرة وتقول :  
..ها هو الإثبات ، ابتعد عني ودعك من تلك القذارات بعد الان هل فهمت..

أنهت جملتها وأعطته نظرة لئم ومن ثم أكملت طريقها بينما هو ظل متصنماً في مكانه بسبب وقاحتها وتحولها العجيب من تلك الفتاة البريئة إلى هذه الفتاة المتمردة ..

ابتلع ريقه ليفتح الورقة وقد كانت عبارة عن تقرير يدل على عدم عنزيتها ..

ابتسم بسخرية ليقراً ما هو مكتوب بالتقرير ومن ثم ضحك بخفة عائداً أدراجه إلى الطبيبة ..

دخل عليها بوجه جامد وقد كانت السكرتيرة تحاول منعه من الدخول إليها دون الإذن ولكن الطبيبة قد تدخلت واستقبلته ليتوجه ناحية مكتبها ويجلس واضعاً قدم فوق الأخرى ..

تنهد زياد بعمق ليقول :

..تلك الفتاة التي كانت عندك منذ قليل أ... ..

قاطعته الطبيبة قائلة :

..تقصد شهد..

نفخ خديه ليقول :

..أجل شهد ، هل هي عذراء أم لا..

حممت الطيبة لتبلع ريقها وتقول :

..لا ليست عذراء وقد كتبت ذلك في التقرير ، أظن أنك قد اطلعت عليه لأنها حدثتني بأنك تريد إثبات على عدم عذريتها ومع ذلك كله لم أفهم لماذا..

ابتسم زياد بعمق لتتحول ابتسامته إلى ضحكة ومن ثم يقول :

..أظن بأن شهد أغبى بكثير من أن تتفق معك على هذا الكلام أليس كذلك..

عقدت حاجبيها بتعجب مدعية أنها لم تفهم شيء لتقول :

..هه صدقاً لم أفهم عليك شيء..

ابتسم وهو يخرج من جيبه حزمة من الدولارات ويضعها أمام الطيبة على مكتبها ليقول :

..وهكذا ، هل فهمتي ياترى أم أنك مازلتى بلهاء أو عفواً عفواً ، تدعين البلاهة..

شدد على حروف كلمته الأخيرة لتبتلع ريقها بصعوبة وهي ترى تلك الدولارات قد وضعت أمامها لتمثل الجدية وهي تضع الدولارات أمام زياد وتقول بتوتر :

..أهاا الآن فهمت ، تريدني أن أكذب إذاً وطبعاً أنت تريد أن تطمئني بالأموال ظناً أنني سأقبلها منك أليس كذلك ياسيد..

ابتسم زياد بسخرية ليقول :

..أنا لا أظن ، أنا متأكد أنك طيبة جيدة وتريدين مصلحتك ، أليس كذلك..

لم تجيبه بحرف بل جالت بنظرها بأرجاء الغرفة إلى أن أردف لها قائلاً :

..س يبقى كل شيء بيننا صدقيني ، فقط قل لي أنها كاذبة وأنها اتفقت معك على أنها ليست عذراء ، أرادت أن تكتبين ذلك التقرير لتوهمني أنها ليست عذراء وأنت بدورك تعاطفتي معها ألم يحدث ذلك ها..

ابتلعت ريقها ونظرت له بتوتر ومن ثم أشاحت بوجهها عنه ليقول لها بنفاذ صبر :

..لم تجيبيني ؟ أم أنك تريدين أن أقدم شكوى بحقك وأقول بأنك كاذبة وتكتبين تقارير لا أساس لها من الصحة وعندها لن تنتهين من القصة أبداً ، ما رأيك..

جحظت عيناها وانتابها الخوف عندما سمعت بكلامه لتقول :

..لا لا رجاء لا تفعل ذلك ، ابتلعت ريقها لتكمل بتوتر :

..حسناً سأخبرك بالحقيقة ، في الواقع الفتاة عذراء ولكنها توسلتني أن أكتب لها تقرير أنها ليست عذراء ، بكيت وتوسلت وأنا رأفت بحالها لذلك قررت مساعدتها ، صدقتي أنا لا شأن لي هي أرادت ذلك..

همهم لها بابتسامة ماكرة ليقول بمكر :

..حسناً حسناً أيتها الطيبة لا داعي للخوف ، أنا فقط أردت التأكد لإنني علمت أنها كاذبة ، فقط هذا..

أنهى جملته بخفوت وابتسامة واسعة لتناظره بحذر وهو ينهض مودعاً إياها ولكنها جفلت واستوقفته لتمسك حزمة الدولارات وتتوجه ناحيته قائلة :

..خذ هذه الأموال لا أريدها..

نظر ليدها الممتدة ليضحك بسخرية ويبعد يدها ليقول :

..تستحقينها..

أقترب من أذنها ليقول بهمس :

..أشكرك لإنك خدمتيني خدمة العمر ياحلوة..

أنهى جملته وقبلها من وجنتها لتتنظر له بصدمة بينما هو ابتسم باتساع وغمز لها ومن ثم خرج من العيادة بأكملها عازماً على تنفيذ مايجول في خاطره مضيفاً مخططاً دنيئاً آخر غير سابقه .. وتلك الابتسامة الخبيثة لم تفارق ثغره ..

"أعترف انني لا أستطيع تجاوزك .. فأنت وحدك محطتي الأخيرة ولا شيء بعدك .. فإن فقدتك فليس لدي ما أخسره أكثر .. وإن بقيت فلا شيء أؤمنه بعدك"

-----

واقفة أمام المرأة تتطلع إلى نفسها بانبهار .. لم تكن تعلم بأنها ستحظى بهذا الكم الهائل من الجمال بعد وضع مساحيق التجميل .. هيئتها رائعة وناعمة ..

فستانها الأبيض الناعم .. تسريحة شعرها الرائعة .. ومساحيق التجميل الخفيفة التي لم تحبذ أن يببالغوا بوضعها على وجهها الناعم ..

ابتسمت ابتسامة خفيفة وهي تحدق بالمرأة .. اليوم ستصبح شهد لـ زين .. ستصبح زوجته وعلى اسمه ..

أجل هناك شعور سيء يراودها كونه لم يفتعل أية مصيبة لكي يفشل لهما حفل الزفاف .. تعلم بأنه لن يصمت ولكنها الآن متعجبة كثيراً لأنه اليوم حفل زفافها ولم يفتعل أية مشكلة ..

منذ أسبوع لم تراه ولم ترى اسمه على شاشة هاتفها .. أي أنه لم يعد يضايقها .. وهذا ماجعلها تجفل منه وتأتيها الكثير من الأفكار السلبية ..

تنهدت بقوة لترى والدتها وسلمى قد دخلتا عليها وتبدأن الاثنتان بالإطراء حول جمالها والانبهار بها بينما شهد تبسم خجلاً وهي مخفضة رأسها ..

ابتلعت ريقها وبدأ قلبها يطرق بعنف حالما سمعت من سلمى بأن زياد في الأسفل ويريد أخذها إلى الصالة لكي يسلمها إلى ابنه ..

هبطت إلى الأسفل برفقة والدتها وسلمى لتراه واقفاً وهو جامد الوجه دون أي تعابير .. لينظر لها ويبتلع ريقه من جمالها الأخاذ ..

بعد قليل من الوقت وصلت شهد إلى الصالة .. كان زين ينتظرها على أحر من الجمر .. وما إن أطلت برفقة والده ليقدمه لها حتى ابتسم باتساع وتقدم ناحيتها ليستلمها منه ..

لم ترى شهد أي شيء غريب في حفل زفافها .. كان كل شيء طبيعي .. الفتيات ترقصن وزين بجانبها يناظرها بحب بينما هي تبسم خجلاً ..

وقعت عيناها عليه لتراه ينظر لها بجمود .. لا تعلم لماذا هي خائفة منه .. ابتلعت ريقها عندما رأت ابتسامته الساخرة ومن ثم أشاح بوجهه عنها ..

بعد وقت قصير نهضت شهد برفقة زين لكي ترقص معه على أغنية رومانسية وهادئة وما هي إلا دقائق حتى اقتحمت المكان فتاة غريبة لتقول بصوت مرتفع :

..توقفوا..

نظرا زين وشهد لتلك الفتاة بتعجب وأيضاً المدعويين كذلك .. الجميع كان ينظر لها باستغراب ..

أجل زين يعرف تلك الفتاة لقد كانت صديقتة في الكلية ولكنه متعجب كثيراً من موقفها الآن .. نظرتها لا تبشر بالخير أبداً ..

حقد بها ليراها تناظره بلؤم .. نقل نظره إلى بطنها المنتفخة ليتعجب أكثر .. لم يعلم بأنها متزوجة وستنجب أيضاً ..

تقدمت تلك المدعوة رؤى لتقف أمام زين وتتنظر له بحدة .. ابتسم زين بهدوء ليقول :  
..أهلاً بكِ رؤى ، ههه ما هذا الاقتحام المفاجئ ولما قلتي توقفوا ، ما الذي يحدث معكِ..

حدثته بحدة :

..خائن لعين يازين ، كيف تفعل ذلك بي ها ، ومن هذه الحمقاء ، بماذا هي أفضل مني كي تتزوجها ، ألم تسأل عني ألم تسأل عن حالي ما الذي سيحدث لي بعد ما فعلت فعلتك معي..

كان ينصت لها بصدمة .. ذهل من حديثها .. كذلك الجميع كان مذهولاً من الذي تقوله هذه الفتاة .. شهد لم تتفعل كثيراً لأنها علمت بأن هذه حركة من زياد .. هه لقد كانت متيقنة بأنه لن يمضي لهما هذا الزفاف على خير ..

تشوش ذهن زين ليقول بابتسامة غير مصدقة :

..عن ماذا تتحدثين أنتِ يا رؤى ، صدقاً لا أفهمكِ..

تنهدت بحدة لتقول بانفعال :

..عن ابنك الذي في بطني ، أنسيت فعلتك معي ، أنا حامل منك يا زين..

حفظت عيناه عندما سمع بجملتها لتبتلع شهد ريقها وتمسك بيد زين وهي تشد عليها .. ابتسم زين قائلاً :

..أووهِ رؤى يا لكِ من ظريفة وفكاهية ، هه أعلم بأن هذا مقلب أليس كذلك ، هيا قولي أنه مقلب عزيزتي..

تحدثت بلؤم وهي تتخسر أمامه :

.. لا يا حبيب القلب ليس مقلب وأنا حامل منك وإن أردت عندما يأتي طفلنا ستجري تحليل DNA لكي تتأكد بأنه ابنك..

ابتلع ريقه ليقول بحدة وشراسة :

..كيف ها ، هل تمزحين معي رؤى ، من أين ستحملين مني وأنا لم أقترب منك ، هل جئتي لكي تخربين علي حفل زفافي أم ماذا..

شهد عندما سمعت بكلمتها لم تكن لتستوعب الموقف .. هي قالت ستجري تحليل وليست خائفة وواثقة جداً من حديثها .. أيعقل بأن زين حقاً قد خدعها ؟ .. أيعقل بأن هذه المدعوة رؤى حقاً حامل من زين ؟..

تحدثت رؤى بثقة :

..الطفل منك عزيزي ، لا تتهرب من هذه المسؤولية ، ستزوجني ورغماً عن أنفك وستتعرف على ابنك أيضاً..

لم يكن أحد يستطيع التفوه بكلمة من الصدمة .. اقترب زياد وأخيراً ليندخول ويقول :

..ما الذي تتحدثين به أنتِ يافاة..

ابتسمت رؤى بسخرية لتقول :

..هه كما سمعت يا عم ، أنا حامل من ابنك ، وأقسم لك إن لم يتزوجني سأذهب وأقدم شكوى بحقه وسنرى عندها ما الذي سيحدث..

كز زين على أسنانه ليقول باندفاع :

.. يا لك من لعينة يا فتاة ، أنا لم أفعل معك شيء ، لا تكذبين وإلا أنزلت عليك الجحيم هل فهمتي..

ابتسمت رؤى باستنفاً لتقول :

..وفر تهديداتك عزيزي لإنك لن تخيفني ، أنا حامل منك ولست كاذبة وسأثبت لك..

شددت على حروف جملتها الأخيرة وهي تقولها بصوت مرتفع لتهبط دموع شهد وتقلت يد زين .. شعرت بالدنيا تدور من حولها .. لتبتعد خطوتان عن زين وهي تنظر له بأعين دامعة ..

نظر لها زين بصدمة ورجاء وكأنه يقول لها (لا تصدقي) لتشبح بوجهها عنه وترتمي باكية بحضن والدتها ..

كور زين قبضته ليمسك رؤى من معصمها ويقول :

..ما الذي تريدينه أيتها اللعينة ، أنا لم أفعل معك شيء ، لماذا تريدين أن تخربين علي كل شيء ها ، من الذي دفعك إلى فعل ذلك..

نترت يدها لتتظر له بحدة وتحذئه بصوت عالٍ وحاد :

..أنت فعلتها معي وأنا حامل منك وسأثبت لك حالما ألد هذا الطفل ، ستري كيف سأضعك تحت الأمر الواقع ، شئت أم أبيت هذا الطفل منك..

خرجت من الصالة بعد أن رمت تلك الكلمات الحادة على مسامع الجميع .. حقاً استطاعت أن تخرب عليهما حفل الزفاف .. فها هي شهد قد قررت أن تعود أدراجها مع والديها ولن تذهب مع زين أبداً ..

حاول زين كثيراً أن يبرر لها أن يكذب كلمات رؤى عل وعسى يشفق قلبها عليه وتصدقه ولكن دون جدوى .. لم تقتنع وأبت أن تتظر له حتى ..

علماً أن زياد قد طلب منها الذهاب معه إلى المنزل والاتفاق على كل شيء هناك .. كذلك سلمى ووالدا شهد طلبوا منها ذلك ولكن إصرار شهد على العودة مع والديها حال دون ذلك ..

وانتهت تلك الليلة العصبية وتوجه الجميع إلى منازلهم تحت صدمتهم ونظراتهم المستخفة لزين بسبب فعلته .. فحديث الفتاة بان عليه بأنها لا تكذب فيه خصوصاً أنها أصرت أن تثبت له وتجري التحليل بعد ولادتها ..

عاد زين أدراجة إلى منزله حاملاً خيبته على كتفيه .. مرهق .. متعب .. لا يعلم من أين أنته هذه المصيبة .. الآن ساءت الأمور كثيراً ..

يجب عليه أن يتحرى ويعلم ما قصة تلك المدعوة رؤى .. أن يعرف حقيقتها ويظل ورائها إلى أن يكتشف ما مصلحتها من الكذبة التي كذبتها ..

يجب عليه أن يسترجع شهد .. أن يدعها تعرف أنه ليس خائن .. لم يخن حبها ولم يفعل شيء يؤذي قلبها ..

تنهد بحرقة ليلفت انتباهه ورقة بحجم الكف موضوعة بجانب سريره .. عقد حاجبيه ليمسكها ويفتحها وإذ به يقرأ التقرير الخاص بشهد عندما كتبت له الطبيبة بأنها ليست عذراء ..

بدأ قلبه يطرق بعنف وعيناه جاحظة .. وتيرة تنفسه سريعة وعقله مشتت ..

كيف .. كيف شهد لا تكون عذراء .. ما الذي يحدث .. غضب شديد تملكه ليعتصر الورقة بيده وينتفض ويخرج من المنزل بأقصى سرعة متوجهاً إلى منزلها وفي عقله الحساب سيكون عسيراً جداً إن كان ما قرأه بالتقرير صحيح ..

"قضيتي في الهوى والله مُشكلة"  
ما القول ما الرأي ما التدبير ما العمل"

كانت واقفة أمام المرأة تنظر لنفسها ببرود .. عقلها يأخذها ويجلبها بكثير من الأفكار .. لربما تشعر بالندم لأنها لم تذهب معه إلى المنزل .. قلبها يحدثها بشيء وعقلها يحدثها بشيء آخر ..

لم يقطع شرودها سوى دخوله عليها كالإعصار .. نظرت له لترى الغضب يشع من عينيه ..

عقدت حاجبيها بخفة ليقترب زين منها ويفتح ورقة التقرير أمامها ويرفعها ليريه إياها دون أن ينطق بحرف .. ابتلعت ريقها حالما رأت التقرير ليتشنج فكها وتغمض عينها بقوة ..

رأت تلك الابتسامة الغاضبة التي نمت على شفثيه .. كانت مليئة بالحدة والغضب .. حدثها بصوتٍ حاد :  
..وتمانعين مجيئكِ معي إلى المنزل أليس كذلك ياشهد..

ابتلعت ريقها وظلت واقفة أمامه بثبات .. لم تنطق بحرف .. فقط منتظرة ما الذي سيفعله .. لن تبرر له شيء ..

اعتصر الورقة بيده وبيده الأخرى اعتصر معصمها ليرد لها بصوتٍ غاضب :  
..تحدثي شهد ، ماهذا التقرير ها ، هل تحاولين خداعي أم ماذا..

أزاحت يده عنها بهدوء لتقول ببرود :  
..لا يحق لك التشكيك بي يازين..

ابتسم بعدم تصديق ثلثها ضحكة ساخرة ليقول :

..لا يحق لي همم ، أنت فقط من يحق لك تركي وسط المدعوين في حفل زفافنا ، يحق لك تصديق فتاة كاذبة ولا يحق لي أن أسألك عن هذه اللعنة أليس كذلك..

ابتسمت ببرود لتقول :

..سأقول لك شيء باختصار ، سننتظر ريثما تلد تلك الفتاة وعندها ستجري التحليل ونتأكد إن كانت كاذبة أم صادقة وعندها سأحدثك بقصة هذا التقرير الذي بيدك..

وكانها ألقت طرفة على مسامعه ليضحك بسخرية ويقول :

..أظنني غيباً لأتركك طوال هذه الفترة..

تحولت ملامحه من ساخرة لحادة ليمشكها من معصمها بقوة ويحركها بعنف قائلاً بحدة وغضب :  
..ستحدثيني بكل شيء الآن وإلا سأؤكد من عذرتك بنفسني ، أظن بأنك قد فهمتي قصدي..

أنهى جملته بصوت خافت وهو مقرباً وجهه من وجهها لتبتلع ريقها بصعوبة وتغمض عيناها بقوة ..

طال صمتها ولم تجبه ليردف لها مترقياً :

..ستحدثين أم لا..

تنهدت بقوة لتتنظر له ببرود وتقول :

..حسناً يازين ، سأحدثك بكل شيء..

حرك رأسه بإيجاب ناظراً لها بحدة لتقتحم المكان والدة شهد لتدخل بتردد وتقول متسائلة :

..هل هناك خطبٌ ما يازين..

نظر لها ببرود ليحرك رأسه رافضاً وتردف له بنظر أمل :

..جئت لكي تبرر لها فعلتك وتقول لها بأن حديث الفتاة لا أساس له من الصحة ، ستذهب شهد معك إلى المنزل أليس كذلك..

تنهد بقوة ليمسح ذقنه وتدخل شهد بالحديث قائلة ببرود :

..أمي أرجوك لا تتحدثي بهذا الموضوع بعد الآن ، لو سمحتي دعينا بمفردنا..

تنهدت والدتها بياس لتهم بالخروج ولكن صوت زين أوقفها عندما قال :

..شهد اقتنعت بأنني لست مذنب ولا شأن لي بتلك الفتاة وبطفلها وسنذهب معي يا عمتي..

نظرت له شهد بصدمة لتظهر معالم الفرح على والدة شهد ولكنها بهتت ملامحها فوراً لتتحدث بتوتر :

..حسناً ولكن عودتها معك تعني أنها أصبحت زوجتك وكما تعلم المدعوين قد .. ..

قاطعها قائلاً ببرود :

..نحن متزوجان يا عمتي أي لا شأن للناس بما حدث في حفل زفافنا ، أي أحد يسألك ستقولين له أنه حدث سوء تفاهم بسيط وشهد عادت مع زين وانتهى..

هممت له بتفهم لتقول :

..حسناً ولكن سنأخذ رأي والدها أولاً وإن وافق عندها خذها معك فليوفقكما الله يا بني..

خرجت والدة شهد من الغرفة دون سماع جواب زين لينظر لشهد التي كانت متابعة للحديث بصدمة .. توجه ناحيتها ليقول ببرود :

..بدلي ملابسك سنذهب..

احتدت ملامحها لتنهض وتقف مقابلة له وتقول :

..لن أذهب معك إلى أي مكان ، الموضوع بالنسبة لي منتهي..

ابتسم بسخرية ليقول موهماً إياها بكلامه :

..سنذهب ونتحدث لإنني لا أضمن تمالك أعصابي ولا أريد لوالديك أن يعلما بفعلتك أيتها المحترمة ، إن لم نجد حلاً وتحديثي بكل شيء سأعيدك وسينتهي كل شيء ، عندها لن نلزمنا فتاة مثلك بصراحة..

ابتسمت بلؤم ولم تتحدث لتدخل عليهما والدة شهد وتسمحان لهما بالذهاب بعد موافقة والد شهد الذي لم يحد أن يتدخل بهما .. حسناً بالطبع يهمه حال ابنته ولكن وبما أنها اقتنعت بأن زين بريء فلا مانع من الذهاب معه .. هما متزوجان فلما الممانعة ..

(شكلو والد شهد لا بهش ولا بنش 😊)

بدلت شهد ثيابها وخرجت برفقة زين بصمت دون أن يتفوه أحدهما بحرف .. حتى أنهما كانا طوال الطريق صامتان .. أجل عقل شهد كان يأتيها ويجلبها بالأفكار ..

كيف ستواجهه بحقيقة والده .. كيف ستستطيع تبرير موقفها أمامه .. حتى هو مذنب فكيف ستنتهي هذه الليلة العصبية ياترى ..

وصلا إلى الوجهة المحددة من قبل زين بعد قليل من الوقت .. خرجت شهد من السيارة لتعقد حاجبيها من هذا المنزل والذي لأول مرة هي تراه وتعلم به ..

ابتلعت ريقها حالما دخلت معه لتقول :

.. هل هو منزلك ..

همهم لها بإيجاب ليلتفت ويضع يديه بجيوبه ويقول ببرود :

.. تحدثي ..

ابتلعت ريقها بصعوبة لتأخذ نفساً عميقاً وتحاول تشجيع نفسها للحديث .. أجل ستقول له كل شيء .. لن تكذب عليه .. ستحدثه بكل مافعله والده بها وليحدث ما يحدث لا يهم .. المهم أن تخرج نفسها بريئة ..

توجهت وجلست على الأريكة ليجلس مقابلاً لها منتظراً كلامها .. بدأت شهد تقص عليه كل الأحداث الماضية .. لم تنقص عليه شيء .. حدثته بمحاولة اعتداء زياد عليها .. حدثته بكلامه ومضابقتها وتهديداته لها .. حدثته عن حبه الذي يدعيه لها ..

حدثته عن قصة إوهامه بعدم عذريتها كي يبتعد عنها .. كل شيء وضعته أمام .. لم تبق شيئاً في جعبتها ..

تعلم بأنه لربما خطأ أن تحدثه بأفعال والده ولكن هي لم تعد تشعر بالأمان من أفعال زياد .. أصبحت تخافه بشدة في الحقيقة وهي لا تريد أن تخسر زين .. مع العلم أنها غاضبة منه كثيراً ولم تنسى فعلته إلا أنها لا تريد خسارته مهما حدث ..

ختمت حديثها بكلمات القسم أنها تقول الحقيقة ولا تكذب ويجب عليه تصديقها .. لم ترى أي ردة فعل منه فقط ينظر لها ببرود ..

ضحكة قوية أطلقها زين بعد ثواني عديدة لتتعجب شهد من موقفه .. ظل يضحك دون توقف وشهد تبتلع ريقها بين الحين والآخر بصعوبة ..

تمالك نفسه وتوقف عن الضحك ليمسح دمعته التي علقت بطرف عينه من شدة الضحك ليقول ضاحكاً :  
..شهد لم أكن أعلم بأنه لديك خفة دم هكذا صدقاً..

عقدت حاجبيها بخفة لتقول :

..ماذا تقصد زين ، صدقتي أنا لا أقول سوى الحقيقة..

ضحك مجدداً ليتحول وجهه الضاحك فجأة إلى الحدة ويقترب منها بحركة سريعة ليقول بهمس :  
..هل أردتي أن ترمين اللوم على والدي ، أردتي أن أنسى قصتك وتلفتين انتباهي لهذه القصة الكاذبة فقط لتبرأين نفسك ليس كذلك..

للصراحة لكنته ونظرته لم تعجبانها نهائياً .. جعلها تبتلع ريقها بخوف وتراجع نفسها كم أنها حمقاء لأنها حدثته بأفعال والده ..

فمن الطبيعي أن لا يصدقها خصوصاً بموقف كهذا .. وخصوصاً أيضاً أن ذاك الذي تتحدث عنه هو والده وليس رجل غريب .. أي أنه لن يصدق أن كل هذا سيبدو من والده .. قدوته .. وعزوته في هذه الدنيا ..

أنتفضت بفرع عندما صوته الجهوري ليقول :

..كيف تسمحين لنفسك أن تتهمين والدي كل هذه الاتهامات ، بل كيف استطاع عقلك أن يقوم بتأليف كل هذه القصص ها كيف ، هل يعجبك والدي مثلاً ، إن كان يعجبك فلماذا قبلتي الزواج مني أحبيي..

أنهى جملته بصراخ أكبر لتنتفض أكثر وتغرق عيناها بالدموع لتقول بصوتٍ باكي :  
..زين صدقتي هذا ماحدث لم أكذب عليك بحرف واحد..

اعتصر وجهها بيده ومعالم وجهه صدقاً كانت مخيفة ليقول بحدة :

..كفاك كذب ومراوغة أيتها اللعينة ، والدي لا يفعل ذلك ولا ينظر لزوجة ابنه ، صدقاً أنك مخادعة وكاذبة..

نترها من يده ليباعد عنها ويقف محاولاً تمالك أعصابه التي أتلفتها لتقول شهد ببيكاء :

..إن لم تصدقني إذهب واسأل الطبيبة التي ذهبت إليها أنا ووالدك وستحدثك بكل شيء ، وإن أردت أيضاً سأذهب معك لكي تكشف على عذريتي وتصدق أنني لا أكذب عليك ولا أخدعك..

نظر لها بحاجب مرفوع ليقول بترقب :

..ومن قال لك بأنني أفكر فقط في قصة الطبيبة ، أنا أفكر في كلامك عن والدي ، كيف تسمحين لنفسك أن تتهمينه بهذه الاتهامات ، أتعلمين من يتحدث بطريقتك أيها المحترمة ها..

نظرت له بحزن ودموعها على وجنتيها لتخفض رأسها وتصمت .. ابتسم زين بسخرية ليقول بخبث :  
..ثم من قال لك أنني سأخذك للطبيبة لكي تكشف على عذرتك ، لماذا الطبيبة وأنا موجود..

جفلت من كلامه وظل نظرها معلقاً بالأرض لترفع رأسها له بترقب وتقول :  
..ماذا تقصد زين..

ابتسم بخبث ليقرب ويجلس بجانبها ممرراً يده الخشنة على وجنتها بخفة ليقول بهمس :  
..أنتِ فعلتي فعلتكِ وصدقتي تلك الكاذبة وأنا سأفعل مثلكِ وأصدق التقرير..

ابتلعت ريقها وهي تزيج يده عنها لتبتعد قليلاً وتقول بترقب :  
..لم أفهم زين..

اقترب ليزيح خصلات شعرها عن أذنها ويهمس لها :  
..أريد أن أكتشف عذرتك بنفسي ، وإن لم تكوني عذراء فأنتِ لن تنفعيني بشيء وكل منا يذهب بحال سبيله ، هذا طبعاً بعد المتعة..

نظرت له بعينان جاحظة لتنهض واقفة وتحرك رأسها رافضة ببطئ .. ابتسم زين بخبث لينهض ويقف مقابلاً لها ويقول :

..أظن بأنه من حقي فأنتِ زوجتي ، بالشرع وبالقانون وبالعرف..

اغرورقت عيناها بالدموع لتحاول الفرار منه ولكنه أحكم قبضته على خصرها ومنعها من الهروب ليحملها ويتوجه بها إلى غرفة واسعة بينما هي تتخبط وتتلوى وتصرخ بين يديه محاولة الإفلات منه ..

رماها بعنف على السرير لتطلق صرخة مكتومة وتنتبه له وهو يخلع سترته .. لا تعلم لما تكرهه في هذه اللحظة بالتحديد .. كأنها ترى زياد أمامها بدنائه وسفاليته .. لا ترى زين المحب والعطوف ..

أيعقل بأنهما بدلا في الأدوار مثلاً .. ف زياد اليوم كان جامداً لم يبدي أي ردة فعل تزعجها سوى إرساله لتلك الفتاة والتي لا تعلم إن كان زياد قد أرسلها بالفعل أم أنها حقاً هي حامل من زين ..

رمى زين سترته على السرير ليقترب منها ويقرب وجهه من وجهها ويقول بهمس :  
.. يبدو بأنك صدقاً لستي عذراء لذلك تمانعين اقترابي منك ياشهد..

حركت رأسها رافضة مرسله له نظرات متوسلة عله يشفق لحالها .. ابتسم بمكر ليقول :  
..سنرى الآن..

تملك شفيتها بقبلة عميقة بينما هي تحاول إبعاده عنها بشتى الوسائل ليدعها تقضي ليلة لم تكن من العمر وإنما كانت من الجحيم ..

"أعان الله فتاة أحببت من قلبها ووثقت بمن تحب وانخذلت

أتساءل

كيف ستكمل مسيرة موتها في الحياة"

---

كانت تتلقت حولها يمين ويسار .. تشعر وكأن شيء ما قد طبق على صدرها .. لا تعلم ما هو ذلك الشعور الذي اجتاحتها .. تخيلات لا أساس لها كانت قد سرحت بها وخرجت بذاك السيناريو الذي لا أحد يتوقعه ..

ازدادت وتيرة تنفسها لتضع أطراف أصابعها على جبينها وتحاول أن تدلكه بخفة وعيناها مغمضة .. نظرت من انعكاس المرأة لـ الذي دخل عليها وقد كانت والدتها التي ابتسمت لها بحنان ..

تقدمت منها والدتها لتقول بحنو :

..عروستي الصغيرة تبدو كالملاك..

نظرت لوالدتها بعينان زائغة ولم تتحدث بكلمة لتعقد والدتها شهد حاجبيها وتضع يدها على كتف ابنتها وتقول بقلق :

..ابنتي مابك ، هل حدث شيء..

همهمت لها وهي تحرك رأسها رافضة لتقول بصوتٍ خافت :  
..لا شيء أمي ، أنا فقط أشعر بدوار خفيف..

بدت معالم القلق على وجه والدتها لتقول :  
..حبيبتي هل نجلب لك الطبيب..

حركت شهد رأسها بنفي لتطبطب والدتها على كتفها ومن ثم تقول :  
..حسناً عزيزتي ، تجهزي سيأتي عمك ويأخذك إلى الصلاة..

ابتلعت ريقها بصعوبة لتحرك رأسها موافقة متابعة خروج والدتها من الغرفة بصمت ..

حسناً ما كان ذلك؟ ..أهو درب من الخيال .. ذاك السيناريو الذي قد تألف بعقلها وكأنها عاشت الأحداث بواقعية ..  
..أهو حلم أم ماذا ياترى؟..

هل هذه علامة لسكوتها وعدم إفصاحها بحقيقة زياد لزين .. أجل شهد كانت تنوي أن تحدث زين بكل شيء فعله زياد معها ولكن لا تعلم ما الذي حدث الآن ..

سرحت بأفكارها كثيراً وكأنها تخيلت كيف ستكون ردة فعل زين عندما تعلمه بحقيقة والده .. كأنها تخيلت ما الذي سيفعله زياد وما هي المصيبة التي سيدبرها في يوم زفافهما ..

تنفست بعمق لتمسح حبيبات العرق المتناثرة على جبينها لتتأمل لنفسها في المرأة بشرود ومن ثم أخذت نفساً عميقاً لتزفر بقوة وتبتسم ابتسامة واثقة ..

لا شيء سيخرب عليهما ليلتهما .. لن تصدق أي شيء سيحدث .. أجل بداخلها خوف كبير من أن تتحقق خيالاتها وزياد يفتعل مصيبة بهذا اليوم ..

أيعقل بأنه حقاً سيرسل فتاة لتتهم زين بأنها حامل منه .. أيعقل بأنه حقاً سيضع تقرير عدم عذريتها في الغرفة ليراه زين .. غبية ..

كيف تنسى أن تأخذ منه التقرير .. والسؤال الأهم ؟.. ما الذي جعله يفعل ذلك .. أو بالأصح ما الذي جعلها تفكر بهذه الطريقة وتسرح بخيالها لتقوم بتأليف هذا السيناريو المعقد والصعب ..

زين كان بشع جداً في خيالها .. لا تريد زين الذي يشبه زياد وإنما تريد زين المحب لها بصدق وإخلاص .. الملتزم والهادئ .. هو فعلاً كذلك ولكن يبدو بأنها قد بالغت بأفكارها وخيالها ..

أجل خوفها من زياد وتيقنها من افتعاله للمشاكل في هذا اليوم جعلها تسرح كثيراً وتخمن الكثير من الأشياء ..

نفضت كل شيء من رأسها وزفرت بقوة لتدخل عليها سلمى بابتسامة محبة وتبدأ بالمديح بجمالها وأنوثتها ..

ابتسمت بخجل عندما سمعت بكلماتها ولكن سقطت ابتسامتها عندما علمت أن زياد منتظراً إياها في الأسفل لكي يأخذها للصلاة ويسلمها لابنه ..

ابتلعت ريقها بتوتر وبدأت تفرك أصابعها .. أول خطوة واقعية الآن ستحدث من مخيلاتها ..

تتهدد بضيق لتتهبط إلى الأسفل برفقة سلمى ووالدتها لزياد الذي كان منتظراً لها أمام الباب ..

لم ترى أي ردة فعل منه كان جامد الوجه .. لم يبتسم ولم يفعل أي شيء سوى أنه حرك رأسه لها بمعنى هيا وتوجه بها إلى الصلاة بحيث زين منتظراً إياها على أحر من الجمر ..

دقائق ووصل بها إلى الصلاة ودخل بها ليسلمها إلى زين الذي كانت لا تسعه الدنيا من فرحته بها .. استلمها منه وقبل جبينها ومن ثم توجهها إلى المنصة وجلسا وعينان زين الفرحة لم تنزاح عن شفه ثانية واحدة ..

كان ينظر لها بانبهار وفرح شديد .. كأنه هو الرجل الوحيد المحظوظ في هذه الدنيا كونه حظي بفتاة رائعة مثلها ..

لم يكن هناك أي شيء غير طبيعي في الحفل .. كل الأمور كانت على مايرام .. حتى أنها لاحظت ان زياد لم ينظر لها من الأساس ..

انتهت مراسم الزفاف على خير تحت صدمة شهد .. خرجا من الصالة تحت المباركات والتهنئات والزرغريد وعينان شهد لم تنزاح من على غياث ..

تراقبه بخوف ولكن قطع عليها ذلك الشعور يد زين التي عانقت يدها لترى تلك الابتسامة المحبة على وجهه ليصعدان سوياً إلى السيارة ومن ثم توجهها إلى ذلك الجناح الخاص الذي حجزه زياد لهما خصيصاً ..

-----

كان يراقبها بابتسامة عاشقة كيف تنتمر على خلع فستانها .. كنم ضحكته على معالم وجهها المستأنة والطفولية ليتقدم نحوها ويضع كلتا يديه على خصرها ويقترب لتشعر بأنفاسه الساخنة ضد رقبتها لتسري قشعريرة في جسدها ..

مرر يده على طول ذراعها لينتقل ويفتح سحب فستانها مما جعلها تبتلع ريقها بتوتر .. ابتسم زين عندما شعر بتوترها ليقول بهدوء :

..شهدى أنا أنفهم الأمر ، سأخرج ريثما تبدلين فستانك..

نظرت له بابتسامة هادئة لتحرك رأسها موافقة مبادلاً إياها الابتسامة ومن ثم خرج من الغرفة بأكملها لتبدأ بتبديل فستانها وارتداء بيجامة طفولية منافية تماما وضعها كعروس وبهذه الليلة بالتحديد ..

دخل عليها ليلامس فكه الأرض عندما وجدها بذلك المنظر وما إن رآته حتى قفزت وصققت بمرح ليعض زين شفته بقهر ..

تنهد بغیظ وغضب مكتوم ليقول :

..بذمتك هذا شكل عروس ستكون من الآن فصاعداً مسؤولة عن زوجها ومستعدة لتكوين أسرة..

ابتسمت بحماس لتحرك رأسها موافقة .. لا تعلم لما هي تتصرف هكذا .. كل ماتعلمه أنها فرحة جداً كونه زياد لم يفتعل أية مصيبة اليوم .. وربما هي فرحة لأنه أصلاً قد أخرج فكرة أن يتخذها له بعد إوهامها له أنها ليست عذراء ..

تنهد زين بقوة ليتوجه ويبدل ملابسه وهو ينظر لشهد بغیظ ويتمم بكلمات غير مفهومة بينما شهد تقفز وتقول :

..أين الطعام زيني أنا جائعة..

همهم لها وهو ينفذ السترة التي في يده ليرميها على الأريكة ويقول :  
..سجلبونه الآن..

صفقت بحماس ليمتعض زين ويتمتم بخفوت :  
..يا إلهي هل الآن تذكرت أن تريني طفوليتها ، آاه ماذا فعلت لربي أنا..

تنهد بحنق ليسمع طرقات على الباب وقد علم أنهم أرسلوا الطعام .. دقائق وشهد وزين كانا يتناولان طعامهما  
بجو مرح وضحوك .. فشهد لم تدع زين يأكل لقمة إلا وتقوم بإضحাকে ..

بدأ الجو يعجب زين خصوصاً أن زوجته الصغيرة تتصرف على طبيعتها وتضحك وتمرح هذا يعني أنها لن  
تمانع إن اقترب منها .. حسناً فلتضحك كيفما شئت وتقفز أمامه كالبلهاء .. مصيرها بين يديه بعد أقل من ساعة  
فقط ..

بعد قليل من الوقت خرج زين من الحمام ليوشك على البكاء عندما رأى شهد نائمة بعشوائية على السرير ..  
حدث نفسه بخوف :

..لا لا ياربي لماذا ، لماذا لدي هذا الحظ ، ااه يا أمي هل دعيتي علي أم ماذا ، اللعنة على هذه الليلة..

تنهد بحدة ليتوجه بخطوات سريعة ويحاول إيقاظ شهد ويحركها بعنف ولكنها لم تستيقظ .. وبعيداً عن أن نومها  
ثقيل جداً إلا أنها حقاً متعبة من هذا اليوم الشاق ..

زفر زين بحنق ليتمدد بعنف على السرير وهو يتمتم قائلاً :

..فوق أنها ارتدت بيجامة طفولية وبدأت تقفز كالحمقاء نامت أيضاً هه يا حبيبي ، ليتني لم أتزوج ، حسناً ازدادوا  
المجانين واحد أوووف..

ختم جملته بكلمات وشتائم على حظه العاثر واضعاً الوسادة على وجهه بعنف ليحاول أن يكتم غيظه ويستسلم  
لنومه ..

-----

## حوالي الساعة الرابعة فجراً

فتحت عيناها بوهن لتعقد حاجبيها وهي تشعر بأنها تائهة لا تعلم أين هي .. أجل طبيعي جداً فعندما تستيقظ هذه الفتاة تستغرق وقتاً طويلاً لتستوعب من هي وأين هي ومن عائلتها وما هو دورها في هذه الحياة ..

عقدت حاجبيها باستغراب فهي لم تكن بهذه الغرفة .. نهضت بنصف جسدها لتشهق بقوة حالما رآته أمامها جالساً واضعاً قدم فوق الأخرى وهو يفترس ملامحها ببرود ويرتشف من كأس النبيذ بين الحين والآخر ..

وبسذاجة منها عادت واندثرت بالفراش لتغمض عيناها بقوة عليها تحلم أو تتخيل .. أجل هذه الفتاة خيالها واسع جداً وهي تتخيل الآن لا أكثر ولا أقل ..

ستفتح عيناها وتقابل زين أمامها الآن وليس والده .. ابتلعت ريقها بصعوبة وهي مغمضة عيناها بقوة لتفتحهما ببطئ وتعاود النظر لمكانه وتراه جالساً على وضعيته لم يتغير ..

عقدت حاجبيها باستياء وتملكها بعض الخوف لتنهض سريعاً متوجهة نحو الباب دون التفوه بكلمة معه لتدير مقبض الباب ولكنه كان موصلد بإحكام ..

نظرت له بخوف وهو شاعراً بها وبخوفها وبكل شيء تشعر به ولكنه لم يتحرك من مكانه أو ينطق بكلمة .. وكأنها ليست موجودة بالغرفة حتى ..

كزت على أسنانها بعد أن شجعت نفسها لتتقدم ناحيته وتحديثه بحدة :  
..ما الذي فعلته وكيف جئت أنا إلى هنا..

نظر لها ببرود ليرتشف كأسه دفعة واحدة ويعاود ملئ الكأس من جديد متجاهلاً إياها تماماً .. انفعلت عندما لم تسمع منه كلمة لتقول بحدة أكبر :  
..أجبنني ما الذي جاء بي إلى هنا..

ابتسم بسخرية عندما نظر لها من رأسها إلى أخمص قدميها ليقول :  
..هل اختتمتما ليلتكما بارتدائك لهذه البيجامة الطفولية أم أنك ارتديتينيها من الأساس ولم يقترب منك ابني..

ابتلعت ريقها لتخفي توترها بسرعة لتهم بالحديث ولكنه سبقها وأردف قائلاً :  
..ابني أحقق ، لم يقترب منك ولم يفعلها معك أوه ههه ما هذا..

كزت على أسنانها لتقول باستفزاز :

..بل فعلها معي من قبل ياسيد زي ا د..

شدت على حروف اسمه لتستفزه بهذه الكلمة بالفعل وينهض بسرعة واقفاً أمامها وهو ينظر لها بحدة ليقول  
بهمس حاد :

..لا تحاولين استفزازي شهد ، أنت لا زلت عذراء هذا أولاً ، وثانياً تقريريك الأحمق ذاك لم ينطلي علي لإنني  
عدت في يومها وسألت الطبيبة وحدثتني باتفاقك اللعين معها ، ثالثاً وهو الأهم أعلم بأن زين لم يقترب منك اليوم  
وإلا ما كنتي انفعلتني من وجودك هنا الآن..

عقدت حاجبيها بعدم فهم لبيتسم بمكر ويقول :

..بصراحة لدي بعض الخجل لذلك لا أستطيع أن أفسر لك بشكلٍ صريح..

أجابته بحدة ممزوجة بالسخرية :

..أوه أنا التي أعلم بخجلك وحيائك ، خجلك الذي يدعك تصل إلى أن تغازل زوجة ابنك..

ضحك ضحكة رنانة ليقول :

..بصراحة أنا أخجل من الحديث في تلك الأشياء ولكنني لا أخجل من فعلها أبداً..

لم يكن لها الوقت لتبدي أي ردة فعل تجاه كلامه لأنه أمشك رقيبتها وجذبها له بعنف ليقول بهمس حاد :

..افتعلتي كل هذه المصائب وصمت ولم أفعل لك شيئاً ولكن من الآن فصاعداً لن تفعلين إلا ما يعجبني وما  
أمرك به..

نترت يده لتبتعد عنه بعنف وتحدث بصراخ :

..ومن أنت حتى أنفذ لك ماتطلبه مني ها ، انتهينا أنا أصبحت لزين وأصبحت على ذمته وإن فعلها معي وإن لم  
يفعلها معي لم يعد بإمكانك فعل أي شيء ، إنسى الأمر تماماً هل فهمت ، لست مجبرة على تنفيذ أوامرك أو  
مجاتك في حبك المزعوم والأحمق وبمخططاتك الدنيئة كاتخاذي عشيقاً أو فتاة ليل أسمع ، أنا لست كذلك ،  
وأقسم لك إن لم تبتعد عني وتدعني وشأني سأقول لزين كل شيء..

ضحك ضحكة خفيفة تلتها ضحكة صاخبة وقوية ليتمالك نفسه ويحدثها ضاحكاً :

..قولي له لا يهمني ، وحتى إن صدقت أيضاً لا يهمني ، كل ما يهمني هو أنت أيتها المثيرة..

نظرت له بصدمة غير مستوعبة مدى وقاحة هذا الرجل .. ابتسم باتساع ليحرك رأسه موافقاً ليمد يده في الهواء ويقول :

..عدي على أصابعك..

أكمل حديثه وهو يعد على أصابعه قائلاً :

..أولاً لا يهمني إن صدق زين أو لم يصدق ثانياً لا يهمني ما موقف سلمى إن علمت أنني أعشق زوجة ابني ،  
ثالثاً لن ألتفت لنظرات الاستحغار والخيبات والحزن واليأس وإلى آخره من زين أو من زوجتي إن صدقا حديثك ،  
رابعاً وهو الأهم .. ..

قطع جملته وهو يقرب وجهه من وجهها ليقول بتهديد :

..أقسم بالله إن تمردي أكثر ولم تسمعيني الكلام ستصل دنائتي لإن أجعلك عيدي وعاهرتي وأمام عينان زين  
وسلمى والجميع ، لن يهمني أحد لذلك كوني فتاة مطيعة وإلا قلبت عليك جهنم هنا وفي هذه اللحظة..

كانت تتابعه بصدمة ممزوجة بالغضب .. كل شيء بكفة وجملته الأخيرة بكفة .. أهكذا يراها ؟ عاهرة ؟ ..  
أسيئتها عاهرة له .. أدمعت عيناها من الموقف ومن الحديث لتقول بخفوت ومعالم الصدمة مازالت ظاهرة  
على وجهها :

..أنت مريبييض ، أقسم لك أنت شخص مريض ، مهووس ، حقير ، سافل ، والأهم من ذلك كله أنت شخص  
معقد ، لديك عقدة من ابنك ، لا تستطيع أن تراه فرح بالشيء الذي لديه ، تريد احتكار كل ما يملكه فقط لترضي  
غرورك ومرضك وعقدتك..

ابتسم بسخرية ليقول :

..بعيداً عن أن لسانك يحتاج للقص كونه يتفوه بكلمات لا أحيذ سماعها إلا أنك تحدثني عن نفسك أيضاً ، أترين  
نفسك شيء سخيف يملكه زين وكأنك لعبة أو ما شابه ياشهد..

نظرت له بجمود لتقول :

..كيف جلبتني إلى هنا..

ابتسم بخبث ليقول :

..لدي طريقي الخاصة..

هممت له بشيح ابتسامه حادة لتصرخ فجأة :

..أخرجني من هنا ، أعديني إلى زين ، أنا لا أطيقك أسمع..

اعتصر وجهها بيده ليحدثها بهمس حاد :

..لا يهمني إن أحببتني أم لا أيتها اللعينة..

نترها من يده لتقول بتحدي و حدة :

..أقسم لك لن أكون سوى لزين ، لن أدع شخص قذر ومريض مثلك أن يضع يده علي وينجسني ، سترى من الآن فصاعداً ما الذي سيبدري مني..

عض على شفته السفلى وهو مبتسماً بحدة ليمسكها من شعرها بحركة سريعة ومن ثم دفعها بعنف على الأريكة ليصرخ بصوته الجهوري بتهديد :

..ستسمعين مني كل شيء أقوله لك من الآن فصاعداً ، ستنفذين ما أطلبه ، سأتحكم بكل شيء يخصك ، دخولك خروجك ملابسك حديثك طعامك نومك وقت استيقاظك حتى موعد حمامك سيكون بيدي ، لا تتحديني ياشهد وإلا والله أنا سأقول لزين ولزوجتي ولوالديك ولجميع الناس كل شيء ، أقسم لك أقتل الجنون بك ، ولا أنصحك أن ترين جنوني ، لأن جنوني سيصل لدرجة أنني سأنتشر الخبر على المحطات الفضائية والجراند والمواقع الاجتماعية ، بالطريق سأجعلهم يتحدثون بالخبر أسمعين..

تنفس سريعاً بحدة محاولاً تمالك أعصابه ليرد لها قائلاً بحدة :

..في كل الأحوال أنا المنتصر في هذه الحرب ، إن حدث وعرف الجميع سيستحرقونك الجميع واطمئني ..

قطع جملته ليقترب منها ويأخذ وضعية القرفصاء ليقول بهمس وعيناه زائغة :

..سيطلبونك الكثير ، بالملاهي الليلية ودار العاهرات وكل الأماكن القذرة ستكون من نصيبك ، لا تجعليني أفقد أعصابي شهد ، أخذ روحك أنا ، أدمرك أقسم لك ، أجعلك تطلبين الموت ولا تجدينه ها..

أنهى كلامه بانفعال لتبتلع ريقها وهي تحاول كبح بكائها لتحرك رأسها موافقة .. وقعت بين نارين .. حسناً إن حدث وأخبرت زين لن تحمد عقباه وإن تمردت على زياد ستنتهي بالفعل .. ماذا تفعل .. أتهرب من الجميع مثلاً .. أتبتعد وتتخلى عن كل من تحبه أم ماذا ..

شبهت بكاءه لتحاول التوقف عن بكائها ولكنها لم تستطيع .. بينما زياد لم يفعل شيء سوى أنه توجه وملئ الكأس بالنبيذ وبدأ يرتشفه بهدوء عكس الغيظ والغضب اللذان بداخله بسببها ..

استدار لها ليقول بجمود :

..زين لن يقترب منك أتسمعين..

حركت رأسها موافقة وهي مازالت تكيكي ليردف لها قائلاً :

..بعد عدة أيام تطلبين منه الطلاق..

أجهشت بالبكاء أكثر من ذي قبل شاعرة بالعجز تماماً .. فليس من مصلحتها أن تتفوه بحرف الآن خصوصاً أنه غاضب جداً منها وليس بعيد أن يفتعل بها المصائب الآن ..

حدثها بحدة معيداً كلامه على مسامعها :

..تطلبين الطلاق ها ، وتبقين كما أنتِ أفهمين ، لا داعي لإغوائه كي يقترب منك..

لم تجيبه بكلمة ليتوجه هو ويفتح الباب ويشير لها بالخروج قائلاً :

..غرفتكِ أنتِ واللعين بجانب هذه الغرفة إذهي هيا ولا تنسين ما اتفقنا عليه..

نهضت لتخرج متوجهة إلى الغرفة بخطواتٍ متثاقلة بعد أن أعطها المفتاح لتدخل وترى زين يغط في نوم عميق .. توجهت لتجلس ناحيته وتتنظر له بجمود وعقلها بدأ يفكر ويفكر ..

مسحت دموعها بعنف لتحاول إيقاظ زين وبعد عدة محاولات استيقظ زين بفزع ليقول بصوتٍ ناعس :

..ما الأمر شهدي ما بك ، هل حدث شيء..

لم تجيبه بشيء فقط تنظر له بحزن ليعقد حاجبيه ويعتدل بجلسته ويقول :

..حبيبتي مابك ، ما الذي حدث..

عضت على شفتها السفلى لتقول بخفوت :

..أريدك زيني..

(هالبننت مابنتوب ☺)

رفع حاجبيه وفتح فاهه بصدمة ليحرك رأسه ببلاهة ليقول : ..هل أوقظتني من نومي كي تقولين ذلك ، حسناً الآن تذكرت مافعلتني بهي وأنا حزين منك ومغتاظ أيضاً لا أريدك..

نظرت له بغضب لتضربه على كتفه مما جعله يضحك عليها ويحتضنها بقوة ليقول بهدوء :  
..ما أسهلك يافتاة ، ظننت أنك ستخرجين عيناكي كي أحظى بك..

عبست وهي محتضنة إياه لتبدأ وتفعّل حركات عشوائية بسبابتها على صدره ليرفع زين ذقنها ويمتلك شفيتها بقبلة عميقة جعلتها مستسلمة له تماماً تلتها قبلات عدة ولمسات ..

لم تمنع أي شيء كانت لينة ورقيقة وبلهاء أيضاً تفعل مثلما يفعل وتحاول قدر الإمكان أن تكون محترفة مثله .. ضربت كل شيء بعرض الحائط ولم تفكر بشيء سوى بزوين وبطريقة امتلاكه لها ناسية تماماً زياد والذي أنجب زياد أيضاً .. ليختمان هذه الليلة بنشر الكثير من الحب في غرفتهما ..

بينما من الجهة الأخرى

زياد الذي ظن بأن شهد لن تعد تجرؤ على فعل أي شيء وستسمع كلامه ولن تتمرد عليه .. ابتسم بمكر ليمسك هاتفه ويطلب رقم شخص ما وبعد ثواني رد عليه ليقول له زياد :

..أريد قرار فصل لشهد من جامعتها وأيضاً قرار فصل لزين من المستشفى المختص بها وسحب شهادته أيضاً ، تكفل بالأمر وحالما تنتهي تعال وخذ حسابك..

أنهى اتصاله بعد أن اتفق مع ذلك الشخص المجهول ليتوجه ويتمدد على السرير متنهدا بارتياح وعلى محياه ابتسامة مأكرة ..

عيوني تنادي .. تلح

ولكن !! من أين آتي لها بالحياة ؟ والحياة هنا ، تقتل الحياة ..

---

مر أسبوع على حفل زفاف زين وشهد وقد قضيا هذا الأسبوع في الفندق ليعيشان أجمل لحظات حياتهما ..

طيلة هذه الأيام كانت شهد تحاول إزاحة زياد وأفعاله وحديثه من رأسها تاركة نفسها لزوجها وحببها فقط ..

حاول زياد مهاتفتها كثيراً ولكنها كانت تتجاهله ولا تجيبه أبداً ومن ثم فصلت هاتفها ولم تعد تشغله أبداً مما زاد من جنون زياد وتوعده لها بأفظع الأفعال حالما تسنح له الفرصة ..

كان زياد يفكر كثيراً بقصة اقتراب زين من شهد .. يسأل نفسه كثيراً إن كانت شهد تجرات وتركت زين يلمسها أم أنها سمعت كلام زياد ولم تفعل شيئاً معه ..

عقله يكاد ينفجر من شدة التفكير بها وبقصتها .. وقلبه تشتعل به نيران الغيرة كون ابنه المصون معها ..

في كل ليلة عقله يصور له الكثير من الأفكار .. أفكار بعيدة جداً لا تفارقه ولا تجعل منه سوى كالمجنون ..

عاد زين بزوجه إلى منزل والده مساء البارحة وقد فرحت سلمى كثيراً برؤيتهما فرحان ولكنهما لم يجلسا معها كثيراً فقد أخذ زين زوجته واختلى بها في الغرفة ولم يلحق زياد ليراهما أيضاً أو يوجه لشهد النظرات الحارقة والمتوعة كعادته ..

مما جعل شهد في حالة ارتياح شديد منه ومن دنائته .. ولكن بالنهاية لا مفر منه حتماً ستواجهه وستراه ..

-----

ضحكت شهد بطفولية وهي تشعر بيد زين على رقبتها لتطلق بعدها صرخة خافتة وطفولية .. بينما زين لا يفعل شيء سوى الضحك على ردة فعلها وغيرتها فهو يعلم أنها تغار من أن يدغدها من رقبتها بهذا الشكل ..

أبعده عنها بخفة لتحاول النهوض ولكنه أمسكها من معصمها وشدها إليه وحاوطها ليمنعها من الحركة ..  
ضحكت بخفة لتقول :

..ابتعد عني أيها الأبله كفاك ، يجب أن نهبط لكي نتناول الغداء مع والدتك..

ابتسم وهو يدفن وجهه برقبتهما لتكتمش شهد وتضحك قائلة :

..زين ابتعد أنا أغار هكذا..

ضحك بخفة ليقول :

..حسناً كما تريدين ولكننا لن نهبط إلى الأسفل سنبقى هنا..

شهقت شهد بخفة لتقول :

..لا لا هذا عيب ، ماذا ستقول والدتك عنا ها ، هيا هيا تعال لتتناول الغداء معها ، لقد قالت أن عمي ليس هنا لذلك لن ندعها تتناول الغداء بمفردها..

ابتسم على كلامها ليقول :

..حسناً سنتناول الغداء ومن ثم نعود إلى هنا ، اتفقنا..

ضحكت لتحرك رأسها موافقة وتهبط برفقة زين إلى الأسفل وتجلس بجانبه حول مائدة الطعام ومعهما سلمى .. ابتسمت سلمى بسعادة حالما رأتها مع بعضهما ليبدأوا بتناول الطعام بصمت ..

دقائق ودخل زياد عليهم ليلقي التحية ببرود ويجلس مترائساً المائدة .. ابتسم زين باتساع حالما رأى والده بينما شهد شعرت بالتوتر وابتلعت ريقها بتوتر ولم تتجرأ على النظر إليه ..

ابتسم زياد ببرود عندما رأى ردة فعلها ليقول بهدوء :

..مبارك لكما بني ، وأخيراً رأيناك ، ظننا بأنك قد نسيتنا بعد زواجك..

ضحك زين ليقول :

..لا لا أبي ولكن أنت بنفسك حجزت لنا في الفندق لمدة أسبوع..

مضغ زياد لقمته بهدوء ليقول :

..ليس هذا مقصدي أيها الأحمق ولكن على الأقل هاتفنا ، تحدث معنا ، طمئننا عليك وعلى زوجتك..

شدد على حروف كلمته الأخيرة ليضحك زين ويقول غامراً :

..تعلم أبي ، كنت مشغولاً بأموري الزوجية..

وبتوتر شديد تركت شهد ملعقتها وبدأت تنظر بأرجاء المكان بخوف كانت قد فشلت أن تخفيه .. مهم له زياد ببرود وبشبح ابتسامة مخفياً بحنكته وذكائه غضبه وغيظه ليبدأ كالعادة عقله يعيد له نفس السيناريو ..

حمحم ليتحدث زياد بأرق لكنة لديه :

..مبارك لكما بني ، أتمنى لكما السعادة الدائمة..

ابتسم زين ليشكره ويكمل طعامه بصمت بينما زياد وجه نظرة حارقة لشهد وتحدث بهدوء :

..لماذا لا نسمع صوت كنتنا الجميلة ، ولماذا لا تأكلين ياشهد هل تشعرين بالخجل..

ابتلعت ريقها لتتظر له بتوتر ومن ثم توجه نظرها لطبقها وتقول بخفوت :

..لقد شبعت..

ابتسم زياد بسخرية بينما زين تعجب من أمرها فهي لم تأكل إلا بضع لقيمات فقط .. استأذنت شهد وتوجهت فوراً إلى غرفتها ليلحق بها زين ليرى مابالها ..

لم يرف لزياد عين فقط ظل يأكل بصمت وسلمى تتظر له بهدوء وهو متجاهلاً إياها تماماً وكأنها غير موجودة ..

-----

وقف بصمت محدقاً بها ببرود .. يتابع تحركاتها وانشغالها بترتيب الصالة ليحمحم جاذبا انتباهها ملتفتة له بابتسامة ومهرولة ناحيته سريعاً لتحتضنه ..

أبعدها عنه بهدوء ليقول بجمود :

..إن أردتي بدلي ملابسك لنذهب وتتناول الغداء في مكان ما..

ابتسمت بتوتر لتحرك رأسها موافقة وتقول بصوتها الناعم والذي لطالما كان يجعل قلبه يرقص من جماله :

..حسناً دقائق وأكون جاهزة حبيبي..

تنهد بقوة وهو يتطلع لمكان فراغها بشرود وكلمتها الأخيرة تتردد بعقله وقلبه .. لطالما كان ينتظر منها هذه الكلمة منذ زمن وتصبح زوجته وشريكته ..

بادلته الحب بشكل جعلهما يخلقان من السعادة .. كانا متفاهمان جداً .. يعيشان حياة هادئة يغلفها الحب والجنون ..

ولكن أمر ما حدث لتتقلب كل الموازين بينهما .. أمر خرج منها ورآه عليها ليجعله ينصعق ويجافئها ويبتعد عنها بهدوء عكس الضجيج والبعثرة اللذان في داخله ..

منذ فترة ليست بطويلة وهو يجافئها .. حاولت سناء كثيراً أن تعلم ما سبب جفائه ولكنها لم تفلح .. فهو لا يعطيها فرصة الكلام معه حتى ..

الآن فرحت كثيراً لأنه يريد أن يدعوها على العشاء .. إذاً هذه فرصة لكي تتحدث معه وتعلم ما سبب جفائه وبعده عنها ..

إيهاب لم يكن يريد أن يحدثها بشيء من بعد ما رأى تلك الرسالة بهاتفها .. جملة صغيرة من المرسل قد بعثرت كيانه وجعلته يدخل في دوامة كبيرة .. مازالت تلك الحروف عالقة في رأسه وتأبى الخروج ..

يتذكر في يومها كيف أنه قد حمل هاتفها وبدأ يتصفح بشكل عشوائي من باب الفضول لا أكثر ولا أقل .. لتصل تلك الرسالة من شخص جعل إيهاب يتعجب كثيراً كونه يرسل زوجته ..

فهو لا يحدثها بل يحدث إيهاب ودائماً ما يسأله عنها ويطمئن عليها عن طريقه ..

في يومها فتح الرسالة ليصعق من الجملة التي أرسلها لها وقد كانت :

..إلى الآن لم أستطع نسيانك سناء ، كنت أحمقاً ومغفلاً عندما تخليت عنك وتزوجت من امرأتي ، إيهاب محظوظ جداً ، أنا حلمت وهو من حقق ، هنيئاً له..

وكان ضربة قوية أتته على رأسه .. لم يكن ليستوعب الموقف .. كيف كيف يحدث ذلك ؟ .. عقله تشتت وأفكاره تبعثرت .. لم يستطع حتى الكلام عندها ليخرج من المنزل غائبا عنها عشرة أيام دون معرفتها للسبب وقلبها يشتعل من خوفها عليه ..

انتشلته من شروده عندما حدثته بابتسامتها الهادئة والتي كشخصيتها تماماً :

..أنا جاهزة يا غالي..

لطالما كان يسمع منها هذه الكلمة كثيراً .. هذه الكلمة التي تجعله فرحاً جداً وتجعل غروره الذكوري يزداد كونه يمتلك امرأة جميلة وهادئة مثلها ..

نظر إلى هيئتها الهادئة وهندامها الأنيق والمرتب .. وجهها الناعم والبريء وخصلات شعرها الأسود ..

كيف !.. كيف تستطيع فعل ذلك به .. كيف تخدعه وتستطيع أن تختبئ وراء قناع البراءة الذي ترتديه .. حقاً  
محتالة ..

سقطت ابتسامتها عندما رآته سارحاً بها لتقترب منه وتقول :  
..إيهاب ما بك ، هيا أنا جاهزة..

نظر لها نظرة فارغة لتبتسم له وتحمل هاتفها وتضعه في حقيبتها الصغيرة وهو متابعا إياها بصمت ليقول لها  
بعد ثواني ببرود جملة قد جعلت قلبها يسقط أرضاً :  
..ماذا يوجد بينك وبين أخي يا سناء..

-----

في المساء

كانت شهد تقلب بقنوات التلفاز بملل منتظرة زين الذي خرج لأمر طارئ .. تنهدت بضيق ورمت جهاز التحكم  
لتنهض وتجلس مقابل المرأة لتبدأ بتسريح شعرها ووضع القليل من مساحيق التجميل الخفيفة ريثما يعود زين ..

سمعت صوت هاتفها يرن لتمسكه ويبدأ قلبها يطرق بعنف حالما رأت اسم المتصل زيااااد .. نفخت خديها  
بغضب لتتمتم بغیظ :  
..ألن يعتقني هذا اللعين..

كزت على أسنانها لتفصل الخط في وجهه وترمي الهاتف أمامها معاوداً زياد الاتصال بها .. نفخت خديها لتجيبه  
ببرود :  
..نعم..

أناها صوته البارد :

..كلمتان ولن أزيد عليهما تعالي إلى غرفة المكتب..

تحدثت ببرود :

..لن آتي فلنفعل ما شئت ، دعني وشأني..

ابتسم ببرود ليقول :

..حقاً أنت لا تريدين أن ترين ما أنا فاعلٌ بكِ ، أظن بأنكِ تذكرين الفيديو الذي أهديتكِ إياه في عيد ميلادكِ ، إن لم تأتي سأريه لزين وأقول له كم أن زوجته الصغيرة كلها أخلاق وتربية..

ابتلعت ريقها بخوف ليردف لها زياد ببرود :

..دقيقتان إن لم تكوني عندي سترين زين يدخل عليكِ بعد نصف ساعة فقط كالمجنون اتفقنا..

فصل الخط في وجهها لتنظر شهد للهاتف بذهول ومن ثم ترميه على السرير بغضب وهي تشتم وتلعن به .. استسلمت شهد وبدلت ملابسها فقد كانت ترتدي ملابس مريحة لتتوجه ناحية غرفة المكتب وتدخل لتجلس أمامه بجمود ..

نظر لها ببرود ليتوجه ناحيتها ويجلس على يد الأريكة الجالسة عليها هي ويقول :

..هل اقترب منك..

نظرت له رافعة حاجبها ولم تحببه ليكرر السؤال على مسامعها ولكنها ظلت صامتة .. كانت تفكر أنتجراً وتقول له أم تصمت وتكسب نفسها وروحها .. هي حقاً في حيرة ..

تريد التخلص منه وبذات الوقت تريده أن يعلم أنها لن تكون له ولو طبقت السماء على الأرض ..

ابتلعت ريقها لتغمض عيناها وتقول :

..لقد فعلت مثلما قلت لي..

حدثها بهدوء :

..وما قصد زين عندما قال أنه كان مشغول بأموره الزوجية..

ابتسمت بسخرية ولؤم لتقول :

..بالطبع يقصد أنه يحاول معي ولكنني أنا كل يوم أخترع له قصة كي لا يقترب مني..

همهم لها ليقول :

..ولكنه قالها بخبث أي أنه اقترب منك صحيح..

نفخت خديها بغضب لتقول بنفاذ صبر :

..أنت ماذا تريد بالضبط فقط قل لي ، حسناً اقترب مني ، أليس هذا الذي يصوره لك عقلك ، حسناً كما تشاء..

أمسكها من معصمها وأنهضها ليقول بحدة :

..شهد لا تختبرين صبري أفهمين ، قولي لي ما الذي حدث..

بترت يدها بعنف لتقول بحدة مماثلة :

..صدقني لقد مللت منك ، أنت ماذا تريد ها ، حتى وإن لم يقترب مني وحتى وإن تطلقت من زين لن تستطيع أنت أن تتزوجني لذلك وفر على نفسك كل الذي فعله واعتقني حباً بالله..

ابتسم بحدة ليرفع حاجبيه ويقول :

..أتريدين أن تعلمين ما الذي يصوره عقلي تجاهك ياشهد..

كنت يدها لتقول بلوم :

..لا يهمني ما الذي يصوره عقلك ، الذي يهمني أن تدعني وشأني..

قالها بتساؤل :

..وإن لم أفعل..

نظرت له ببرود ولم تنطق بحرف لتنتهد بعمق وتحاول الخروج ولكنه منعها .. انكشمت ملامحها من طريقة إمساكها لمعصمها بعنف ليقول بهمس حاد :

..شهد فقط قولي لي كيف أتعامل معك ، بأي أسلوب ، بأي طريقة ، ما الذي يرضيك ها ، فقط تحدثني أيتها اللعينة..

أنهى جملته بصراخ لتتحدث بحدة :

..ما الذي تهذي به ياسيد زياد فقط أفهمني ، هل حقاً أنت واع لما ترمي إليه ، هل أنت واع لما تتصرف به منذ أن بدأت بملاحقتي والتحدث بحبك الأحمق ومشاعرك تجاهي ، هل تستوعب مدى فداحة الأمر ، اقتنع وارحمني فقط أرجوك ، أنا زوجة ابنك الوحيد ، زوجته ولا يحق لك التعامل معي بهذا الشكل ، قبل أن يكون هذا الشيء خاطئ فهذا الشيء حرام ، حتى وإن لم تقتنع بكل ماسبق أنا لن أرضخ لك ، لن أدعك تدمر حياتي برفقة ابنك ولن أشاركك هذا الحب المريض..

عض شفته ليخمد غضبه وهو ينظر بعيداً عنها بصير بعد أن تفوهت بتلك الكلمات .. تتمم بتحذير وهو يشد على قبضته :

.. لا تضطريني لأمزقك بين يدي ، أغلق فمك اللعين ولا تنفوهي بكلماتٍ تغضبني..

ضحكت شهد بغضب وهي تناظره بحقد لتقول :

.. ليست مجرد كلمات وإنما حقيقة ولم يعد يهمني إن أغضبتك أم لا ، إفهمها أنا ملك لزين فقط..

ضرب رأسه بيديه وهو يتنفس بغضب .. خائف من فقدان سيطرته على نفسه وافتعال الجنون بها .. هسهس لها بحدة :

..قلت اصمتي ولا تدعيني أرتكب جنوني بك ، لا تنفوهي بهذه الكلمات مرة أخرى ، لن أراجع عما أفعله ، لا يهمني كل الذي تفوهتي به للتو..

ابتسمت بسخرية وحركت رأسها بياس شديد منه .. تنهدت بحدة وهي تنظر له بحدة لتهم بالخروج ولكن للمرة الثانية يمنعها من الخروج ..

كزت على أسنانها بقوة لتمتم بغضب :

..دعني وشأنك وكفكك جنوناً أيها العجوز الخرف ، كم مرة سأعيد كلامي ، حتى وإن لم تقتنع وحتى وان استمررت بأفعالك المجنونة سيأتي يوم وأخلص منك ومن لعنتك هذه..

شدها من ذراعها ليهسهس بكره أمام وجهها :

..سأدمر الدنيا قبل أن يأتي هذا اليوم صغيرتي..

وبغضب منه وأفكاره السوداء التي سيطرت على عقله من فكرة اختفائها من حياته دفعها بعنف لتصتدم بالحائط ويحاصرها بين يديه ويردف لها بهمس :

..أنا جحيمك الأبدى ياشهد ، اقتنعي بذلك جيداً ، لن ينفعلك زين ولا والديك ولا سلمى ولا أي شخص في هذه الدنيا سواي ، أنا فقط من ستظلين برفقته إلى يوم مماتي وسترين..

أنهى جملته بابتسامة حادة ليسحب رأسها ويلتهم شفيتها بجوع ولكن شيء ما أوقفه وجعله يبتعد عنها هو فتح الباب عليهما وتسمره بمكانه هو وشهد التي شعرت بأنها سيغمى عليها ..

"أصبح الصمت مضاعفاً ، و كل الأحاديث ذابت في ظلام مملوء بأصداءٍ بعيدة"

لقد كانوا على درجة من الصدمة والذهول بحيث لم يتمكن أي شخص منهم التحدث بكلمة ..

حسناً زياد الذي يتقن فن إخفاء ردود أفعاله الآن عاجز حتى عن الالتفات ليرى من الذي فتح الباب عليهما ..

شهد لم ترفع نظرها وظلت مغمضة عيناها بخوف وهي تذرف الدموع ..

صوت عميق تخلله هالة من الصدمة ليذوي ويقول :

..ما الذي يحدث هنا..

تنفس زياد بعمق ليستدير وينظر لابنه الواقف وهو بحالة صدمة حرفياً .. بينما تبعته سلمى لتعقد حاجبيها بتعجب وهي ليست عالمة بشيء ..

امتعض زياد بوجهه ولم يتفوه بحرف ليكرر زين سؤاله على مسامعه وأيضاً يتجاهله زياد متوجهاً إلى وراء مكتبه والاحتساء من كأس النبيذ بكل صمت وبرود ..

وجه زين نظره لشهد الواقعة مثلما هي ولم تتحرك أو تفتح عيناها حتى .. تقدم ناحيتها ليمسكها من معصمها وتفتح عيناها هي وخطوط الدموع لديها تأخذ مجراها ليحدثها بهمس حاد :

..ما الذي كنت أراه أنا هنا ها..

ابتلعت ريقها بخوف ولم تستطع التفوه بحرف ليصرخ بها قائلاً :

..تحدثي..

جفلت من صراخه وازداد بكائها لسمع زين صوت زياد يحدثه ببرود :

..لماذا تصرخ عليها هكذا ، كنت أنبهها على شيء ما..

ابتسم زين عدم تصديق ليقول :

..كنت تنبهها وأنتما تقفان بهذه الوضعية أليس كذلك..

ظهرت ابتسامة زياد الباردة ليقول :

..هل تشكك بأبيك ياولد..

قطع جملته لينظر له زين بغضب وينهض زياد متوجهاً ناحيته ليردف قائلاً بسخرية :

..أم أنك تشكك بزوجتك الصغيرة..

اصطقت أسنانه ليغمض عيناه بقوة ومن ثم نظر لوالده ليقول بهمس حاد :

..أريد أن أعلم ما الذي يحدث هنا..

تقدمت شهد لتحاول كتم شهقاتها وتحاول تبرير الموقف وتقول بصوتٍ متقطع :

..صدقني ليس هناك شيء فقط هو .. ..

بترت جملتها ولم تعلم كيف ستكمل ليعقد زين حاجبيه بغضب ويقول :

..هو ماذا ها..

تنهد زياد بقوة ليقول :

..زوجتك لا تجيد التعامل مع الآخرين ، هي حمقاء للحد الذي يجعلني أندم على اليوم الذي ذهبت لخطبتها لك..

ابتلع زين ريقه وهو بحالة صدمة من كلام أبيه ليقول بتسأول :

..ما الذي فعلته شهد لكي تتحدث هكذا أبي..

وبخباثة ودنائة منه أجابه ببرود :

..تصرفها ونحن على مائدة الطعام لم يعجبني ، كنت أسألها بكل هدوء وهي تركت كل شيء وتوجهت إلى غرفتها وكان عاهر من يحدثها هذا أولاً ، ثانياً قل لها طالما هي في منزلي لا ترتدي هذه الثياب إنها فاضحة ، ماهذا الذي ترتديه كنزة من غير أكمام وصدرها ظاهر وبنطال ضيق يكاد يتمزق من ضيقه عليها ، ليست هذه المرأة التي كنت أطمح أن تكون زوجتك يازين ، وانتبه لا تخف على زوجتك الصغيرة من أبيك فأنا أنبهها لأنها زوجة ابني الوحيد ولكن أريد أن أسألك لو أنه لديك أخوة شبان كنت ستسمح لها بالخروج أمامهم هكذا أو أنه لا يعينيك الأمر وستظهر زوجتك أمام الجميع هكذا..

حدثه زين بذهول وتبرير :

..أبي هي من يوم يومها ترتدي هكذا ما الذي تغير..

صرخ زياد به وطبعاً بصراخه قد قلب القصة لصالحه ليقول :

.. طالما أنها في منزلي ستحترم مالك هذا المنزل وأنت أيضاً طالما أنك في منزلي ستتحكم في تصرفات زوجتك وطريقة لبسها وكل شيء يخصها ، هي الآن بحكمنا ولها الشرف أن تدخل عائلتنا وتكون زوجتك ولكن فلتعلمها كيف تجيد التصرف أمام عائلة زوجها وسائر الناس..

استنكر زين حديث والده وقد شعر بالضيق من طريقة كلامه ليقول :

..أبي أرجوك أنت تحمّل الموضوع كثيراً ، ثم أنك تشعرني بالتناقض ، ها أنت تشرب النبيذ منذ زمن ألا يعد هذا شيء سيء بالنسبة لك ولنا ولعائلتنا..

ابتسم زياد بسخرية ليقول :

.. لا شأن لك بي ، بالنهاية أنا رجل ، ولكن هي دخلت إلى عائلتنا ويجب أن تحترم نفسها وتحسن التصرف ، الناس عندما تراها بهذا المنظر سيتحدثون عنك وعني وليس عنها أيها الغبي..

تنفس زين بعمق وهو يقلب كلام والده بعقله .. حسناً معه حق في حديثه ولكن لا يجب عليه أن ينبهها هو .. كان عليه أن يتحدث مع زين بهدوء لكي يبنه زوجته الصغيرة على طريقة لبسها وليس هو ..

أكمل زياد حديثه قائلاً :

.. غير أنها لا ترتدي ثياباً مناسبة هي قليلة الحياء فطريقتها في الكلام معي لم تعجبني أبداً ، واحذر ماذا ، أنا من طلبت منها أن تأتي إلى هنا..

تابع حديثه بلؤم وسخرية :

..مؤكد لن أذهب إلى غرفتكما لكي أحدثها هناك يعني ، أردت أن أحدثها بهدوء وأنبهها ولكنها سليطة اللسان ووقحة للحد الذي جعلني أفقد أعصابي وأحاصرها لكي أحطم رأسها ولكن دخولك علينا قد نجاها مني ومن غضبي..

جحظت عينان زين عندما سمع بحديث والده .. حسناً هو لم يعجبه تصرف والده مع زوجته ولكن أيضاً لا يسمح لزوجته أن تقلل من احترامه .. هذا ليس بقاموسه أبداً وسيكون حسابها عسير جداً ..

نظر لشهد التي كانت الصدمة متمكنة منها .. صدمتها الظاهرة وخوفها الذي يكبر بقلبها من هذا الشيطان الذي أمامها ..

تنهد زياد بحدة ليقول :

.. جيد أنك دخلت بالوقت المناسب بني وإلا صدقاً كنت سأحطم رأسها ، فلتعلمها احترام من هو أكبر منها ، أم أنك ستصف بجانبها كالأبله وأشعر بالخجل من ابني الوحيد الذي جرته امرأة صغيرة ها ..

أنهى جملته بلوم و حدة ليصدم زين من كلامه ويقول مبرراً بتوتر :

.. لا لا أبي ، ما الذي تقوله أنت ، أيعقل بأن أسمح لها بالتطاول عليك مثلاً ، هي فقط صغيرة ومدللة ولا .. ..

قاطعه زياد صارخاً بانفعال :

..إذاً فلتبعثها إلى والديها لكي يعيدان تربيتها لسنا مضطرين لتربية الأطفال في منزلنا ، بنظرنا نحن قمنا بتزويجك من امرأة مسؤولة وليس من طفلة مدللة وسليطة اللسان أيضاً ..

ابتلع زين ريقه بتوتر ليقول متداركاً الأمر :

..حسناً أبي لا تغضب ، شهد تعتذر منك عن كل ما بدر منها وأنا أعتذر منك أيضاً ..

نظر له زياد بغضب ومن ثم ارتشف كأسه دفعة واحدة ليشيح بوجهه عنه ويقول :

..اخرج أنت وهي لا أريدكما أمامي ، وأتمنى أن لا يتكرر هذا الشيء مرة أخرى ، وإلا صدقتي يازين لن يكون لها مكان في هذا المنزل ..

أخذ نفساً عميقاً ليحرك رأسه موافقاً ويقول :

..حسناً أبي ، لا تؤاخذها هي حمقاء وسأعلمها كيف تحترم الآخرين ..

نظرت شهد لزين بذهول وبفاه مفتوح والذي كان يناظرها بغضب ليمسكها من معصمها ويتوجه بها إلى غرفتهما .. بينما سلمى ظلت واقفة تناظر زياد بكل برود ..

نظر لها زياد ببرود مماثل ليقول :

..اخرجي أنت أيضاً لا أريد أن أرى وجهك ..

تجاهلت حديثه وتقدمت لتقف أمامه وتقول :

..حدثني بالحقيقة زياد ، شهد ماذا كانت تفعل عندك..

ابتسم ببرود ليقول بسخرية :

..كانت تأخذ مني ميعاد..

رفعت سلمى حاجبها ليرد لها باستنكار :

..أظن بأنك سمعتي الحديث أم أنك فقدت السمع..

ابتسمت بسخرية لتقول :

..أنت تعلم أن شهد تجيد التصرف وتحترم الآخرين ويعمرها لم تقل من احترام أحد وخصوصاً أنت ، دائماً عندما كنا نجلب سيرتك لا تتحدث عنك إلا بكل احترام وتقول لي أنه واجب عليها احترامك فهي تعتبرك كوالدها تماماً ، لا تظلم الفتاة وقل لي ما هو الشيء الذي كنت ستفعله وتداركت الأمر وقلبت القصة لصالحك حالما دخل ابنك..

ضحك زياد على كلام زوجته وتوجه إلى وراء مكتبه .. غير أنه غاضب من شهد فهو أيضاً يغضب من حديث زوجته ولا يطيق سماع صوتها وهي تعلمه بحقيقته ..

ولكي لا يحطم وجهها فقد توجه وجلس وراء المكتب فقط حرصاً عليها من فقدان أعصابه ..

يعلم جيداً أن سلمى تحفظه عن ظهر قلب وتعلم بكل شيء يخصه .. تعلم بماذا يشعر وتشعر به .. تشعر به أكثر من نفسها ..

امرأة ذكية ورزينة مثلها كانت قد ركضت وراء زياد في شبابها كالبلهاء فقط لكي ينظر لها وبالفعل استطاعت بصفاتها الرائعة والتي تعجب أي شاب أن توقعه في شباكها ..

لها الكثير من الأشياء الجيدة في حقه .. ولها الحق عليه بكل شيء .. لو أنه أفنى عمره كله وكزس حياته كلها لها لن يوفيهما حقها بكل شيء فعلته لأجله وبكل الأمور التي ساندته بها ..

لم يكن هو حلم لكل امرأة ولكن هي كانت حلم لكل شاب رآها .. طمع بها الكثير وأحبها الكثير ولكنها لم تقع سوى لزياد الذي لم يكن ينظر لها حتى ..

يعلم أنه ليس بعيد عليها أن تكون سلمى تعلم بحبه لشهد ولكن هو ماكر ومرارغ للحد الذي يستطيع أن يخفي مشاعره وحبه لشهد ..

كما فعل الآن تماماً .. لقد استطاع بكل بساطة أن يقنع زين بأن زوجته مخطئة ومتأكد جيداً أنه سبب لها مشكلة كبيرة الآن مع زوجها ولن يصمت لها زين وسيحاسبها ..

بثانية كان سيكتشف أمره من قبل ابنه ولولا حنكته لكان الآن زين يثور عليه هو وليس على شهد ..

بسبب ضئالة حجم شهد وبسبب ضخامة جسد زياد لم يستطع زين أن يرى أن والده يقبلها فقد رآه مقرباً منها وهذا كان لصالحه وإن لم يكن لصالحه سيدع الأمور تجري لصالحه ..

فهو لا يصعب عليه شيئاً .. إلا تلك المرأة الواقفة أمامه ببرود مكثفة يداها ومنتظرة منه جواباً شافياً .. تلك التي لطالما كانت مصيبتة ..

امرأة محنكة بكل شيء يخصه هو فقط وليس بما يخص الحياة والمواقف التي تحدث معها هي ..

تنهد بعمق بعد دوامة كبيرة من الأفكار والمشاعر ليقول بهدوء :  
..سلمى اخرجي من أمامي..

بالرغم من أنها تعلم أنه سيثور عليها ولكنها تجاهلت كلامه وجلست أمامه لتقول :  
..ماقصتك مع شهد يازياد ، حدثني وصارحني..

ابتسم بسخرية ليقول ،

..بماذا سأحدثك وما الذي سأقوله لك مثلاً ، أنقول لك أنني واقع لها مثلاً أم أنني أحبها أم أنني أسعى لخراب بيتها وتطليقها من ابني ، ما الذي يعجبك لأقوله لك ، اختاري كما تحبين ياسيدة سلمى هه..

ابتسمت ببرود لتقول :

..لا تكثر من هذا الكلام لربما أصدقك..

حدثها ببرود غير مكترثاً لها :

..وصدقي ماذا أفعل لك ، إن صدقتي أم لم تصدقي ، إن علمتي ما بي أم لم تعلمين لا يهمني أسمعيني..

لم تتفوه بحرف فقد ظلت كما هي تناظره ببرود ليقول بجمود :

..وهيا اغربي عن وجهي لست متفرغ لك ولخيالك الواسع ومحاضراتك التي تسمعيها إياها كل مرة ، أنا أعرفك أكثر من نفسك ، أشعر بك ، تهمني كثيراً لأنك زوجي وسندي والكثير الكثير من الكلمات التي تجعلني أشعر بالملل..

أنهى جملته بلا مبالاة بعد أن كان يقلد حديثها بحالمية مصطنعة لتدمع عينان سلمى وتقول بجمود :  
..أتمنى من كل قلبي أن لا تجرح قلب ابننا يا زياد ، أتمنى أن لا تكن لعنة قد أصابتك لتدعك تؤذي ابنك..

قهقهه بصدمة ليقول بحدة وعيناه تشع غضب :

..أؤذي ابننا ها..

انفعل لينهض ويقف أمامها ممسكاً بشعرها ليقول بصراخ :

..أؤذيه بماذا أيتها اللعينة هيا تحدثي..

أغمضت عينهاها بألم لتقول بحدة :

..تعلم ماذا أقصد يا زياد ، لا داعي لخداعي ، أنا أعلم أنك لا تكن لزين سوى الحقد لذلك تريد أن تفشل له زواجه ، تعلم كم أنه متعلق بشهد لذلك تريد حرمه منها أليس كذلك..

ابتسم بحدة ليدفعها على الأريكة ويتوجه بخطوات بطيئة ويغلق باب المكتب ويقفله .. حركته تلك جعلت سلمى تتلعل ريقها ليتقدم منها بخطوات بطيئة ويأخذ وضعية القرفصاء أمامها ليقول بهمس :

..حسناً ياسيدة سلمى..

أمسك خصلة من شعرها وسحبها بخفة ليقول :

..ما رأيك أنني أريد أن أؤذي ابننا بزوجه وأمام عينيك ، ستشاهدين كل شيء أمامك وبالتالي ستصمتين ولن تتفوهين بحرف ها..

ابتلعت ريقها بخوف لتقول بتوتر :

..زياد أنا لا أفهم عليك ، أرجوك لا تجن اتفقنا..

ضحك بخفة ليقول بأعين متوسعة :

..ألست أنتِ من تقولين أنني سأؤذي زين ، حسناً سأؤذيه وأمام عينيكِ وأنتِ كاللعينة سترضين وتصمتين ما رأيكِ..

حركت رأسها رافضة بعنف لتقول :

..ربما أنا أخطأت الظن بك زياد ، ربما أنا انفعلت قليلاً وفهمتكِ بشكلٍ خاطئ ، أنا آسفة حقاً أنا آسفة..

تعلم جيداً أن زياد يفتعل الجنون حتى وإن كان بابنه .. يضحى به أجل فهو قد حدث مرة وضحى بها وباعها أيضاً وكله من وراء جنونه .. فلما لا يفعل المثل مع ابنه أيضاً من وراء جنونه ونفسيته الحقيرة ..

ابتسم بعمق ليمرر يده على وجنتها ويقول بهمس وهو رافعا حاجبيه :

..هكذا أريدكِ ، داري على شمعتكِ يهانم وإلا جنوني سيصل إلى أن أبيعكِ بأرخص الأثمان أنتِ وابنكِ وزوجته الغالية على قلبكِ ، قولي أنني لعين سافل مريض ابن عاهرة ليس بقلبي ذرة رحمة ، أنا هكذا وهكذا خلقت ، إما أن تتقبليني وإما أن تخرجين من هذا المنزل بلا رجعة..

همهم في آخر جملمته ليبتسم لها ابتسامه صفراء بينما هي تتبلع بخوف ليردف لها بحذر :

..وأزيدي على الشعر بيت أيضاً ، كما قلبت القصة الآن لصالحى وإوهام زين أن زوجته مخطئة أستطيع أيضاً أن أقلب زين ضدكِ وكرهكِ اتفقنا..

أغمضت عيناها بأسى لتحرك رأسها موافقة وتخرج فوراً من غرفة المكتب تحت نظراته الخبيثة ..

حالما سمع صوت إغلاق الباب حتى دوى صوت ضحكاته الخبيثة والمريضة والتي لم تتوقف أبداً مستمراً بها وكأنه مريض ..

-----

من الجهة الأخرى

زين الذي أدخل شهد إلى الغرفة ودفعها على السرير بعنف .. تنهد بحدة ووضع يديه على خصره ليقول بحدة :  
..ما الذي فعلتبه مع أبي ياشهد..

لم تتطرق وإنما اكتفت بالصمت والبرود ليردف لها بصراخ :

..أجيبني هيا..

انتفضت بمكانها لتقول بانتحاب :

..لم أفعل شيء صدقني ، والدك يقابلك ضدي ، هو يكرهني لذلك يتحدث عني هكذا..

جحظت عيناه ليقول :

..والدي يكرهك أيتها الغبية ، ولماذا سيكرهك ، ولماذا سيهدر وقته في كرهك والتفكير بك حتى ، من أنت حتى يكرهك أو يحبك ها..

رغم مرارة حديثه وقهرها من زوجها إلا أنها تتفهم ردة فعله .. فذلك اللعين قد حبك القصة جيداً وعرف من أي باب يدخل لكي يحرض زين عليها ..

تنهدت بثوة لتنهض وتقف أمامه وتضع يدها على وجنته وتقول بركة :

..أنا زوجة ابنه ، زوجتك أنت التي تحبك كثيراً يازين..

همهم لها بحدة ليقول :

..لأجل ذلك لا تحترمينه ، افهمي ياشهد افهمي أنك في منزله ، ليس منزلي لتسرحي وتمرحي به كما تشائين ، لا يحق لك فعل ما فعلتيه ، أحسنني التصرف معه واحترميهِ وإلا لن يدعك في هذا المنزل وبصراحة لن أمنعه في المرة القادمة إن تجرأتي وكنتي سليطة اللسان معه ، احترام والداي مفروض عليك وغصباً عنك وإلا منزل أهلك ينتظرك أتسمعين..

نظرت له بذهول لتبتلع ريقها وتحاول مداراة الأمر لتقول مبررة موقفها الضعيف أمامه :

..زين أنا أحترمه كثيراً هو بمقام والدي كيف لا أحترمه..

ضيق عيناه ليقول بغضب :

..أتريدين أن تقولين أن والدي يكذب مثلاً ويفتري عليك أم ماذا ها..

بررت بتوتر وهي تفرك بأصابعها :

..ليس هذا قصدي وإنما.. ..

قاطع كلامها ليقول بانفعال :

..ثم أنه حقاً معه حق ، ما هذا اللبس الذي ترتدينه ، من الآن فصاعداً لن ترتدين هكذا فلتغيري طريقة لبسكِ  
أنتهمين..

لم يكن يجدر بها سوى الامتثال لأوامره فقط لتداري الأمر ولو لليوم فقط .. هي تعلم أنه غاصب من اتهامات  
أبيه وانفعاله وصراخه عليه لذلك هي متفهمة للأمر ولم تجادله بشيء وإنما اكتفت بالصمت ..

تنفس زين بعمق وهو يمسح على وجهه ليهدأ من روعه قليلاً .. نظر لها وقد كانت جالسة على السرير تفرك  
بأصابعها وعلامات الاستياء بانث على وجهها ..

تقدم وجلس بجانبها لينظر لها بعبوس مصطنع ويقول :

..هذا ما يجلبه الزواج لنا ، التهزيئات والكلام المسموم من والدي ياهانم..

ابتسمت له بتوتر ولم تتفوه بحرف ليمتعض ويشيح بوجهه عنها .. استأثت من تصرفه فقد ظنت أنه سيصالحها  
ولكنه لن يبارد غير عالمة أنه منتظراً إياها لكي تبادر وتحدثه بكلمة هادئة جميلة ..

وضعت يدها على كتفه وحدثته بخفوت :

..أنا أسفة زيني ، لن أكررها ، فلتحزن الدنيا كلها مني وأنت لا تحزن أرجوك..

أنهت جملتها بهمس ليستدير لها زين بابتسامته الواسعة ويسحبها ليعتصرها بين يديه بعناق طويل جعلها تضحك  
بخفة ..

ابتسم حالما سمع ضحكتها ليخفف من عناقها ويداعب وجنتها وهو ينظر لها بحب ليقول :

..لا تجالين لنا الكلام بعد الآن أسمعين..

حركت رأسها موافقة بابتسامته لتقول بصوتٍ طفولي :

..حاضر بابا..

قهقه على كلمتها ليقول بمكر :

..سترين بابا ما الذي سيفعله بك الآن يا صغيرة..

وصدح صوت شهد في الغرفة وهي تحاول التملص من بين يدي زين وهو يدغدغها وضحكاتهما تملأ المكان وكأنهما لم يكونان منذ قليل في موقف عصيب لا يحسدان عليه ..

"حبك يا عميقة العينين

تظرف .. تصوف .. عبادة .. حبك مثل الموت والولادة

صعب بأن يُعاد مرتين"

-----

يومان من البكاء والدموع وهي جالسة في منزلها بمفردها .. تكاد لا تحتلم كم الألم الذي سببه لها بكلماته السامة التي قالها بحقها ..

كانت تدرك تماماً كيف أنه يأتيها شخص على مقاس أمنياتها وأحلامها .. ملامحه .. صوته .. كتفه المخلوق لسند رأسها .. طيشه .. هدوءه وجنونه .. طريقته في الحديث معها .. في الإنصات إليها .. تحمل عصبيتها .. ذوقه الموسيقي .. ثقافته في الحياة ..

أن يمنحها كل شيء تمنى أن يمنحه لها أحد ومن ثم يخيب آمالها كلها .. يعطيها كل شيء ويأخذ منها كل شيء بلمحة ..

تشعر وكأنها لا تعرفه .. ليس ذلك الشخص الذي كان معها كما أرادت وإنما شخص آخر قد تبدل وتحول مجرد أن سمعت منه كلمات جارحة تغرز وتسبب جرح عميق في قلبها ..

تذكرت ذلك اليوم عندما هزأها واتهمها بالعهر والسفالة والخيانة .. كيف أنه صرخ عليها إلى أن تعب .. كيف أنه كسر وحطم في البيت وقلبه رأساً على عقب ..

لم تستطع في يومها أن تنطق بحرف بعد ما سألتها عن علاقته بشقيقه .. تشتت تفكيرها ولم تعلم من أين له أن يعلم ماضيها مع شقيقه ..

أسئلة عدة كانت تدور في خلدتها تحت أثر الصدمة .. إلى أن نفذ صبره من انتظاره لها بالإجابة ليبدأ بتحطيم وتكسير كل شيء يراه أمامه وشتمها بالألفاظ البذيئة واتهامها بالعهر ..

لم تنسى حرف من كلماته السامة التي اتهمها بها .. وأكثر جملة قالها لها بصوت غاضب وحاد قد أثرت بها وجرحت قلبها هي :

..لم أكن أعلم بأنني قد تزوجت من امرأة كانت عاهرة لأخي ، حقاً لم أكن أعلم بكمية الوساخة التي تعيش في منزلي..

وهو كرجل غاضب وبدخله كمية قهر منها ظناً منه أنها كانت تخدعه طيلة فترة معرفته بها وزواجه منها كان قد أخرج كل شحنته السلبية بها ..

أخرج قهر كل الأيام التي كان صامتا بها منذ أن رأى الرسالة ولم يبالي بها أو يتريث ويهدأ أعصابه لتبرر موقفها .. ومن ثم خرج من المنزل ومنذ يومان لم ترى وجهه أو تعرف عنه شيء ..

شهقت ومسحت دموعها بعنف لتمسك هاتفها بيد مرتجفة وتطلب رقم والدتها والتي مقيمة خارج البلاد هي وزوجها وابنها ..

انتظرت دقيقة واثنتان إلى أن علق الخط وأجابتها والدتها بنبرة حنونة ومشتاقة :  
..أوه ابنتي الجميلة ، اشتقت لكِ حبيبتي..

كتمت سناء شهقتها لتقول بصوت جاهدت أن تخرجه طبعي :  
..وأنا أيضاً أمي..

صمتت قليلاً ولم تتحدث بأكثر من ذلك لتعقد حاجبيها والدتها بتعجب وتقول :  
..مابك يا ابنتي ما الذي يحدث معكِ ، هل أنت بخير ، هل زوجك يعاملكِ معاملة جيدة..

تحدثت سناء بإصرار وهي تنظر بشرود :  
..أريد أن أطلب الطلاق منه وسأسافر إليكم أمي..

---

أسدلت السماء عتمتها وتلك الفتاة تمشي بمفردها بالشارع .. لم يكن الشارع مظلم ولكن لم يكن به الكثير من الناس .. وهذا مازاد من خوفها قليلاً ..

لا تريد أن تتعرض لنفس الموقف مجدداً .. لعنت تحت أنفاسها وهي توبخ نفسها كونها خرجت بمفردها .. كان يجب عليها أن تنتظر أخيها ريثما يجيبها على الهاتف ويأتي هو ليأخذها من منزل صديقتها ..

أسرعت بخطواتها قليلاً والذعر قد تمكن منها عندما شعرت بخطوات أحدهم خلفها .. لم تلتفت أبداً فقط تمشي بخطوات سريعة وهي تدعي الله أن ينجيها وتصل بالسلامة إلى منزلها ..

صرخت بفرع عندما شعرت باليد التي أمسكتها من معصمها وأدارتها له .. جحظت عيناها حالما رآته أمامها لتبعد يدها عنه بعنف وتبتعد عدة خطوات بخوف منه وهي تخرج شيئاً ما من حقيبتها ..

ابتسم ذلك الشاب والذي يدعى بـ مصعب ليقول بخبث :

.. أهلاً بحبيبتي الصغيرة ، كيف حالك يا جهاد ، ها لما أنتِ خائفة وترتجفين مني هكذا ..

ابتلعت ريقها وهي تعود بخطواتها للوراء بينما هو يتقدم منها وابتسامته الماكرة بانته على شفثيه لتقول بتحذير وأعين حادة وخائفة :

.. ابتعد عني يا مصعب ودعني وشأني ، يكفي مافعلته بي في المرة السابقة ، اتركني وإلا ستندم هل تفهم ..

ضحك بخبث وهو يتقدم منها ليقول بتوعد :

.. لدينا حساب عسير يا جهاد ، فأنا لم أنسى مافعلته بي وكيف أنكِ ضربتيني على رأسي وهربتني في ذلك اليوم ..

صرخت بوجهه قائلة :

.. كنت تريد الاعتداء علي ألا تريدني أن أمنعك ، أنسيت مافعلته بي ..

ابتسم بمكر ليقول :

.. لم أكن أريد أذيتك فقط أردت فعل أشياء بسيطة معك يا حمقاء ولكن أنتِ معقدة ..

كزت على أسنانها لتدفعه من صدره ويسقط هو أرضاً بينما هي قد فرت هاربة منه وركضت بأقصى سرعتها ولكنه لحق بها فوراً وفاق خطواتها الراكضة واستطاع الإمساك بها لتصرخ هي وتحاول الإفلات منه ولكن دون جدوى ..

حملها وتوجه بها ناحية طريق يابسة مليئة بالأشجار .. دفعها على الأرض واعتلاها بينما هي تصرخ عل أحد يساعدها ولكن لم يكن هناك أحد ..

نفس المشهد يعاد معها ونفس الشخص الذي يريد الاعتداء عليها .. ليست بتلك السهولة لتتركه يفعل بها مايريد .. منذ ذلك اليوم وبدخلها حقد شديد عليه بسبب مافعله معها ..

أولاً محاولته في الاعتداء عليها وثانياً تشويه سمعتها بين زملائها في الجامعة على أنها فتاة منحرفة وملتوية ..

نعم ياسادة بالطبع شاب كمصعب سيفعل ذلك ويشوه سمعة الفتاة فقط لأنه لم يستطع أخذ منها مايريد ..

أبعدته عنها بعنف لتنهض واقفة وللمرة الثانية أراد أن يدفعها على الأرض ولكنها عضت له يده مما جعله يفلتها ويتأوه بالأم ..

تراجعت للخلف وهي ترتجف ويبيدها قارورة صغيرة لتقول بصراخ :

..أقسم لك إن اقتربت مني سأشوه لك وجهك أتفهم ، دعني وشأني يامصعب..

ضحك بقوة وهو يتقدم منها غير آبه بتهديداتها ظناً منه أنها تمزح او أنها تخدعه .. لم يأبه لها واندفع نحوها وبحركة سريعة فتحت القارورة التي بيدها ورشت مادة الأسيد على وجهه ودوت صرخات مصعب القوية في الأرجاء بينما جهاد تنظر له بفرع وخوف ..

بدأت ترتجف وتبكي لترمي القارورة وتهرب بعيداً غير آبهة بصراخه ..

أجل كان باستطاعتها الهرب منه أو استعمال أسلوب آخر بمعاقبته .. كان بإمكانها النجاة منه دون أذيته بهذا الشكل البشع ..

حقدوا وشعورهم بالنقص بسبب نظرات الاستخفاف التي كانت تراها من زملائها بسببه قد جعلها تنتقم منه هكذا ..

جعلتها تجفل وترتعد وتخاف كلما مشيت بمفردها بالشارع ولو كان في وضح النهار .. جعلتها تحمل بحقيبتها هذه القارورة وإن حدث واقترب منها أحد لن تهتم وستنثرها في وجهه .. ولكن هذا الشيء كان من نصيب مصعب ..

ذلك الشاب اللعين الذي لم يدعها وشأنها وفوق أنه أراد أذيتها تحدث عنها وعن أخلاقها وشوه سمعتها .. مما جعل في قلبها حقد كبير تغلغل داخلها وألم غرز في قلبها من بشاعة ماحدث معها وهكذا كانت النتيجة ..

"لن يشفى الحريق إلا بحريقٍ آخر

ألم يقال : وداوي الداءَ بالداء"

---

بعد وقت طويل من الخوف وارتجاج جسدها الصغير .. سكنت وأخيراً بين يدي سناء والتي كانت خائفة عليها كثيراً ..

لم تصدق كيف كانت حالتها .. أتنها خائفة ومرتابة وترتعد خوفاً .. لتستقبلها سناء بأحضانها وتحاول تهدأتها والفهم منها ما الذي حدث لها ..

أجل جهاد لم تجرأ على العودة إلى المنزل من بعد ما فعلت فعلتها الشنيعة .. فضلت التوجه إلى منزل أخيها وقد كانت على يقين أنها لن تجده هناك فسناء كانت قد حدثتها بأنه لم يعد منذ يومان ..

لا تعلم كيف وصلت إلى منزل إيهاب .. أساساً لا تعلم كيف أنها قامت بتشغيل عقلها والتفكير للتوجه إلى سناء بدلاً من أن تراها والدتها بهذه الحالة ..

حاولت سناء أن تستجوبها أن تعلم ما الذي حدث لها ولكن عبث .. جهاد لا تبدي أي ردة فعل سوى البكاء والارتجاج بين يدي سناء ..

تنهدت سناء بقلق لتقول :

..حبيبتي جهاد مابك هيا حدثيني ، هل تعرض لك أحد في الطريق..

شهقت ببكاء لتقول :

..لقد ارتكبت جريمة ، أنا ، أنا قاتلة . أنا لعينة..

عقدت حاجبيها بصدمة لتبعدها عنها وتقول :

..جهاد ماذا فعلتي قولي لي ، ما الذي حدث..

تنهدت جهاد بحدة لتمسح دموعها ببطئٍ ونقصٍ عليها ما حدث .. منذ أن حاول مصعب الاعتداء عليها وتشويه سمعتها إلى اليوم ..

شهقت سناء ووضعت يديها على رأسها لتقول بخوف :  
..ياويلي ، ماذا فعلتي يا جهاد..

بكت جهاد أكثر لتقول ببكاءٍ وتوتر :  
..لم أكن أريد فعل ذلك ، كن كنت أحمي نفسي..

أنهت جملتها بتبريرٍ حادٍ وانفعالٍ وشهقاتها الباكية امتزجت بحدتها لتعض سناء على أصابعها بتوترٍ وخوفٍ ..

نعم سناء كلما شعرت بالتوتر أو الخوف تعض على أصابعها .. تلك العادة السيئة التي حاول إيهاً كثيراً أن يجعلها تبطلها ولكنه لم ينجح ..

تنهدت سناء بقوة لتقول :

..حسناً الآن اهدأي لن يحدث شيء..

شهقت ببكاءٍ قاتلة :

..كيف سأهدأ كيف ، افرضي أنه تعافى وقدم شكوى بحقي ، سيجروني للسجن ولن يرحموني ، سأخذل عائلتي بأكملها ، سيهدم مستقبلتي..

أغمضت سناء عيناها وهي تحرك رأسها بيبأسٍ لتقول بانفعالٍ شديد :

..أيتها الغبية هكذا تفكرين الآن ، هو لن يتعافى أبداً ، لقد شوهتني أتعلمين ماذا يعني هذا ، سترافقه هذه اللعنة طوال حياته ، سيتمنى الموت في كل مرة يرى وجهه في المرأة ، برأيي أن تعين في يد الشرطة أهون بكثير من أن تعين في يده ، إن كان لأنه لم يأخذ منك ما يريد قد ذهب وشوه سمعتك فما بالك بعد أن شوهتني وجهه وملامحه ، خافي على نفسك من هذا النوع من الشبان ، هذا لن يهدأ حتى ينتقم منك..

ارتجفت من خوفها عندما سمعت بكلماتها لتقول بذعر :

..ما ماذا تقصدين سناء ، ه هل سيقتلني أم سيغتصبني..

تنهدت سناء بقلقٍ لتقول بنبرة حزينة :

.. ادعي أن يموت يا جهاد ولا يعيش هكذا ، الموت أرحم له ، إن كان هو قد شوه سمعتك فأنت دمرت حياتك  
بأكملها..

وضعت يديها على وجنتيها وبدأت تلطم لتقول :

..ياويلي ، هذه جريمة جريمة يا إلهي..

ظلت تلطم على وجهها وتبكي بينما سناء تتابعها بحزن طفيف .. تنهدت بعدها لتقول :

..حسناً جهاد ، هو إن نحى لن يظهر أمامك قبل عدة أشهر ، فلتهربى إلى أخاكي المقيم بكندا ، سافري وابقى  
عنده ريثما نعلم ما الذي سيحدث به..

شردت بكلامها لوهلة ومن ثم قالت بخوف :

..وأترككم أنتم والخطر يحدق بكم أليس كذلك ، هو حتماً سيؤذيكم لا لا ، لن أفعل ، سأقول للشرطة كل شيء ،  
هم سيحمونني منه ، أجل هم سيندبرون أمره ، أقبل أن أسجن ولا يؤذيني أو يؤذي أحداً منكم..

حركت رأسها بيبأس ولم تنفوه بكلمة لتردف لها جهاد قائلة :

..ثم أن أمي مريضة لا أستطيع تركها بمفردها..

تنهدت سناء بقوة لتقول :

..أنا وإيهاب سنبقى عندها ، أنتِ ابتعدي فقط لفترة قصيرة ريثما نعلم ماذا سنفعل..

حركت رأسها رافضة وظلت جهاد جالسة ولا تبدي أي ردة فعل .. سكنت فجأة مما زاد من ريبه سناء ..

وضعت سناء يدها على وجنة جهاد لتقول بقلق :

..جهاد حبيبتى لا تخافي ، كل شيء سيكون بخير اتقنا..

نظرت لها بأعين دامعة وخائفة لتحرك رأسها رافضة وتتفجر في البكاء مرة أخرى محتضنة إياها سناء للمرة  
الأخرى أيضاً وهي تهدأها وتحاول مواساتها قليلاً ..

---

كانت شهد واقفة مع سلمى في المطبخ وهي تتعلم منها الطبخ وتبتسم بين الحين والآخر لأنها قد وضعت لمساتها على الأكلة المفضلة والتي يحبها زين ..

بينما زياد فقد كان جالساً في الصلاة بهدوء وهو كالعادة يشرب النبيذ غير أبهاً بأحد ..

دخل زين بغضب هادر إلى المنزل وتوجه إلى والده بحيث جالسا في الصلاة .. تقدم ناحيته ليتحدث بحاجبين معقودين ويتساؤل :

..لما طلبت سحب شهادتي وطردي من المستشفى..

نظر له زياد بهدوء ليرتشف من كأسه ومن ثم يقول :

..لم أفعل..

تنهد زين بحدة ليقول بصوت عال قد جذب شهد وسلمى له من الداخل :

..أبي أنا علمت أنك أنت من طلب منهم ذلك ، قل لي لماذا ، أخبرني لما تريد طردي من المستشفى..

انضم لهما سلمى وشهد و هما عاقدتين حواجبهما بتساؤل ليقول زياد ببرود :

..انتبه إلى نبرة صوتك يا ولد ، لو كنت أنا فلن أخافك وأقول لك أنني أنا من طلبت منهم ذلك..

ابتسم زين بعدم تصديق ليكتف يديه ويقول وحاجباه مرفوعان :

..أها إذأ مدير المستشفى كاذب أليس كذلك..

همهم له زياد بإيجاب وكرع كأسه دفعة واحدة ليعاود ملأه من جديد غير أبهاً بابنه الواقف والذي منتظراً منه إجابة ..

تنهد زين بقوة ليغمض عيناه ويقول من بين أسنانه :

..أبي أرجوك فقط قل لي ما الذي يحدث ، إن أخطأت فقط وجهني ولا تعاقبني بهذا الشكل ، مهما كبرت ومررت بمواقف أظل صغير بنظرك وأنت الكبير علي ، إن حدث وأخطأت دون قصد قل لي لأعتذر منك ولا تعاملني بهذا الشكل أرجوك أبي ، أنا احترمك جداً ولن ترى مني غير ذلك ، ولكن من حقي أن أعلم لما فعلت ذلك بي..

تنهد زياد بقوة وامتعص وقلب عيناه من ذاك الحديث ليقول ببرود وتساؤل :

..لما مقتنع أنني أنا من طلبت منهم سحب شهادتك ، ثم أنك يبدو عليك أنك تصدق مدير المستشفى أكثر من والدك ، مالك تلك المستشفى التي تعمل بها حضرة جنابك والتي أنا من وكلت بها ذاك الأحمق وجعلته مديراً عليها..

شدد على حروف جملته الأخيرة قاصدا لفت نظر زين بهذا الكلام ليبتلع زين ريقه ويقول :  
..ليس هذا قصدي ، ولكن .. ..

بلل شفثيه بتوتر ليردف له بعد أن شجع نفسه :

..ما رأيك أن مدير المستشفى قد أسمعني المكالمة التي دارت بينه وبين ذاك الشاب الذي طلبت منه أنت أن يتكفل بأمر سحب شهادتي وطردي من المستشفى طبعاً وتلك كانت أوامرك وسمعت ذلك أنا..

نظر له زياد بقوة ولم يتحدث ليضع كأس النبيذ أمامه وينهض واقفا أمام ابنه ليقول :  
..ما اسم ذلك الشاب هيا تحدث..

أجابه زين بتردد :  
..إيهاب نصوح..

ابتسم زياد بخفة ليقول :  
..هل يلعب من ورائي ذلك العاهر..

تنهد زين ليقول بقلة صبر :  
..قلت لك أبي ، لا تدخل ذلك أياً كان في عملك وفي عائلتنا وأنت لا تستمع مني..

مسح زياد وجهه بكفه ليقول متجاهلاً حديث ابنه :  
..عموماً أنا أعلم ما الذي يتوجب علي فعله ، أنت لا تقلق..

همهم له زين موافقاً ليقول :  
..حسناً أبي أنا أعتذر ولكن أنا من سيحاسب ذاك اللعين إيهاب ، دعه لي..

أجابه ببرود :

..لا ، لا تتدخل أنت ، أنا من سيحل المسألة..

حرك زين رأسه موافقاً بينما زياد أخذ هاتفه ومفاتيحه وخرج من المنزل تحت أنظار سلمى وشهد ..

-----

خرج زياد من المنزل وصعد بسيارته ليقودها بأقصى سرعة ويطلب رقم إيهاب .. بعد ثواني قليلة أجابه إيهاب ببرود :

..أهلاً سيد زياد..

تحدث زياد بغضب :

..أيها الأحمق ألم أقل لك أنت تحرص على طرد زين من المستشفى دون أن يعلم أحد بالموضوع..

عقد إيهاب حاجبيه بقوة ليقول :

..لم يعلم أحد بالقصة سوى مدير المستشفى..

تحدث زياد بتهكم :

..جيد ومدير المستشفى هو من قال لزين أنني وكتك بذلك الأمر ، مبارك عزيزي أصبحت عاهر بنظري وبنظر ابني ويجب علي أن أنزل عليك العقاب القاسي..

ابتسم بسخرية ليقول :

..وكأنني أنا وابنك المدلل عاشقان أليس كذلك ، فليحترق لا يهمني..

أجابه زياد ببرود :

..اصمت واسمع ماذا أريد منك..

همهم له إيهاب بإيجاب ليستمع لزياد ويمتثل لأوامره وابتسامته الماكرة لا تفارق ثغره .. طبيعي حتماً فعندما يكون الأمر الذي يتلقاه من السيد زياد به أذى فوراً تشق وجهه تلك الابتسامة الماكرة ..

"انحرفنا عن الطريق وأعلنا الانشقاق عن ما كناه يوماً"

---

كانت شهد تحاول كتم ضحكتها على وجه زين الغاضب .. نظر لها بعبوس ليقول :  
..ما الذي يضحكك يا صغيرة..

قلنت ضحكة منها لتقول :

..انظر إلى وجهك في المرأة ، تبدو مضحكاً وأنت غاضباً زيني..

قلدها ساخراً وملتعضاً :

..ننننن اصمتي ، حمقاء ، حقاً أنا غاضب من نفسي كوني تحدثت هكذا مع أبي ، لقد اتهمته بشيء لا ذنب له فيه ،  
لقد أخطأت الظن به..

حركت رأسها وهي تبتسم بتهكم لتقول بنفسها :

..اخطأ الظن به ، هه أقسم أنه هو وراء طرده من المستشفى ذلك الشيطان اللعين..

ابتسمت شهد باتساع لتهرول ناحيته وتنقض عليه محتضنة إياه بعنف لتجذب عيناه ويقول بصوت مختنق :  
..شهد ابتعدي عني يا امرأة..

ضحكت بقوة ليضحك هو بالمقابل ومن ابتسم بمكر ليقول غامزاً :  
..ماذا لدينا الآن..

ابتسمت بمكر مماثل لتضحك بغنج وتقول :

..ماذا تريد مني زيني..

عض شفته السفلى ليقول بهمس :

..أريدك أنت..

هممته له وهي سبابتها على وجهه لتقول بخفوت :

..حسناً إهبط إلى الأسفل قليلاً ريثما أجهز نفسي وسنسهر سوياً..

عض على شفته السفلى وحرك رأسه موافقاً وهو ينظر لجسدها بشهوة بينما هي تبتسم بخجل .. ليهبط زين إلى الأسفل ويسأل عن والده والذي كان في غرفته لينتهد بقوة ويصمت ..

بينما شهد ما إن خرج زين حتى بدأت بتجهيز نفسها ووضعت قليلاً من مساحيق التجميل كعادتها وارتدت منامة قصيرة ..

تنهدت بقوة وهي تنثر شعرها لتبتسم ابتسامة رضى على مظهرها .. ثواني وعقدت حاجبيها عندما سمعت صوت هاتفها معلناً عن وصول رسالة نصية ..

فتحتها وقد كانت من زياد لتقرأ المحتوى الذي كان :

..دعي زين يصل لأعلى مراحل نشوته ومتعته بجسدك العاهر صغيرتي ، وأيضاً تجهزي من أحلى ما يكون وارتدي المنامات الفاضحة لإنك عاهرة..

كزت على أسنانها والغضب قد تمكن منها لتبعث له رسالة بأيدي مرتجفة :

..لم يطلب منك أحداً أن تربي ابنك ليصبح شاب يافع ومن ثم تدعه يختار العاهرة وينام في أحضانها أيها العجوز الخرف..

ابتسم بحدة حالما قرأ رسالتها ليرد عليها :

..معك كامل الحق ، لو أنني ربيت ابني تربية جيدة لما اختار فتاة متشردة مثلك ياحمقاء ، عموماً قريباً جداً سترتدين تلك المنامات لي وليست لابني ، ليس وحده من سيتمتع بجسدك اتفقنا..

تنهدت بحدة عندما قرأت رسالته وقد أدمعت عيناها لترمي هاتفها بغضب على السرير وترجع شعرها للخلف بحركة غاضبة منها ..

دقائق ودخل عليها زين بابتسامة ليبدأ بمغازلتها على مظهرها الجذاب ولكنها لم تقابله سوى بالحدة ..

أبعدته عنها لتقول بحدة :

..أنت لماذا تزوجتني زين..

عقد حاجبيه باستغراب من سؤالها ليقول :

..لم أفهم شهد ، ماذا تقصدين بسؤالك..

تنهدت بحدة لتقول بنفاذ صبر :

..أنت تزوجتني فقط لجسدي أليس كذلك ، ستأخذ ماتريده مني وترميني بعدها صحيح..

فتح عيناه بذهول ليقول بابتسامة غير مصدقة :

..حبيبتي هل أنت مريضة ياترى ، ما بك ما الذي قلبك وما الذي جعلك تتحدثين هكذا ، ألا تعرفين أنني أحبك كثيراً شهدي..

صرخت به وأخرجت كل غضبها من كلمات زياد به لتقول :

..كاذب أنت كاذب تريد جسدي وليس لأنك تحبني ، لييتي لم أتزوجك يازين..

ناظرها بصدمة وما لبث حتى استفاق من صدمته ليقول ببرود :

..إن كنتي حقاً مقتنعة بكلامك هذا ونادمة على الزواج مني فمنزل أهلك تعرفينه ياشهد ، لن أبرر لك ولن أقول لك شيء ، لأنني ظلت سنوات وأنا أريك حبي وعشقي لك..

أنهى جملته وخرج من الغرفة ومن ثم من المنزل بأكمله لتجلس شهد على السرير وتجهش بالبكاء .. هي تعلم أن زين يحبها وتعلم أيضاً أنه لم يتزوجها لمتعته ولكنها لا تعلم لما أبدت ردة الفعل هذه له ..

ربما كلمات زياد الجارحة جعلتها تشكك بنفسها وبحب زين لها .. إن ظلت هكذا تنصت له وتفكر بكلماته وأفعاله ستزعزع علاقتها بزين وتتأزم جداً وهي لا تريد ذلك ..

سمعت صوت هاتفها للمرة الثالثة لتمسكه وتقرأ رسالة زياد :

..هل التغت سهرتكما ياترى ، حسناً مارأيك أن أتيك بدلاً من زين..

كزت على أسنانها بغضب وانفعال لتتصل به ويرد عليها فوراً بابتسامته الخبيثة :

..ها يا شهد ، هل الدرب أمان..

تحدثت بهمس حاد وأعين دامعة :

..أنت حقير أتعلم ذلك..

ضحك ضحكته الرنانة ليقول :

..وهذا الحقير متيم بكِ ماذا أفعل مثلاً..

أخذت نفساً عميقاً لتقول وهي تضيق عيناها :

..لو أنني لست واثقة من نفسي وكلما خرجت من غرفتي أقفلتها خوفاً منك لكنك قلت بأنك قد وضعت كاميرا أو تسجيل صوتي في غرفتي..

ابتسم بمكر ولم يجيبها لتردف له متسائلة :

..ما الذي أدراك بأنني تشاجرت مع زينا..

ظل على ابتسامته الماكرة ليقول :

..سر..

ضحكت بتهكم لتقول بتوعد :

..سيأتي يوم وأضحك أمام الجميع ولن تكون عندها سوى لعين وحقير في أعين الجميع..

ضحك بقوة ليقول من بين ضحكاته :

..أوووه وأنا سأنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر..

أجابته بسخرية :

..هه أجل رجل لعين مثلك سيكون عشقه الفضيحة والأشياء الدنيئة والتي مثله تماماً ، لست متعجبة منك كثيراً..

تنهد بقوة وهو يعبث بأصابعه ليقول :

..عموماً القادم أسوأ يا شهدي ، جهزي نفسك..

هممته له لتقول :

..ليس أسوأ من رؤية وجهك كل يوم ، على كل الأحوال وأنت أيضاً تجهز للقادم فصدقني منذ اليوم لن أصمت لك ، أقسم ستري مني العجب..

ضحك بسخرية ليقول :

..كل شيء سآراه منك سيعجبني بالطبع ، وانتبهي عندما أقول أنك عاهرة فأنت عاهرتي أنا أفهمتي..

صممت ولم تجيبه فقط تنظر للاشيء بأعين دامعة ليرد لها بمكر :

..إلا إذا كنتي تعدّين نفسك عاهرة ومتاحة للجميع ، الجميع يعني أنا وزين والكثير ، مارأيك..

صرخت به بأعلى صوتها بغضب وانفعال :

..أنت لعين سافل حقير ، اللعنة عليك ، كيف تكون والد زين ، أنت أنت شيطان صدقني شيطان لعين يا ابن العاهرة..

أنهت جملتها بغضب هادر وأغلقت الهاتف في وجهه وتنفست الصعداء .. لا تعلم كيف نطقت بهذه الكلمات ولكنها حقاً أخرجت قهرها منه بأخر جملة قالتها .. ابتلعت ريقها وهي تفكر بردة فعله بعد ماسمع بجملتها لتتوجه سريعاً ناحية الباب وتوصده بإحكام على نفسها ..

بينما زياد عندما سمع بجملتها لم يبدي أي ردة فعل .. فقط ظل واضعاً الهاتف على أذنه وينظر للأمام بشرود ومن بين أسنانه السيجارة التي يلوح بها ..

ابتسم بمكر و حدة ليشعل سيجارته وينفث دخانها بهدوء مرجعاً برأسه للخلف وهو يفكر بشيء ما .. ليمسك بهاتفه ويطلب شخصاً ما .. رنة واثنان إلى أن أجابه الطرف الآخر :

..أهلاً أهلاً بالسيد زياد ، أين أنت يارجل اشتقنا لك..

أجابه زياد ببرود وهو ينفث دخان سيجارته :

..أقضي بعضاً من الوقت عند أمك..

ضحك الطرف الآخر بقوة ليقول :

..وأين تقضيه ها ، في أي شقة يا لعين ، صدقاً لم أكن أعلم بأن والدتي ذوقها رفيع لتختار رجل وسيم وعاهر  
مثلك..

تنهد زياد بنفاد صبر ليقول :

..دعك من هذا الحديث الآن ، أريد منك خدمة..

حدثه معين ذلك الرجل الذي يقارب عمره لعمر زياد قائلاً :

..عيناك لك يا حبيب..

تحدث زياد ببرود وهو ينظر لسيارته :

..أريدك أن تختطف ابني زين وتضعه عندك ليومين فقط ، أن تخفيه عن الأنظار يعني دون أن يعلم أحد ودون  
أن يعلم زين عند من ، وأيضاً أريدك أن تأخذ زوجته للمكان الذي سأدلك عليه الآن..

همهم له معين بمكر ليقول :

..لا تقل بأنك واقع لزوجة ابنك يا لعين..

ابتسم بسخرية ليقول ببرائة مصطنعة :

..معاذ الله ، هذا حرام ، ماذا تقول أنت يا رجل ، أواع لما تقوله أنت ، رجل مثلي كله أخلاق سينظر لفتاة صغير  
وليست أي فتاة ، زوجة ابني الوحيد والغالي ، لا لا لم أحب اتهامك لي هذا..

ضحك معين بقوة ليقول من بين ضحكاته :

..حسناً زياد فهمت ما القضية ، ولكن زين ابنك أيها اللعين كيف يأتي من قلبك أن تفعل به هكذا..

أجابه زياد ببرود :

..لن تؤذيه ، وسترى ما سأفعله بك إن آذيته ، فقط ستبقه عندك ليومان اتفقنا..

ضحك معين ليقول موافقاً :

..حسناً حسناً اتفقنا ولكن كفاك شتائم بوالدتي عيب عليك..

ضحك زياد بسخرية ليقول :

..لا تقل لي أن النخوة والشهامة قد دبت برأسك فجأة ، كلانا يعلم أنك على أتم الاستعداد ببيع عائلتك بأكملها لأجل مصلحتك..

همهم له معين وكنتم ضحكته ليقول :

..طبعاً صحيح ، ولكن ليس لك عمل مع والدتي أصبحت عجوز هرمة يارجل..

تنهد بنفاد صبر ليقول بعصبية :

..وهل قلت لك أنني سأزوجها ، يارجل دعك من السخافات..

وأيضاً رد عليه بالضحك ليقول :

..حسناً كما تريد ، إذاً على اتفاقنا يارفيق..

رد عليه زياد بالإيجاب ليقول معين بضحك :

..سلم لي على أمك..

ضحك بسخرية ليقول :

..أووّه صحيح نسيت أن أقول لك آخر التطورات أصبحت ابن عاهرة أعلمت ذلك..

حاول معين كنتم ضحكته ولكنه لم يفلح لينفجر ضاحكاً ويقول من بين ضحكاته :

..يارجل صدقني لم أعلم إلا منك..

قابله زياد بالضحك ليقول :

..أنت رائع عندما تصل إلى مرحلة الفصلان ، لا تنسى اتفاقنا ها..

همهم له معين بإيجاب وودعه بعد أن أضحكه قليلاً بأحاديثه الطريفة ونكاته السخيفة ..

تنهد زياد ووضع هاتفه أمامه وهو مبتسماً بمكر ليعاود الشرب من جديد وهو يفكر بشهد وبالقصة التي أوكل إليها بها ..

نعم ياسادة هذا هو زياد .. لعين ولا يسأل عن أحد .. المهم عنده أن يأخذ ما استحوذ على عقله أو قلبه .. المهم مصلحته ..

يعلم كيف ينتقي أصدقائه ومن أي طبقة ومن أي بيئة .. لديه الكثير والكثير من الأسرار إن كان عند معين صديق عمره أو لنفسه فقط ..

لن يصمت عن أفعال شهد وبالتالي أيضاً شهد لن تصمت له من الآن فصاعداً .. سترد له الصاع صاغين والسيئة بالسيئة وليست آسفة .. يبدو أن الحرب قد بدأت ياسادة ..

"أنفاسي تنقطع و شعر رأسي اختلط بالبياض ومازلتُ أبحث عن بقايا أنفاسكِ بعلبة سجائري"

---

..ماذا يعني أنه تم طردي من الجامعة حضرة المدير..

تنهد المدير بجمود ليقول :

..لقد وصلنتي شكوى بحقك ياشهد ولن أتهاون معك هذه المرة أبداً..

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحاول استيعاب كلامه لتقول بعدم فهم :

..أي شكوى حضرة المدير، أنا لم أفعل شيء، أنا حتى لم أكن آتي إلى الجامعة منذ عشرة أيام وأكثر واليوم عدت لجامعتي، فأني شكوى تتحدث عنها..

ضرب المدير على مكتبه بقوة مما جعل شهد تجفل برعب ليصرخ بها :

..أي شكوى ها، انتهينا ياشهد اخرجي من هنا أنت مفصولة رسمياً..

تشجعت شهد لتقول بجرأة :

..أريد أن أعلم ما الذي فعلته لكي تقوم بطردي، هذا لا يصح حضرة المدير، أريد أن أعلم ما خطأي، أنا لم أفعل شيء..

كز على أسنانه قائلاً بغضب :

..أيتها الفتاة اخرجي من هنا ولا تدعيني أغضب أكثر من ذلك ، لقد أعلنت قرار فصلك من الجامعة ولن نتحدث بأكثر من ذلك، اذهبي وافعلي ما شئتني أتسمعين..

هاجمته بغضب وصراخ :

..لا لم أفهم وأقسم لك أنني سأقدم شكوى بحقك سأقول أنك تعمل لصالحك وأنك تفتري على الطلاب، سنرى كم ستجلس على هذا الكرسي..

نهض ببطئ وعيناه تشتعلان ليقول :

..وتهديني أيضاً أيتها الحمقاء..

ابتلعت ريقها بتوتر ولكنها لم تتره توترها أو خوفها من الآتي ليحوم بغرفة مكتبه ويستدير فجأة ليصرخ بها  
بغضب :

..من أنتِ أيتها الحثالة لتصرخين في وجهي وتهديني أيضاً ها من أنتِ تحدثي..

لم تتحدث وظلت تنتظر له بغضب ليمسح على وجهه محاولاً تمالك أعصابه .. فالسيد منير والذي هو المسؤول عن جامعة الفنون الجميلة كرهه ومقته في هذه الحياة أن يصرخ أحداً في وجهه مهما كانت الأسباب والمواقف ..

نظر لها بحدة ليقول :

..اخرجي من أمامي ولا تريني وجهك بعد الآن، واشكري الله أنني سأدعك تخرجين وأنتِ هه.. ..

بتر جملته وهو يبتسم بسخرية وخبث لتتنظر شهد له بترقب منتظرة تكملة جملته ولكنه لم يكمل .. تنهد بحنق  
قائلاً :

..هيا اخرجي لا أريد رؤية وجهك بعد اليوم هنا..

ابتلعت شهد ريقها وأغمضت عينها محاولة تهدأة أعصابها لتحرك رأسها موافقة وتستدير لتخرج من المكتب ..  
توقفت عند الباب واستدارت لتقول بثقة :

..سترى إن كنت ستكمل عمك هنا أم لا، صدقتي سترى مني ما لا يرضيك..

أنهت جملتها بتوعد وخرجت من المكتب ومن ثم من الجامعة بأكملها وعيناها تترقرق بالدموع وبداخلها حقد كبير على زياد والذي تيقنت أنه وراء فصلها من الجامعة كما أنه وراء سحب شهادة زين وطرده من المستشفى ..

بينما السيد منير فضل يشعر بالغضب والغيط من كلامها وجأورتها عليه .. تنهد بحنق وهو يجلس على كرسيه متمماً بغضب :

..فتاة وقحة..

مسح على ذقنه بخفة ليقول بشرود :

..لماذا طلب زياد أن أطردها، ما الذي فعلته له ياترى..

نفض أفكاره وحرك رأسه ليعود إلى عمله وهو يزفر بضيق ..

في هذه الأثناء كانت شهد تسير بمفردها وبداخلها كمية غضب لا توصف .. الآن علمت أنها حقا لن تنتهي منه ومن افترائه عليها .. زفرت بضيق لتقف وتحاول إيقاف سيارة أجرة ..

دقيقة واثنان إلى أن وقفت سيارة سوداء أمامها ليهبط منها رجلان ويمسكانها ليصعدانها إلى السيارة دون أن ينطقان بحرف بينما هي تصرخ وتحاول الإفلات منهما ولكنهما استطاعا أن يصعدان بها إلى السيارة وينطلقان بها إلى وجهة هي تعرفها جيداً وفي داخلها خوف كبير ..

الساعة 10:00 pm

مكان مظلم شبه معزول لا يسمع فيه أي صوت .. كان مكبل الأيدي وشبه غائب عن الوعي .. رفع رأسه بعد وقت قصير شاعراً أن رأسه سينفجر من شدة الألم ..

تأوه بصوت مسموع مما جعل ذلك الرجل الواقف والذي يدخن بكثرة أن يلتفت له ليبتسم بسخرية ويتقدم ناحيته قائلاً :

..ها يازين كيف حالك الآن..

نظر له زين بتشويش ومعالم وجهه منكمشة .. كان يتذكر كيف جلبوه إلى هنا .. كيف أنهم قطعوا عليه الطريق ووقفوا بطريق سيارته التي كان يقودها للرجوع إلى المنزل ..

وبتعجب كبير منه هبط من سيارته ليعلم ما الذي يحدث .. وما إن هبط من السيارة حتى تقدم منه مجموعة رجال يرتدون السواد .. لم يشعر بأي رهبة أو خوف منهم فا زين قلبه قوي وشجاع ولا يهاب شيء ..

وبنبرة جامدة بها بعض التعجب تحدث متسائلاً :

..من أنتم ولماذا قطعتموا علي الطريق وماذا تريدون"

أجابه أحدهم ببرود وبرسمية :

..سيدنا يريدك يا أستاذ زين، لذا الأفضل أن تأتي معنا بالحسنى بدلاً من أن نجرك بالغضب"

ضحك زين برزانة ليقول بسخرية :

..ومن هو سيدك يا حبيب قلب أمك..

ظل منتظراً جواباً منه ولكنه لم يرى سوى نظرات لؤم منهم ليردف قائلاً بنفاذ صبر :

..هيا يا هذا، خذ جماعتك وافتحوا لي الطريق واذهبوا من هنا هيا ليس لدي وقت لكم..

لم تكن الأوامر تنص على أن يأخذه بالغضب أو يستخدموا معه العنف ولكن نبرته المستفزة كفيلة بأن تجعلهم يغضبون ويأخذونه بالغضب .. تنهد أحدهم بنفاذ صبر ليقول :

..الأفضل أن تأتي معنا دون أي مشاكل فا لا نحن ولا سيدنا نريد أذيتك..

وللمرة الثانية زين يضحك عليهم مما جعلهم يشعرون بالاستفزاز الكبير منه .. أمسك يديه أحد الرجال من الخلف ليبدأ زين يتخبط بعنف ويحاول الإفلات منهم وهو يصرخ بهم ..

وبحركة سريعة أتى رجل ثاني ليضع قطعة قماش على فم زين وماهي إلا ثواني حتى كان مغيباً عن الوعي ليأخذونه الرجال إلى المكان الذي أمرهم به السيد معين ..

لم يكن هناك ضوء لكي يعلم زين من هو الرجل الواقف أمامه .. كان هناك ضوء خافت جداً يعكس خيال معين ولكن لم تتضح ملامحه لزين ..

تنهد زين بحدة ليقول :

..من أنت وماذا تريد مني ولما أتيت أنا إلى هنا ها..

ضحك معين بخفة ليقول :

..لا تخف يازين نحن لن نؤذيك فقط ستقيم عندنا مدة قصيرة لا أكثر..

عقد زين حاجبيه باستغراب .. نعم هو متأكد أنه سمع هذا الصوت من قبل .. إذاً هو يعرف هذا الرجل الذي أمامه ولكنه حقاً لا يستطيع التمعن في ملامحه بسبب الإضاءة المعدومة ..

تحدث زين بتعجب :

..صوتك ليس غريب علي، هل أنا أعرفك ياترى..

للمرة الثانية يضحك معين ويقول ضاحكاً :

..لن أجيبك، فقط اطمئن نحن لن نؤذيك..

كز على أسنانه قائلاً :

..والدي لن يرحمكم إن علم بالذي تفعلونه هل سمعت..

ابتسم معين ليقول :

..أوه ذلك العاهر والدك هو غالي على قلبي كثيراً، عموماً لا تكثر من أسئلتك ولا تتحدث كثيراً..

تنهد زين بحدة ولم يتحدث لسمع صوت خطوات معين تبتعد وهو يقول ببرود :

..سأدعهم يجلبون لك الطعام..

وخرج معين من المكان تاركاً زين في حيرة من أمره وهو متيقن أنه سمع صوت ذلك الرجل من قبل ولربما أنه يعرفه ولكنه لا يذكر من هو صاحب الصوت ..

من الجهة الأخرى

شهد التي كانت ممددة على أريكة متهالكة .. خصلات شعرها مبعثرة على وجهها الشاحب بحرية .. مغمضة العينين وفاقدة الوعي ..

نعم شهد فاقدة الوعي الآن .. فرجال زياد لم يستطيعون تحمل كمية صراخها وتذمرها وشتائمها خصوصاً أن زياد لم يأتي ويراها بعد مما جعلهم يتصرفون معها ويخدرونها كما فعلوه رجال معين بزين ..

فتحت عينها بوهن وهي ساكنة محاولة استيعاب ماجرى لها .. وما هي إلا دقيقة لتتذكر كل شيء حدث معها .. نهضت بنصف جسدها لتتنظر للمكان الغريب الموجودة فيه ..

لم تراه أمامها لذلك بدأ عقلها يعمل أكثر وتتساءل إن كان زياد وراء خطفها أم أن أناس آخرين قد قاموا باختطافها ..

تتهدد بيأس وضمت ركبتيها إلى صدرها وظلت منتظرة دخول الرجل الذي حقاً ملت منه ومن هزله وأيضاً منتظرة مصيرها الذي سيكون بين يديه أو بين يدين أحد غيره ..

ماهي إلا دقائق حتى دخل عليها وهو واضعاً يديه في جيوبه مناظراً إياها ببرود .. بادلته النظرة ذاتها ومن ثم أشاحت بوجهها عنه وتتهدد بضيق ..

اقترب منها بخطوات بطيئة ليجلس بجانبها ويضع ساق فوق الأخرى ويرجع برأسه للخلف ناظراً للسقف بشرود ..

لم يتفوه بكلمة معها مما زاد من تعجبها .. سمعت صوته الهامس قانلاً وهو مازال على نظره الموجه للسقف :  
..ماذا أفعل معك..

ألقت عليه نظرة جامدة تلتها ابتسامة ساخرة ولم تجيبه ليدير وجهه ناحيتها ويردف لها بحاجب مرفوع :  
..أنت الآن بحوزتي ياشهد وأستطيع فعل مايلو لي بك..

ابتلعت ريقها بصعوبة ونظرت له بغضب مخفية وراء غضبها وشجاعتها خوفها العميق منه لتقول :

..وما أسوأ ما استفعله لي مثلاً، لا تظن بأنني خائفة أو أن بخطفك لي ستدعني أرضخ لك، أنا ما زلت عند موقعي ولن أترجع عنه وسأبقى على حبي وإخلاصي لزين هل تفهم..

أطلق ضحكة صاخبة تلتها كحة خفيفة ليقول وهو يمرر يده على وجنتها :  
..شهدي الصغيرة..

أبعدت يده عنها بعنف لتقف وتعود خطوتين للوراء وتقول بغضب :  
..أعدني إلى زين هيا..

ضحك ثانياً لينهض ويقف أمامها مباشرة .. لم يفعل شيء سوى أنه ينظر لها بابتسامة شر مما زاد من فزعها ولكنها ظلت ثابتة ..

بحركة سريعة هبط عليها بصفعة قوية جعلتها تسقط على الأرض تزامناً مع شهقتها .. صدمتها من فعلته كانت أقوى من ألمها وهو يهبط عليها بصفعته ..

لم تنتظر له ولم تحرك ساكناً .. فقط ظلت ممسكة بمكان الصفعة وهي تنظر للأرض بأعين زائغة ..

نظرة برود وجمود تحيط بعيناه لتنتظر له كما هي .. وكأنه يرى بعيناها كلمة لماذا .. لماذا صفعتني .. لماذا تفعل كل ذلك ..

ابتسم بمرارة مغمضاً عيناه ليتنهد بعدها ويتخذ وضعية القرفصاء ويقول بصوت أشبه للهمس :  
..أنتِ تتعيني كثيراً يا شهدي، وأنا لا أحب أن يتعيني أحد حتى لو كان أنتِ، أحبك نعم، لكن لا أسمح لك بالتمرد والعصيان..

كزت على أسنانها لتتحدث بصوت صارم وعنيد وأعين دامعة تهدد بالسقوط :

..أي عصيان تتحدث عنه ها! أي عصيان الذي تحدثني به وأنا زوجة ابنك الوحيد! أنا بمثابة ابنتك، بدلاً من كل هذه السخافات التي تفعلها وتحدث بها يتوجب عليك أن تحترم ابنك، أن تحترم أنني زوجته ومن حقه، أن تخاف الله مما تفعله بي..

ضحك بخفة ليقول :

..وماذنبني أنا! لقد أحببتك، عشقتك، أنا أحلم بك كل يوم، لا أستطيع أن لا أفكر بك، حاولت صدقيني حاولت أن أتناسى كل شيء وأدعك وشأنك، تخيلت أنني سأدعك تعيشين مع ابني حياةً هنيئة وأنا بدوري سأصمت ولن

أقترب منك ولكنني لم أستطيع، صدقيني شعرت وكأن النيران تأكل بجسدي عندما تخيلت كل تلك الأمور،  
تقولين أنني أناني ومعقد ولكنني لست كذلك، أنا لا أراكي كثيرة على ابني وبذات الوقت أراكي من حقي أنا،  
كيف لا أعلم! لا تسأليني.. ..

لم تجيبه ولم تنطق بحرف فقط زحفت بمؤخرتها للخلف واستندت على ذاك الجدار المتهاك ورائحة الرطوبة  
تفوح منه ..

استقام ووقف متنهدا بيأس ليجول بانحاء المكاء بخكوات بطيئة إلى أن أمسك كأس النبيذ وبدأ يرتشف منه  
ليتحدث بعد ثواني معدودة :  
.. هل أنت جائعة..

لم تنظر له فقط اكتفت بقول كلمة (لا) مما زاد من غيظه وغضبه ليتركها ويخرج من المكان بأكمله ..

-----

كانت جالسة تحديق بالفراغ بشروود إلى أن سمعت صوت هاتفها يرن .. انتفضت بخفة لتجيب على ذلك الرقم  
المجهول :  
..مرحباً..

أناها صوت لم تسمعه من قبل ليقول :  
..حسابك سيكون عسير جداً يا جهاد..

وقع قلبها عندما سمعت هذا التهديد من الشخص المجهول وقد مرت صورة مصعب بمخيلاتها لتقول بصوت  
خائف :  
..من أنت وماذا تريد مني..

أجابها بصوت بارد كالجليد :

..ستعلمين لاحقاً من أنا، لن يكون هناك شرطة لتحميكي ولا قضية ولا أي شيء سوى الانتقام، سترين كيف  
سأرد لكِ أنا وهو الصاع صاعين..

شبهت بخوف ووضعت يدها على فمها وعيناها تنترقرق بالدموع لتسمع صوت ضحكته الساخرة ومن ثم قال :

..وفري خوفك وبكائك للآتي، والله لن أرحمك على ما فعلته بمصعب..

وأغلق الخطف في وجهها لتنتفض وترتجف من ذعرها وهي تبكي وتنوح .. تعلم بأنها أوقعت نفسها في ورطة كبيرة .. وأيضاً كانت تتوقع أنها لن تسلم من مصعب وبأنها فتحت باب جهنم عليها .. كانت تضع كل الاحتمالات وأولها وأول آمانياتها أن يموت مصعب ..

نعم هي تقبل أن تزج في السجن وتكون مجرمة ولكن لا تتمنى أبداً أن يتعافى مصعب وتقع في قبضته .. أن تكون مجرمة ويفتضح أمرها أهون عليها بكثير من أن يبدأ في انتقامه منها ..

أجهشت بالبكاء أكثر لتمسك هاتفي بيدين مرتجتين وتطلب رقم شقيقها حسام المقيم في ألمانيا وتطلب منه يد العون والمساعدة لعل وعسى يستطيع أن يحميها ولو توجب عليه الأمر أن يعود إلى البلاد لأجلها .. فهو الآن ملجأها الوحيد وعونها بعد إيهاب وتجاهله لها ولزوجته ولوالدته ..

-----

انتفضت شهد عندما شعرت بيد زياد على وجنتها لتبعده عنها ويضحك هو بالمقابل على تصرفها .. كانت تعلم بأنه شرب كثيراً ولربما قد ثمل أيضاً ..

جلس بجانبها على الأرض بتكاسل ليضحك مجدداً ويقول :

..انظري إلى نفسك، هل أنت سعيدة بما أنت عليه الآن، تتمردين وتعصين أوامري ..

قال كلمته الأخيرة بتعداد وبطي ليرد لها :

..وتقولين أنك لن تكونين لي وستبقين لزين ..

حرك رأسه بإيجاب وهو مبتسماً باتساع وثمانية ليكمل بهمس وتساؤل :

..ماذا كسبتي ها، أعجبكِ حالكِ الآن مثلاً، أعجبكِ أنني لن أسمح لكِ بالعودة لزين همم..

أنهى جملته وهو يقترب منها شيئاً فشيئاً تزامناً مع قول كلماته الأخيرة ليمسك خصلة من شعرها ويشدها بين شفاهه .. تأوهت بخفوت وهي تبعده عنها لتراه وهو ينظر لها بأعين مليئة بالرغبة والحب وتلك الابتسامة الماكرة تحيط وجهه وعيناه الواهنة ..

ابتلعت ريقها وابتعدت عنه قليلاً بتوتر ليضحك بخفة ويقترب ليلتصق بها وكلما ابتعدت اقترب هو والتصق بها إلى أن أمسكها من معصمها بحركة سريعة ليقول بهمس حاد :

..أنا متعب..

عقدت حاجبيها باستغراب من كلامه .. هو لا يقول كلمة أو جملة تخص الأخرى .. غير ذلك طريقته ونظرته لها غريبة جداً .. نعم آثار الثمالة قد أثرت به كثيراً ربما ..

أبعدت يديه عنها بخفة لتقول بتوتر :

..وماذا أفعل أنا! ماشائي بك أصلاً..

ضحك بثمالة وهو يدفن وجهه برقبته ليقول بهمس بجانب أذنها :

..أنت من تستطيع أن تعالجي..

أبعد وجهه ليصبح مقابلاً لها ويده تمرر على شعرها ليكمل بتعداد بطيء :

..تطيب لي كل أوجاعي، وتبقى بجانبني وتسعدني وتريحني نفسياً وجسدياً..

أنهى جملته بهمس وهو يغمز لها لتبتلع ريقها وتحرك رأسها رافضة وكأنها فهمت مقصده ..

عقد حاجبيه باستياء وابتعد ليضم ركبتيه إلى صدره ويقول بحزن :

..أتعلمين أنا لم أرى السعادة في حياتي كلها، طوال حياتي أتقدم بالطريق الصح، لم أخلف كلام والداي ولا مرة.

..

ضحك بثمالة ليقول :

..كنت ابناً بار فليحرسني الله، لم أعلم ماهي المرأة وماذا تحب وماهي العلاقة الجنسية إلا عندما تزوجت تلك

البلهاء زوجتي أقصد التي تدعى زوجتي. ..

تنهد بصوت مسموع ليردف بابتسامة بلهاء :

..أتعلمين أنا لم أقترب منها منذ سنة تقريباً. ..

حرك رأسه رافضاً وكتفيه بلا مبالاة ليجيبها على سؤاله الذي لم تطرحه أصلاً :

.. لا أعلم لماذا بصراحة، كل ما أعلمه أنها لم تعد تستهويني، لم أعد أراها صالحة لتلك الأمور، علماً أنها مازالت تتمتع بصفات جسدية يعشقها أي رجل ولكن أنا لم أعد أحبها. ..

ضحك ليكمل وهو يسند رأسه على الجدار :

.. ااه كانت دوماً تتسائل حول عدم اقترابي منها وفي كل مرة كنت أتهرب. ..

تابع يتمل وهو يلوح بيده في الهواء :

.. لست متفرغ لأدخل معها في نقاش حول هذا الموضوع لأنني أنهيته من عندي. ..

أراد أن يكمل حديثه أو بالأصح أن يدخل في حديث آخر لا علاقة له بسابقه ولكنه بتر كلمته قبل أن ينطقها لينظر إلى شهد التي كانت تحقق به بذهول تام .. لأول مرة تسمعه يتحدث عن حياته السابقة وعن زوجته ..

رفع حاجبيه وهو يبتسم باتساع وعلى وجهه علامات التساؤل ليلوح بيده ويقول :

.. أنا أحدتلك عن حياتي وكل شيء يخصني ألا تريدان الاستماع، لما تنظرين لي هكذا..

حركت رأسها ووجدتها فرصة أن يكمل كلامه لتطلب منه أن يكمل ويبتسم هو محركا رأسه بإيجاب قائلاً :

..كنت أخاف من غضب والداي علي، أخاف أن أفعل شيء لا يحبانه، أخاف أن أفعل كل الأشياء التي من الممكن لأي شاب مراهق أن يفعلها أو بالأصح أن يجربها من باب الفضول، كالدخان مثلاً كالتسكع وملاحقة الفتيات الجميلات، كنت ملتزماً كثيراً، شاب خجول ومتحفظ ولا يقبل بالخطأ، هذه الحياة قد فرضت علي مذ أن كنت صغيراً ومع الوقت اعتدت عليها ولم يعد يستهويني أي شيء واستطعت التغلب على فضولي ومنعت نفسي من معرفة وتجربة الكثير من الأشياء..

صمت قليلاً وسرح ليكمل بعدها :

..كنت أشعر بالاختناق من تحكيمات والداي، لا تذهب، لا تصاحب رفاق السوء، لا تقترب من الفتيات، يجب أن تعود باكراً إلى المنزل، حتى أخوتي كانوا يُفرض عليهم مثلما يُفرض علي..

ضحك بتهكم ليكمل :

..أعلم أن هذه هي التربية الصحيحة ولكنني كنت أعاني من التحكيمات، كانا يتحكمان بنا أكثر من أنهما ينصحانا ويخافان علينا..

نظر لها بابتسامة بلهاء ليرد لها :

..أتعلمين! جميع أخوتي مازالوا تحت أمرة أبي، أجل تزوجوا وأنجبوا ومنهم من زوجوا أبنائهم ولكنهم مازالوا يحسبون لأبي ألف حساب ويخافونه كثيراً، حتى أولاد أخوتي وحتى زين ابني يحترم أبي كثيراً ويسمع كلامه، أخوتي ربوا أولادهم كما رباهم والذي إلا أنا، أنا الوحيد الذي خرجت عن طاعته ولم أعد أخافه، وصلت إلى مرحلة لم أعد أستطيع تحمل كل هذه الأوامر، هه دوماً كان يقول لي أنا أريد مصلحتك أنا أخاف عليك، إلى أن سأمت وخرجت من العائلة وعشت بمفردي، صرت أفعل كل الأشياء الخاطئة، كل الأشياء التي لم أفعلها في حياتي فعلتها عندما خرجت من منزل والدي، بدأت المتعة تتسلل إلي، ألا يقولون كل شيء ممنوع مرغوب! كل شيء صار يستهويني، كل شيء خاطئ كنت أحب أن أفعله، إلى أن أنهيت دراستي وقررت أن أتزوج..

ضحك بقوة عندما قال كلمته الأخيرة ليقول ضاحكاً :

..هناك سر لا أحد يعرفه سوى أنا وسلمى والآن أنت ستعرفينه..

تلك التي كانت تتابع حديثه بذهول وإنصات رفعت حاجبيها وحركت رأسها بتساؤل ليقول :

..تزوجت قبل سلمى ثلاث مرات..

نظر لها وانتظر لتبدي ردة فعل ولكنها لم تفعل شيء سوى أنها ازداد ذهولها .. ضحك على تعابير وجهها ليردف :

..تزوجت المطلقة والأرملة والعزباء ولكني لم أبقى مع أي واحدة منهن سوى لأشهر قليلة، لربما كنت أرى موضوع الزواج تسلية لا أعلم ولكني لم أشعر بالارتياح مع أي واحدة منهن، إلى أن قابلت سلمى..

ضحك بتهكم وهو يضرب على فخذه ليكمل :

..أحبتي كثيراً وكان لا أحد في الدنيا سواها يحب ويعشق، كانت تطلب مني أن أتزوجها ولكنني كنت أرفض بحجة أنني لم أعد أريد الزواج، علما أنها علمت بأني تزوجت قبلها ثلاثة نسوة ولم تعترض، كنت أتعجب من إصرارها علي وحبها لي، أسأل نفسي ما الذي أحبته فيني ياترى، وهل رجل مثلي أهلاً للحب والعشق، تساؤلات عدة كانت تخطر في بالي ولم أجد لها جواب إلا بعد أن تزوجتها..

حرك رأسه بإيجاب وهو يبذل شفتيه ليكمل :

..أجل تزوجتها بعد سنة تقريباً من معرفتي بها، حقاً إنها امرأة جميلة ورزينة وعاقلة وكنت أشعر أن حياتنا هكذا هادئة وجميلة، حتى وإن كنت لا أحبها ولكنها تحبني وهذا يكفي..

تنهد تنهيدة حارة ليردف :

..حبها يكفينا نحن الاثنان لنكمل حياتنا سوياً واقتنعت بهذا الشيء، وعادت الأمور إلى مجاريها وتصالحت مع والداي بسبب سلمى التي كانت تتردد على عائلتي وتتودد لهم، أجل أحبواها وبسببها قبلوا أن أعود إلى العائلة علماً أنني لم أكن أفكر حتى أن أعود في يوم من الأيام لهم وأعتذر وأطلب السماح منهم..

ابتلعت ريقها وحركت رأسها بتشتت لتقول بتوجس :  
..هل كان هدفك من جلبي إلى هنا أن تحدثني عن حياتك السابقة..

ضحك بخفة ليقول :

..في الواقع لا أعلم، أنا أول مرة أحدث شخص عن حياتي السابقة، حتى زين لا يعرف شيء عن مشاكلي التي كانت تحدث بيني وبين أهلي..

هممت لتقول بتوتر :

..حسناً، لما لا تعيدني إلى زين الآن إذاً..

ابتسم بثمالة ليقول :

..لأنني لم أنهى حديثي.. ..

اقترب إلى أن التصق بها وهمس في أذنها :

..وأفعالي أيضاً..

ابتعدت عنه لتقول بتوتر محاولة خلق حديث جديد وإلهائه قليلاً :

..وكيف أصبحت حياتك بعد أن تصالحت مع أهلك..

همم لها ليضحك ببلاهة ويقول :

..مثلما هي الآن، لا شيء جديد..

-..وكيف هي الآن..-

-..تسير بشكل خاطئ، حياتي كلها تسير بشكل خاطئ..-

هممت لتسأله :

..كأنك تحب الخطأ وكأنه لديك عقدة من الأمور الصحيحة..

ضحك على جملتها ليجيب :

..تقريباً ياشهد الصغيرة والذكية، عشت طوال عمري خائفاً من الخطأ بسبب والداي إلى أن طفح كيلى وتغلبت على كل مخاوفي وعقدي وتحكمات والداي أيضاً..

تنهد بصوت مسموع وهو يعبث باصابعه ليقول :

..من وجهة نظري أحياناً الخطأ يعلمنا الكثير من الأشياء في هذه الحياة، أن تصنعين الخطأ متعمدة صنعه ليس بالشيء السهل ولكنه سيدعك تفهمين الحياة وتعرفين معادن الناس، عندها لن تُخدعي، لن تُجرحي، لن تُكسري، الخطأ هو من يكسبنا صلابة لمواجهة هذه الحياة..

قال كلمته الأخيرة وهو ينظر لها نظرة ذات مغزى ولكنها لم تفهم عليه ليردف :

..لم أقبل أن يعاني ابني الوحيد كما عانيت أنا، تركت له حرية الاختيار في كل شيء، الدراسة، العمل، الحب، الأصدقاء، وشريكة حياته أيضاً..

أنهى جملته بهمس وأعين لامعة لتشريح بوجهها عنه فوراً .. ابتسم لحركتها البريئة وقال بتساؤل :  
..أتعلمين ماهو الخطأ الحقيقي ياشهد..

حركت رأسها بتساؤل ليضحك بخفة ويقول :

..أن تسيري في حياتك بشكل صحيح..

عقدت حاجبيها بعدم فهم لتقول :

..لم أفهم..

-..توقعت عدم فهمك، معنى كلامي أن تكونين مسالمة، بريئة، طيبة القلب

-هذا العالم مخيف، لا يحتاج أمثالك، أنت بريئة جداً ياشهد، ليست كل الأوقات تحتاج أن تكوني طيبة القلب، أحياناً القسوة تنفع، أن تسلمين زمام أمورك وقلبك وعقلك وكيانك لشخص وتعطيه كامل الثقة بأنه لن يتركك ولن يغدر بك، أن تصادقين فتاة في بداية الأمر تظنين أنها مثلك بنقائك وبرائتك وتكون هي في الحقيقة خبيثة، وجع يملوه وجع وخيبة تعقبها خيبة إلى أن تصبحين تتوقعين كل شيء، يجب عليك أن تتوقعين كل شيء وأي شيء من أي شخص في هذه الحياة حتى من والدك، لا تتعجبين ولا تستنئين أو تبعدين أحد من القائمة..

لم تجبه فقد كانت تقلب كلامه في عقلها ورأت أن به بعض المنطق .. جفلت من أول كلمة نطقها ليقول زياد :

..حتى زين..

قالها وابتسم ليكمل :

..لا تبعدينه من القائمة، لربما يتخلى عنك في يوم من الأيام..

ابتلعت ريقها لتعبث بأصابعها وتقول بتوتر :

..أنا أحب زين وأثق به كثيراً هو لن يتركني مهما حدث..

ضحك بتهكم من سذاجتها ليقول بهمس :

..هذا هو الخطأ بأم عينه..

أشاحت بوجهها عنه ولم تعطي لجملته التي ألقاها على مسامعها بحق زين أي أهمية .. عادت ونظرت إليه لتقول بتحدي :

..ولكنك تفعل كل الأشياء الخاطئة، كل الأشياء المخزية، أن تحبني وتختطفني هذا أكبر خطأ..

ابتسم باتساع ومن ثم تحولت الابتسامة إلى ضحكة ليقول ضاحكاً :

..ماذا كنت أقول لك قبل قليل يا فتاة..

عبست وأشاحت بوجهها عنه بينما هو كان يتفحصها بنظرات باردة ليرد لها ويتحدث بشرود :

..وهل خطأ حبي لك وقف على الأخطاء التي فعلتها في حياتي الآن..

لم تجبه ولم تنطق بحرف ليضحك هو فجأة .. عقدت حاجبها بتعجب لتسأله :

..ما الذي يضحكك..

نظر لها بابتسامة واسعة ليقول بعد أن تنهد بصوت مسموع :

..هذه الحياة تسير بالعكس، من يسير بها صح يسقط وينكسر عظمه، ومن يسير بها خطأ يقع واقفاً على قدميه وبحضن أبيه وأمه، يعمل ويجلب أموال كثيرة ويقوم بمشاريع كبيرة وناجحة، يحب ويعشق

-ها أنا أمامك، الدنيا لم تضحك لي إلا عندما سرت بها بالطريق الخاطيء، أصبحت الدنيا لي، أفعل ما أشاء وكيفما أشاء

-لا تُفقد الدنيا إلا من الذي أخذها بجدية تامة

-عندما أنظر إلى الأناس الجديين أجدهم فارغيين، صفر اليدين، لا آمالاً تحققت ولا الحياة سارت كما كانوا يحلمون من زمن..

نظرت له ببرود ومن ثم ابتسمت بسخرية ليبتسم بسخرية مماثلة ويكمل :

.. عندما تزوجت

-تزوجت الإنسانية الخطأ ألا وهي سلمى، لم أحبها ولم أستطع أصلاً أن أحبها، هي تحبني كثيراً، تحبني بمساوئي قبل محاسني وحياتي معها لا بأس بها، تسير على مايرام نوعاً ما، ليست التي طمحت بها صحيح ولكنها تحفظ بيتي وتتفهمني في أشنع حالاتي، و ..

أراد أن يكمل لتقاطعته شهد قائلة :

..ولذلك تكافئها بهذا الشكل، تحب عليها، تظلمها، تخدعها، تجعلها محط سخرية لا أكثر..

-أحب عليها أجل، أظلمها ربما، أخدعها لا لإنني على استعداد تام أن أحدثها بكل مشاعري تجاهك، أجعلها محط سخرية أيضاً لا، هي من تدع نفسها محطاً للسخرية وليس أنا..

-أعلمتي لماذا الخطأ، حتى عندما أحببتك - أحببتك لإنك الإنسانية الخطأ، هي والتي أصلاً لا يجوز أن أحبها أو أنظر لها حتى، ولكن بنظري كل شيء خاطئ تستطيعين جلبه أو امتلاكه..

هممت له لتقول بلؤم :

..هذا بنظرك وخيالك المريض..

ضحك بسخرية ولم يجبه لتقول بنبرة باكية :

..أرجوك أعدني إلى زين أرجوك..

نظر لها ببرود وحرك رأسه رافضاً لتردف ببكاء :

..أرجوك أعدني إليه، لقد تعبت من تصرفاتك صدقتي..

تجاهل كلامها وابتسم بحب ليضع يده على وجنتها ويقول بنبرة حاملة :

..عندما أكبر أكثر ويأكل رأسي الزهايمر سأنادي كل العالم باسمك..

حركت رأسها بياس وتنهدت بنفاد صبر ولم تتحدث ليقترب ويضع رأسه على كتفها ويهمس قائلاً :

..أريد أن أستند وأنام على كتفك الصغير، رغم ضئالة حجمه إلا أنني متيقن أنه يستطيع تحملني وتحمل حبي المريض لك..

نظرت له بحزن طفيف وأغمضت عيناها بأسى .. كانت آملة أن تنتهي منه .. أنه غيمة أو سحابة وستمر ..  
يحرمها من أحبائها .. يزرع بदर्بها الشوك إلى منتصف الطريق ومن ثم ييأس ويتركها .. ولكنها لم تكن تعلم أن  
وبمرور الأيام والشهور تلك الغيمة تزداد كثافة وتزيد عليها آلامها ويأسها وحزنها .. لا تجد نفسها في الكلمات  
أو الآهات أو الدموع أو الضجر .. فقط تراه هو أمامها .. هو وحبه المريض واللامنطقي ..

[ ربحنا القلوب وتعاتبنا .. بلكي بالمحبيب يرتاح بالي ]

كان ممدداً على ذاك السرير مغمض العينين ولا يصدر منه حركة واحدة .. دخل عليه صديقه ليراه بتلك الحالة  
..

ينظر لوجهه بأسى .. كيف أنه أصبح هكذا ووصل إلى تلك الحالة .. لم يستطع أن يطيل النظر بوجه صديقه  
ليعقد حاجبيه بأسى وانزعاج ويشيح بوجهه عنه ليخرج فوراً من الغرفة ..

تلك اللعينة جهاد هي من أوصلته إلى هذه الحالة ولن يصمت عنها أبداً .. سيدفعها الثمن غالي ولن يتهاون معها  
أبداً ..

تنهد بحدة ليطلب رقم شخصاً ما ويقول :  
..جد لي عنوان جهاد نصوح في أسرع وقت..

أتاه الرد ليقول :  
..ستعلم لاحقاً كل شيء المهم أريد ان أعلم عنوان بيتها..

رد بالإيجاب ليغلق الخط ويرى مازن شقيق مصعب يتقدم نحوه .. كان بارداً وجامداً حتى عندما علم بما حل  
بأخيه وراه لم يحرك ساكناً وكانت ردة فعله باردة جداً ..

ألقي التحية على نزار صديق مصعب ليقول :  
..كيف حاله! ألم يستيقظ..

تتهد نزار بحنق من برودة مازن وأسلوبه في الحديث وكأنه ليس شقيقه من تعرض لذلك الحادث وتشوه وجهه ..

أجابه ببرود :

..كما تركته في البارحة..

همهم له ببرود ليجلس على المقعد الموجود في رواق المستشفى ويكتف يديه وينظر للاشيء بشرود ..

امتعض نزار وحرك رأسه بياس ليتوجه ويجلس بجانبه دون أن يتفوه بحرف ليقول مازن :  
..من فعل بمصعب هكذا..

نظر له ببرود ليجيب :

..فتاة اسمها جهاد..

تحدث متسائلاً :

..لماذا..

حرك نزار كتفيه بعدم معرفة ليحرك رأسه مازن بتوعد ويقول :  
..جد لي عنوانها..

نظر له نزار بعدم تصديق وما لبث حتى ابتسم بخبث ليقول :  
..لقد وكلت رائد بهذه المهمة وسيعلم عنوان بيتها وكل شيء يخصها..

نظر له مازن بابتسامة خفيفة وخبثتة قائلاً :

..حالما تعلم أين منزلها أخبرني..

اتسعت ابتسامته ليتهد براحة ويتبدل حاله من الامتعاض والانزعاج من مازن إلى الفرح والخبث .. حرك رأسه بإيجاب وهو مبتسم ليمدد جسده بأريحية وكل منهما في عقله الكثير من الخطط والأفعال التي سيفعلونها بجهد ..

---

عند الساعة الثالثة صباحاً

نهضت بثناقل وهي تشعر بآلام في جسدها جراء نومتها على الأرض .. نظرت بأرجاء المكان وهي تحاول استيعاب ماجرى ..

وقع نظرها عليه وهو مستلقياً ونائماً بعيداً عنها بمسافة بعيدة بعض الشيء .. بدى لها وكأنه غائباً عن الوعي من فرط الشرب ..

لمعت في رأسها فكرة لتقترب منه ببطئ وتمد يدها إلى جيب سترته بحذر لتبحث عن المفاتيح وقد وجدتهم فوراً ..

ابتسمت باتساع حالما التقطتهم لتسحبهم ببطئ شديد .. جفلت وشهقت وبدأ قلبها يقرع كالطبول عندما شعرت بيده تعصر يدها بقوة ..

وجهت نظرها له لتراه مغمض العينين قائلاً بهدوء :

..لا تحاولي..

ابتلعت ريقها بخوف وحاولت تحرير يدها التي تؤلمها وفي عقلها سؤال واحد (ألم يكن نائماً) .. ابتسم وفتح عيناه لينهض ويفلت يدها ليقترب منها ويصبح وجهه مقابلاً لوجهها ويقول :

..لم أكن نائماً ولا غائباً عن الوعي أيتها الحمقاء..

نظرت له برعب لتبتعد عنه بينما هو ضحك بخفة .. سمع رنين هاتفه ليبتسم عندما رأى اسم المتصل وقد كان معين .. وبحركة مقتصدة منه فتح زر الرد وفتح زر الصوت لكي تسمع شهد مكالمته .. فهو على يقين أنه سيحدثه عن زين ..

-ماذا تريد أيها اللعين..

ضحك معين ولفت انتباهه شهد صوته ليقول :

..ابنك قد سبب لي الصداق من كثرة أسئلته، ماذا أفعل به..

ابتسم بخبث ونظر لشهد التي جحظت عيناها ليقول :  
..تجاهله، لا تجالسه، اتركه بمفرده..

وصله صوت معين قائلاً :

..حسناً ولكن متى سأطلق سراحه..

اتسعت ابتسامته الخبيثة ليقول وهو يناظر شهد بخبث ونظرة ذات مغزى :  
..حالما ينتهي عملي من القطة التي معي..

ضحك معين ليقول :

..ماذا كان سيحدث لو أننا تبادلنا الأدوار يارجل، أنت تأخذ ابنك وتضعه عندك وأنا أخذ زوجة ابنك الصغيرة  
وأضعها عندي..

كز زياد على أسنانه ليقول بغضب :

..لو كنت أمامي لكنت وضعت لك قنبلة موقوتة في فمك أيها السافل..

ضحك معين بقوة قائلاً :

..وهل هناك قنبلة موقوتة كزوجة ابنك ياسيد زياد..

أنهى جملته ضاحكاً ليشتمه زياد شتيمة رذيلة ويغلط الهاتف في وجهه بغضب .. تنهد بانزعاج لينظر لشهد التي  
كانت واضعة يدها على فمها وعيناها جاحظة ..

ضحك بهدوء ليقول :

..ماذا! هل تفاجئتني لإن زين موجود عند معين..

لم تجبه فقد ظلت كما هي ليقترب ويجلس بجانبها ويردف لها :

..فعلت ذلك لكي لا يشعر بعدم وجودك ومن أجل سلمى لا تخافي سأندبر أمرها، أنا أعلم كيف أصمتها..

لم تعلم ما الذي ستقوله له وأصلاً ليس بيدها حيلة لقول أي شيء ولا حتى الأفعال .. لم تفعل شيء سوى أنها  
أجهشت بالبكاء وهو ينظر لها ويبتسم بسخرية على حالها وأيضاً على حاله ..

تنهد بقوة واستند برأسه على الجدار وسرح .. لطالما كان يسرح كثيراً في أمرها وأمر حبه الأحمق لها ..

كثيراً من الأوقات يسأل نفسه "ماذا أفعل أن"

"ولماذا أفعل ذلك!"

"لماذا سمحت لنفسي أن أحب زوجة ابني!"

"لماذا لا أكون الأب المثالي لابني واحفظه وأصونه وأفرح لفرحه كحال كل الآباء!"

"أين أنا من أولئك الآباء الذين همهم الوحيد أن يسعون لسعادة أبنائهم وراحة قلوبهم!"

أفكار كثيرة وخواطر عدة تجول داخل فكره ولكن وبعد الكثير من التساؤلات المنطقية التي يطرحها عقله لضميره يجيب بإجابة مقنعة بالنسبة له (لأنني لم أعرف الحب إلا بها، لأن قلبي اختارها رغماً عنه وعني، لأن ليس بيدي حيلة سوى أن أحبها وأبعدها عن ابني لاطفى لهيب قلبي المتيم بها)

يعلم ومقتنع كثيراً بأنه على خطأ ولكن وكما أخبرتكم من قبل زياد يعشق كل الأشياء الخاطئة وشهد كانت من ضمن الأشياء والأشخاص الخاطئة التي مرت في حياته وستبقى في حياته ولو كان رغماً عن أنفها ..

أدار وجهه إليها ليراها توقفت عن البكاء وسرحت بمخيلتها كما كان هو قبل قليل .. مرر يده على وجنتها برقة ولم يرى منها أي ردة فعل ..

لقد تعبت وملت منه ومن أفعاله .. ستستسلم له فليفعل ما يحلو له .. تعبت وتألمت كثيراً ولم يعد بيدها حيلة لفعل شيء .. فهي لم تترك وسيلة لاقناعه بنسيانها وتركها بحالها ولكنه لم يستجيب ..

تنهدت بقوة لتزيح يده عنها بهدوء وتبتعد قليلاً عنه .. ابتسم بمكر ليقترّب ويلتصق بها أكثر .. سحبها إليه لتسقط بحضنه وتحاول التملص والابتعاد عنه ولكنها لم تفلح فا استسلمت وسكنت بأحضانه بيأس شديد منها ..

ابتسم باتساع عندما شعر بسكونها ليشد على احتضانها ويدفن وجهه بعنقها ويتنهد ويغمض عيناه براحة تامة ..

---

كانت تحدّثه وتجهش بالبكاء في هذه الساعة المتأخرة .. لم يعلم كيف يهدأها ولم يعلم ما بها .. تنهد حسام بقلق ليقول :

..جهد حبيبي مابك حدثيني، ماذا يحدث معك..

شهقت بكاء وهي ترتجف من خوفها لتقول بصوت متقطع :

..أرجوك أخي عد إلى البلاد أنا بحاجة لك، أرجوك لا تتركني أنا في ورطة كبيرة..

وقع قلبه من قلقه عليها ليقول بقلق وخوف ظهرا في صوته :

..مابك قولي لي! ماذا حدث أخبريني! سأكون معك حبيبي لا تقلقي ولكن أخبريني ماذا حدث..

ازداد بكائها ونحيبها ولك تجبه ليتنهد بنفاذ صبر ويقول :

..حسناً جهد سأعود في ظرف يومان أو ثلاثة، سأحاول جاهداً أن أعود في هذه المدة لن أتركك صغيرتي،  
وحالما آتي سيكون حسابي عسير جداً مع إيهاب كونه لا يأبه لك ولحالك..

شهقت بكاء لتجيبه بتقطع و بكاء :

..حسناً أرجوك لا تطيل المدة أنا بحاجة لك جداً..

رد عليها بالإيجاب وهدأها قليلاً ومن ثم أغلق الهاتف وفي قلبه كل القلق على شقيقته الصغرى .. مدلته  
وصغيرته التي كان المسؤول عنها بعد وفاة والده .. فهو قد دللها وأعطها كل ماتريد وكان حريصاً عليها  
جداً كي لا تشعر بالفقد واليتم عندما توفي والده ..

تنهد بقلق لينتبه لزوجته التي استيقظت ولم تجده بجانبها لتنهض وتتفقدته ووجدته جالساً في الصالة وعلامات  
القلق بادية على وجهه ..

جلست بجانبه لتضع يدها على كتفه وتقول بحنان :

..حبيبي مابك وما الذي أيقظك في هذه الساعة..

أدار وجهه عنها وامتعض ليبعد يدها عنه بهدوء وقد تبدلت ملامحه للبرود قائلاً :

..لا شيء، جهد حالها لا يعجبني وكانت تبكي وتطلب مني العودة للبلاد كي أكون بجانبها..

هممت له بصوتها الناعم لتقول بابتسامة عذبة :

..حسناً إذا سنعود انا وأنت ولؤي الصغير، مارأيك..

نظر لها ببرود ومن ثم أدار وجهه ولم يجيبها فقد كان يفكر بكلامها، هل حان موعد رجوعه للبلاد ياترى أم ماذا! نعم هو تزوج من تلك المرأة الرقيقة والواثقة والجميلة والتي تدعى دينا .. تزوجها وأراد أن يهرب من حبه وعشقه لتلك الفتاة التي لم يرى لها مثيل ..

لم تكن قصتهما تتمحور حول الثقة وصون الود فصديقنا حسام لم يستطع أن يدع عادته ألا وهي النساء .. كان دائماً يخون سناء ويماشي الكثير من الفتيات ويدخل في علاقات عدة معهن ..

سناء كانت تحب حسام كثيراً وقد تغاضت عن الكثير من العيوب التي به وأرادت أن تغيره وتغاضت أيضاً بكثير من المرات عن خيانتته لها لعله ينصلح حاله ويبطل عادته ولكن عبث ..

فهو لم يستطع ترك علاقاته المعدودة ولا ترك الشرب حتى .. لطالما سعت سناء كثيراً معه ومع ذلك لم تفلح ولم تنجح في تغييره إلى أن سأمت من وضعه وطلبت منه الانفصال قبل أن يتقدم لخطبتها بيومان ..

فهي قد اكتشفت خيانة أخرى له مما جعلها تنفصل عنه وتيأس من تصرفاته ومن خيانتته ومما جعل حسام يجن جنونه عندما تركته ..

لم يستطع تحمل هزيمته وفشله بالحفاظ عليها وكبريائه وحقده وغروره الذين جعلوه يتزوج من دينا التي كانت تعمل معه في نفس الشركة ويسافر بها إلى خارج البلاد حالو دون ذلك ..

أجل مازال يحبها ومازال يعشقها ولكن في قلبه حقد كبير ونيران مشتعلة كونها تزوجت من أخيه .. الآن علم ما معنى الخيانة وجرب مرارتها وألمها وسيحاسبها .. نعم سيحاسبها .. سيتجاهل كل أخطائه الماضية معها وينساها ويبرر لنفسه ويحاسبها ..

شيء محزن ومؤسف أن يتحول الحب والود إلى حقد وانتقام ..

---

كانت جالسة كما هي لم تحرك ساكناً .. لقد غاب عنها منذ مايقارب الساعة ولم ترى وجهه .. لا تعلم بعد أن دار ذلك الحديث بينهما أين رحل ..

شتمته وبصقت في وجهه ولم تكفي من الإنزال عليه بالكلمات السامة والموجعة .. ألمته كثيراً بحديثها عندما أبعدته عنها بعنف وبدات نوبة جنونها وصراخها ..

لم تترك شتيمة ولا كلمة مؤذية للسمع والشعور إلا وأنزلتها عليه .. جملة واحدة منها جعلته حقاً كالمجنون .. لم يبالي لكل الكلام الجارح فقط جملتها الأخيرة هي من جعلته يجن ويغادر المكان قبل أن يطالها غضبه ..

-أيها العجوز الخرف فقط لو تذهب إلى أول طبيب نفسي لكنت قد حُلّت جميع مشاكلك وعقدك النفسية ومشاكلي ومشاكل ابنك التي لا يعلم أنها تهبط عليه، لا تظن أن بعد كل الذي تفعله سأرضخ لك، أنا على استعداد تام أن أموت ولا أكون مع شخص قذر ومقرف مثلك، استغلالي مهووس ولعين..

في أثنائها وكأن خيبات وأوجاع الدنيا كلها قد حطت عليه .. غضب وجحيم اجتاحاه في لحظتها ليخرج فوراً وإلى الآن لم يعد ولا يعلم أين يذهب أو ماذا يفعل معها ..

أرادها فقط أن تشعر به .. أن تعلم ما علته .. أن تضع يدها على العلل التي تحيطه لعلها تجد له علاجاً مما يعانیه .. لربما أرادها حلاً لجميع مشاكله ودواء لكل آلامه وليس حبيبية أو عشيقة .. فقط لو تتفهمه وتعلم ما أصابه ..

اجتاحتها شعور قوي في هذه لحظة .. شعور لم تستطع تفسيره ولكنه يدل على الخوف منه والحزن عليه ..

هي تعلم جيداً أن لديه عقدة نفسية ويجب معالجتها ولكنها حقاً لم تعد تطبق أفعاله .. لو أنه طلب العلاج لأعطته .. لو طلب العون لساندته .. لو طلب الشعور الجميل لكنت له ابنة تزين له حياته وتعامله كأنه والدها .. ولكن طلبه صعب جداً .. يريد لها حبيبية .. عشيقة .. فقط يريد لها حبه المريض واللامنطقي وهذا ما لن تسمح به أبداً ..

شعرت بصوت وقوف سيارة في الخارج .. دق قلبها بعنف لأنها تيقنت أنه هو .. فتح الباب عليها لتراه واقفاً أمامها وهيبته مبعثرة وعيناه حادة ..

ابتلعت ريقها بخوف ليتقدم منها بخطوات بطيئة وترك الباب مفتوح ليأخذ وضعية القرفصاء أمامها مبتسماً تلك الابتسامة التي لا تعجبها ولا ترتاح لها ممرراً يده على وجنتها ليقول بصوت عميق :

..أنا فعلاً مريض ولا تلوميني على ما سيفعله مرضي بكِ..

أجابت بتوتر :

..وماذا يوجد أكثر من الذي فعلته..

ضحك بسخرية ليقول :

..ستعلمين الآن يا شهدي..

انتفض واقفاً ليخرج من المكان لبرهة بينما هي قد هبت واقفة عندما رآته يدخل وممسكاً حبل كلب كبير وشكله مخيف وهو يعوي ..

لطالما كانت شهد تموت خوفاً من الكلاب وبالأخص الكلاب الكبيرة والمخيفة ..

بدأت تبكي وتصرخ عندما رآته يتقدم به ناحيتها ليقول بصوت مرتفع بسبب صراخها وعواء الكلب :  
..إنه مسعور شهدي مارأيك أن أطلقه عليك..

صرخت قائلة بكاء :

..أرجوك أبعده عني أرجوك أنا أخاف جداً منه أرجوك لا تؤذني، أنت تعلم أنني أخافه جداً..

ضحك بقوة ليقول بصوت عالي :

..لإنك تخافين جلبته لك، ألسنت مريض، حسناً لا على المريض حرج..

ترك الحبل واقترب الكلب منها ببطئ لتصرخ شهد بانهييار وتأخذ وضعية القرفصاء وتخبي وجهها وهي تصرخ وتبكي في الزاوية ..

ضحك بقوة ليتجه ناحيه الباب الحديدي ويضربه بيده بعنف .. فزعت شهد وبدأت ترتجف وبدأ الكلب يعوي أكثر من ذي قبل ليتقدم ناحيتها ويلامس رأسه بركبتها ويزاد يبتسم بتشفي ..

حالما شعرت به أمامها حتى اشتد صراخها ونهضت متوجهة نحو زياد ولكنه سارع وخرج من المكان وأقفل الباب من الخارج لتضرب الباب بقوة وهي في حالة انهيار وهلع ..

ظلت دقائق تضرب على الباب وتطالبه بالخروج ولكن لا حياة لمن تتنادي إلى أن لم يعد يسمع لها صوت ..

أتاه اتصالاً من معين ليجيب بابتسامة :

..ماذا تريد..

حدثه معين بفرع وتوتر :

..زياد، زين وضعه ليس على مايرام..

هبط قلبه عندما سمع بجملمته ليتحدث بفرع :

..مايه زين! ماذا حدث له! أخبرني معين..

أنهى جملمته بصراخ ليشد معين على شعره بقوة ويقول بقلة حيلة :

..لا أعلم صدقني لا أعلم، طلبت من الحارس أن يفك وثاقه ليدعه يأكل وكان على مايرام، دقائق ودخلت عليه لأراه ممدداً على الأرض وغائباً عن الوعي..

ضرب زياد الباب بقوة ليقول بصراخ ونفاذ صبر :

..وهل مازلت تتفرج عليه انقله إلى المستشفى بسرعة أيها اللعين، سأتيك في الحال..

رد عليه بالإيجاب وأغلق الخط ليدخل زياد بسرعة البرق إلى شهد والتي رآها مغشياً عليها لشدة فزعها من الكلب والذي كان جالسا في زاوية المكان ..

لعن بسره وحملها بين يديه ليضعها بالسيارة وينطلق بها ويعاود الاتصال بمعين ويعلم منه إلى أي مستشفى سينقل زين وبالتالي سيذهب هو أيضاً بشهد إلى نفس المستشفى ..

حسناً في الواقع زياد أراد أن يلحق شهد درساً قاسياً على ماتفوهت به لذلك جلب الكلب .. هو ليس من الكلاب المسعورين على العكس ولكن أراد أن يخيفها فقط لا أكثر وهذا ما حصده في النهاية .. خوفها وهلعها من رؤية الكلب فقط أمامها جعلها في حالة مخيفة مما أدى إلى فقدانها للوعي ..

أما بالنسبة لزين ف إلى الآن معين لا يعلم ما سر فقدانها للوعي أو بالأصح ما هي حالته وماذا حدث له .. حسناً لقد حدث شيء وسنعلمه فيما بعد ..

"لا تفلتي يدي فالدنيا تلتهم السائرين وحدهم كقبر يأكل الموت .

-لا تعلق روحك بروحي فالبحر يبتلع الثقيل فما بالك بالثقلين لو اختلطا"

كان في حالة ذعر شديدة على ابنه الوحيد .. لم ينتظر أن يطمئنه أحد عليه فقد دخل بسرعة البرق إلى الغرفة الموجود بها بعد أن أدخل شهد إلى غرفة أخرى وتولى أمرها الطبيب ..

ينظر له بنظرات خائفة وهو ممدد على السرير ذو الشراشف البيضاء ومغمض العينين ليقترّب منه بخطوات بطيئة متجاهلاً كلام الطبيب وطلبه بالخروج من الغرفة ريثما يعلم حالته ..

وضع يده على جبهة ابنه ومسح عليها بخفة ناظراً له بحزن وندم .. لولاه ولولا أفعاله المخزية لما وصل زين إلى هنا وأيضاً شهد ..

تنهد بعمق وأغمض عيناه بأسى على حاله ليسمع حديث الطبيب بلحظة دخول معين عليهم وهو يطمئنهم عليه بأنه على مايرام ومجرد ضغط لا أكثر ..

أطلق تنهيدة بارتياح ليحرك رأسه موافقاً ويخرج الطبيب ويبقى زياد ومعين في غرفة زين ..

لم يفعل شيء سوى أنه جلس بجانب ابنه ممسكاً بيده وباليدي الأخرى يمسح على وجهه بحنو ناسياً تماماً أمر شهد وما الذي حل بها ..

تقدم معين ببطئ نحو زياد ليقول :

..الحمد لله أنه بخير..

حرك زياد رأسه موافقاً دون التحدث ليردّف معين :

..ماذا حدث لشهد حتى نقلتها هي الأخرى إلى المستشفى..

أجاب بصوت عميق :

..أغمي عليها هي أيضاً..

ابتسم معين بسخرية وقد تيقن أن زياد قد جعلها تجرب مزاحه الثقيل ورأت أيضاً أفعاله .. فهو يعرفه عز المعرفة وقد علم بحبه لشهد منذ أن طلب منه أن يأخذ زين ويضعه عنده ..

سأله معين بهدوء :

..ماذا ستقول لزين عندما يستيقظ ويراك هنا..

تنهد زياد بقوة ليجيب وهو مغمضاً عينيه :  
..أنت اذهب وأنا سأتولى أمره وأمر شهد..

معين بقلق :

..حسناً ولكن كيف ستلحق كذبة كي لا يعلم زين أن شهد لم تكن في المنزل، ثم أن ماذا عن زوجتك أيضاً..

امتعض ليجيبه بنفاذ صبر :

..قلت لك سأتولى أمرهما وأيضاً سأتولى أمر سلمى أنت لا تقلق، فقط اذهب قبل أن يستيقظ زين ويعلم أنه كان عندك..

همهم له بإيجاب وودعه وغادر المكان بينما هو قد ظل بجانب زين يحرص على سلامته حتى يستفيق ..

لم يظل زين مدة طويلة وهو نائم فقد استيقظ ووجد والده جانبه يمسح على شعره بخفة .. ابتسم زياد حالما رآه قد استيقظ ليقترب ويقبل جبهته مطولاً ويقول بصوت خافت :  
..حمداً على سلامتكم أيها الخطير..

كان زين عاقداً حاجبيه محاولاً تذكر ماحدث معه .. أين كان وماذا حل به وكيف وصل إلى هنا .. أجل هو كان في ذلك المكان اللعين والمظلم إلى أن فقد الوعي ..

وحالما تذكر كل شيء حتى أدار وجهه عن والده مما جعل زياد يبتلع ريقه ويلم شتاته ويقول بعمق :  
..مابك زين، لما لا تجيبني بني..

ابتسم بسخرية عندما سمع بكلمة (بني) ليتنهد بعمق ويغلق عيناه بقوة .. تعجب زياد من حالته ليردف له :  
..هل أنت على مايرام زين..

أدار وجهه لوجه زياد ليناظره ببرود مطولاً ومن ثم سأله ذلك السؤال الذي نزل على مسامع زياد كالصاعقة  
قائلاً :

..لماذا طلبت من معين أن يضعني عنده! ولماذا أخذت شهد إليك..

---

فتحت عيناها بوهن لتقابل الضوء القوي لتعاود إغماض عيناها بانزعاج .. أعادت فتحها لتتظر بأرجاء المكان وترى نفسها في غرفة بيضاء .. كانت تتذكر ماذا حدث معها .. لم تستغرق وقتاً طويلاً في مراجعة الأحداث ف الذعر والخوف مازالا يتمكنان في قلبها ..

هبطت دموعها على وجنتيها عندما تيقنت أنها ستراه بعد قليل داخلاً عليها وكالعادة في عيناه نظرة البرود ..

خابت توقعاتها عندما سمعت صوت الباب يفتح لترى الطبيب يدخل عليها وما إن رآها قد استيقظت حتى ابتسم لها ..

تقدم منها قليلاً ليقول بابتسامة :

..حمداً على سلامتِك يا شهيد..

حركت رأسها موافقة ببطء دون التفوه بحرف ليردف الطبيب :

..السيد زياد سيأتي بعد قليل..

امتعضت بوجهها لتقول :

..ماذا حدث لي..

ابتسم الطبيب ليقول :

..لا تخافي لا يوجد شيء يدعي للخوف، حالتكِ على مايرام..

تنهدت بقوة وحركت رأسها موافقة ليتحمد الطبيب لها بالسلامة للمرة الثانية ومن ثم يخرج من غرفتها بهدوء ..

عضت على شفتيها بقوة وقهر فهي متأكدة أن الطبيب ذهب ليخبر زياد باستيقاظها وبالتالي سيأتي وسترى وجهه الذي باتت تمقته ولا تستطيع النظر فيه ..

نهضت بهدوء متمالكة نفسها ووجعها لتبحث عن حذائها وترتيبه بقدمها ومن ثم تخرج من الغرفة .. مدت رأسها بحذر لترى رواق المستشفى خالي ولا يوجد أحداً به .. خرجت بهدوء وسارعت في الخروج من المستشفى .. وبطرف دقائق كانت شهد خارج المستشفى وهربت إلى وجهة لا تعلمها ..

---

اجتاح قلبه الذعر في لحظتها .. ذاك الذعر الذي انتابه عندما وصله خبر أن ابنه فاقداً للوعي لا شيء أمام الذعر الذي فب قلبه الآن ..

ابتلع ريقه وحاول بحنكته أن يخفي توتره ليقول ببرود مصطنع :  
..لم أفهم عن ماذا تتحدث بني..

انتفض زين بفراشه ليصرخ :  
.. لا تقل لي بني ها، لا تقل لي بني، ويخيل لي أنك سمعت سؤالي وأتمنى أن تجيبني عليه بصدق..

نظر له زياد بعدم استيعاب وحرك رأسه بتشتت ليقول :  
..عن ماذا سأحدث بالضبط أفهمني..

تنهد زين بحدة ليقول :  
..ما علاقتك بشهد وماذا تريد منها! ولماذا اختطفتها ولماذا جعلت معين يختطفني هيا قل لي..

ابتسم زياد بسخرية مخفياً في داخله توتره وخوفه ليقول :  
..أواع أنت لما تقوله يازين، وما الذي أريده من زوجتك ياترى، هي كابنتي تماماً، ولما سأختطفها ما الذي يحدث لك..

كز زين على أسنانه ليحرك رأسه بنفاذ صبر وعلامات اليأس والقهر على وجهه ليقول وهو ينهض من الفراش ويفصل المصل عن يده بعنف :

..كفاك مراوغة أبي كفاك أرجوك، لقد سمعت معين وهو يتحدث إليك عني وعن شهد وأيضاً سمعته عندما تحدث مع أحد رجاله عنك أنك اختطفت شهد لأنك تريدها لك، لقد علمت كل شيء لا داعي للإنكار اتفقنا..

أنهى جملته بصراخ ليبتلع زياد ريقه بتوتر وقد شعر بجسده يسخن وبأنه هو الآن من يحتاج للمستشفى وليس زين أو شهد .. تنهد بقوة لينهض ويقف مقابلاً لزين ويضع يديه في جيوبه قائلاً .برود :

..حسناً يبدو أنه حان الوقت لكي تعلم بكل شيء بني..

همهم له زين بعصبية وجسده بالكامل يرتجف ليقول :

..هيا حدثني بكل شيء..

مسح زياد على وجهه باضطراب ليقول :

..حالما نصل إلى البيت سأقول لك على كل شيء..

صرخ زين بقهر :

..أريد أن أعلم الآن وهنا وأريد أن أعلم أين ذهبت بشهد وماذا فعلت بها! ماذا تريد منها! ولما وصلت دنائتك لإن تنتظر إلى زوجة ابنك ها! أليس لديك قلب أنت! إن كنت لا تحبني ولا تتمنى لي الخير لماذا أبقيتني عندك، لماذا لم تتركني أبعد عنك وأواجه مصيري بمفردي، لماذا ل.....

زياد الذي كان يستمع لكلمات ابنه وقد بدأ الخوف والاضطراب يتمكنان من قلبه .. لم يتحمل كل هذه الاتهامات التي يوجهها له ابنه .. فليتهمه العالم كله إلا زين .. فليحزن العالم كله منه إلا زين .. لم يتخيل أنه سيؤثر به في يوم من الأيام إلى هذا الحد ..

كان يظن أنه سيعترف للجميع أنه يحب شهد ولن يبالي لأحد .. لن يهتم ولن يتأثر بأي كلمة ستوجه له ولكن لا .. صدقاً هو لم يتحمل كلام زين .. فعلاً الخيال الذي كان يتخيله ويلفقه في عقله بعيداً جداً عن الواقع الذي يواجهه هو الآن ..

باضطراب وخوف وقهر وذعر أمسك ابنه من معصميه ليسنده بالحائط ويقرب وجهه من وجه زين ليقاطع حديثه ويصرخ بقهر :

..أيها الأحمق هل ستقف بوجه أبيك لأجل فتاة صغيرة، هل أردت أن تترك والديك من أجلها، هل الآن تتهمني بأني أحبها وأريدها ولا يوجد شيء من ذلك! افهم أيها الغبي أنا والدك يستحيل أن أفعل بك هكذا، اقتنع بكلامي لا تدع حبك لها يعميك عن رؤية الحقيقة هل تسمع..

ومع مرور الكلمات التي كان ينطقها كان صوته يختفي بالتدريج لتهبط دموع زين ويقول بقهر :

..أينك قلت لي أنك تريدها صدقتي لكنك قد تركتها لك ولم أكن لأتزوجها والله يا أبي وغلاتك في قلبي أنني كنت لأتركها لك ولا تفعل بي ذلك..

شد على معصميه أكثر ليقول بحدة وعيناه حمراء كالدماء :

..أنا لا أحبها ولا أريدها وكل الذي سمعته لا أساس له من الصحة، ستعلم كل شيء حالما نعود إلى المنزل وسأثبت لك أيضاً أنني لا علاقة لي بكل ماتتهمني به..

أخذ نفساً عميقاً ليزفر ببطئ ويقول بوجه جامد :  
..إذاً من ذا الذي له علاقة بكل ما يحدث هل تستطيع إجابتي..

ابتلع ريقه بتوتر وحرك رأسه موافقاً بعنف ليقول :  
..شهد هي السبب بكل شيء وستعلم لاحقاً كل شيء صدقتي..

أدار وجهه عن والده ليقول ببيكاء :  
..ليتنى أستطيع تصديقك، ليت شهد هي المذنبية، ولكنني لن أصدقك أبي، لا أستطيع، لأنك أنت المسؤول عن كل ما يحدث، شهد لا يخرج منها العيب ولا تفعل شيء خاطئ..

جحظت عينان زياد وهو يستمع لكلمات ابنه ليقول بذهول :  
..يعني أنا الذي يخرج مني العيب..

نظر له زين ببرود ومن ثم أدار وجهه عنه ليشد زياد على مصميه ويضرب ظهره بالحائط ليقول بصراخ :  
..أجبنني زين، والدك يخرج منه العيب، والدك سينظر إلى زوجتك والتي في عمر ابنته، وا....

قاطعته زين ببرود وإصرار :

..لماذا لا تتصارع مع نفسك أبي، أولاً أنت من كان وراء طردي من المستشفى، ثانياً لقد رأيتك بأم العين في تلك الليلة كيف أنك تحاصر شهد في الحائط ولا أعلم ما الذي كنت تفعله بها وحالما دخلت عليكما حتى تداركت الأمر وقلبت الوضع ضدها، ثالثاً شهد طلبت مني أن نعجل في حفل الزفاف فقط لكي تتخلص منك ومن تحرشاتك بها أليس كذلك..

ذهل وصعق .. نعم كان في حالة ذهول كيف أنه ولأول مرة زين ابنه وحيد يوجه له الاتهامات وينظر له هذه النظرة .. لطالما كان زين يحترم والده ويحبه حباً جماً لا يوصف .. ولطالما كان زياد يستطيع أن يسيطر على عقل زين ويقنعه بأي شيء يكون لصالحه إلا الآن ..

الآن زياد حقاً كره ومقت نفسه مقتاً شديداً .. يشعر وكأنه لا شيء في حياة ابنه .. خرقة بالية مصيرها الرمي بالنفايات أو الحرق ..

ابتعد عنه ببطئ وهو يناظره بذهول بينما زين له ببرود وبداخله قهر كبير ووجع أكبر منه وعليه .. ابتسم زياد بخفة والدموع متجمعة بعيناه ليحرك رأسه موافقاً ببطئ ويقول بهمس :

..أنت ابني الوحيد ولن تخرج عن طاعتي، لطالما ساندتك ووقفت بجانبك بكل اختياراتك ولكنني لن أدعك أعمى هكذا بهذا الشكل..

عقد زين حاجبيه بعدم فهم ليأخذ زياد نفساً عميقاً ويقول :

..سأبرئ نفسي أمامك يا زين وسترى أنني لا علاقة لي بكل ما تتهمني به ومن بعدها ستمتثل لأوامري لن تترك المنزل ولن تخرج للحياة إلا برفقتي أنا ومعني لإنك حقاً يبدو أنك عدت طفلاً صغيراً كما كنت في السابق تحتمي بي وتطلب مني العون وأنا بدوري كنت أقف بجانبك وأساندك..

أراد أن يخرج من الغرفة ولكنه تذكر شيء ما ليقول وهو يمد سبابته بحذر امام ابنه :

..ولا تطلب الصفح والمسامحة مني حالما تكتشف الحقيقة اتفقنا..

أنهى جملته ليزفر بضيق ويعود إلى بروده وجموده ليردف له ببرود :

..بعد قليل سنخرج من المستشفى..

أراد أن يخرج ولكن زين استوقفه قائلاً :

..وشهد، أين هي..

ابتسم زياد بسخرية وهو معطياً ظهره له ليقول بلؤم وجمود :

..ستعود معنا لا تخف على أميرتك المخادعة والصغيرة يا .. ههه يا بني..

نظر له بلؤم وخرج من الغرفة فوراً إلى وجهته بينما زين ظل متخبطاً بمكانه وبنفسه وهو فاقدا للحقيقة وغير عالماً بمن يصدق .. خائف جداً من أنه يكون قد ظلم والده وبالتالي خائف من أن تكون زوجته هي المخادعة وينصعق بحقيقتها .. حسناً الساعة سنأتيه يعني سنأتيه ولكن من من ياترى هذا ماسيوثر على قلبه بشكل أكبر ..

بينما زياد خرج من غرفة زين ليتوجه بسرعة البرق إلى غرفة شهد .. دخل إلى غرفتها ولكنه لم يجدها ليرى الطبيب قد أتى من خلفه قائلاً :

..سيد زياد، شهد ليست في الغرفة، بحثنا عنها في المستشفى كلها ولا أثر لها..

ابتسم زياد بسخرية وهو يحرك رأسه موافقاً ليطلق ضحكة صاحبة منه جعلت الطبيب يتعجب كثيراً منه ..  
تمالك نفسه من الضحك ليبعده عن طريقه ويخرج ليطلب رقم معين .. ثواني وأجابه معين ليقول زياد :

.. زين علم كل شيء وحالما أراك سألعن حياتك فقط على غيابك، جد لي تلك العاهرة الصغيرة بأسرع وقت،  
للعينة هربت من المستشفى، وإن كانت في منزلي فلنأخذها من منتصف المنزل وأمام عينان سلمى أيضاً لا  
يهمني، المهم أن لا أعود أنا وزين ونراها هناك..

أنهى جملته ليفصل الخط في وجهه وينظر للاشيء بتوعد و شر وهو يقسم بينه وبين نفسه أنه سيذيقها الويل  
فقط على ما أوصله حبها له وما أوصل ابنه له بسبب حبه لتلك الحمقاء الصغيرة .. لقد بدأنا يا سادة ..

"لا يوجد مساكين ، الكل أوغاد لكن الفرصة لم تأتيهم بعد"

---

عاد زياد بزین إلى المنزل بعد أن بحث معين في منزل زياد عن شهد ولم يجد لها أثر وإلى الآن لم يجدها حتى  
..

دخل إلى البيت وحالته لا يمكن وصفها .. لم يابه لوالدته التي ما إن رآته دخل حتى هرولت ناحيته واحتضنته ..  
أبعدها عنه برفق وتوجه فوراً إلى غرفته دون التفوه بحرف وزياد يراقب بصمت وأيضاً لم يتفوه بحرف ..

تعجبت سلمى من حال زين وأيضاً عندما لم ترى شهد برفقتها لتسأل زياد:

..أين شهد يا زياد..

نظر لها ببرود وتنهد بملل ليجيبها وهو يتوجه إلى غرفته هو الآخر:

..في حبيتي..

راقبته وهو يبتعد عن ناظرها لتتنهد بحدة وتلحقه بسرعة البرق لتدخل عليه بعنف وتقول بصرامة:

..أين شهد ها..

رمى بسترته على السرير وتمدد بأريحية ليقول:

..قلت لك في جيبتي..

بروده معها لم يعجبها وصدقاً قد فاض الكيل معها .. توجهت ناحيته لتقف بجانبه قائلة بحدة:  
..للمرة الثالثة أسألك أين شهد وأين كان زين ولما هو في هذه الحالة ولما لم تجلب شهد معك هيا أجنبي..

قلب عيناها بتملل ووضع يديه خلف رأسه ليقول بملل:  
..سلمى اخرجي من هنا ولا تريني وجهك، لست متفرغ لاسئلتك وسخافتك..

اخذت وضعية القرفصاء ليصبح وجهها مقابلاً لوجهه وهو ممدد على السرير لتقول بترقب:  
..كانت معك أليس كذلك، حسناً أين ذهبت بها..

نظر لها بابتسامة باردة ليقول:  
..كانت معي أجل ولكنها هربت عندما كانت في المستشفى، ظننتها ستأتي إلى هنا ولكنني تعجبت من أمرها، لا يهم سيجدها معين وسأريها الجحيم بذاته..

حفظت عيناها لتقول بذهول:  
..وما غرضك منها لتدعها تبقى معك وما شأن معين بها، لم أفهم ما الذي يحدث أخبرني زياد..

ضحك برزانة ليعدل وضعية الجلوس ويتنهد بقوة ويقص عليها كل شيء بجرأة كبيرة وبكل عين وقحة .. إن كان زين قد أثر به وترك أثر كبير في قلبه كونه تألم من فعلة والده فسلمى هي الوحيدة التي لن يتأثر بها ولا بردة فعلها ..

لم تحرك ساكناً عندما انتهى من كلامه فقط تنتظر له بذهول وأعين متسعة .. الصدمة كانت كبيرة عليها أجل ولكنها لن تنكسر .. بنسه وبنس عشقها له .. ليس زياد من يكسرها أو يتمكن منها ..

ابتسمت بسخرية لتقول:

..كنت أشك في الأمر أجل، ولكنني لم أكن أتوقع أن تصل جراتك لإن تجرح ابننا يازياد، إن كنت ساهون عليك لا بأس ولكن زين ما الذي فعله لك حتى يرى منك كل هذا..

همهم لها وهو يتوجه ناحية المشروبات ليصب النبيذ في كأسه ويقول:

..سؤال منطقي عزيزتي سلمى ولكن جوابه هو أنني لا أعلم..

هيبت دموعها بصمت وحسرة .. تناظره بكثير من المشاعر .. لا تعلم أتشفق على حالها أم على ولدها أم على  
شهد أن عليه هو .. إنه حقاً رجلاً يستحق الشفقة بنظرها ..

نظر لها بابتسامة جانبية ليقول:

..أرجوك وفري دموعك للآتي ولا تريني شيئاً من مشاعرك الخالصة والحسرة واللوم والأمور اللعينة تلك، فقط  
اخرجني من الغرفة أريد أن أخطط وأعمل على فكرة إصلاح علاقتي بزين وإبعاد تلك اللعينة عنه..

ضحكت بمرارة لتقول:

..صدقاً لم أتوقع جرأتك وصراحتك في الكلام، يا رجل إتقي الله بابنك وبزوجته، دعك مني أنا اعتدت على  
أسلوبك وسفالتك ولا مبالاة لك ولكن زين لا يستحق منك هذه الأفعال..

شرب كأسه دفعة واحدة ليعاود ملؤه وهو يهمهم قائلاً:

..حسناً الآن انقلعي ها انقلعي وليس اخرجي، انقلعي من وجهي وإن حدثتني زين بشيء سأحول حياتك إلى جحيم  
أنتِ والدك المرمي في المستشفى اتفقنا..

نعم هي مدعية اللامبالاة الصبر والهدوء ولكن الآن لا .. وكأنها تفرغ كل حرقه بداخلها كانت بسببه .. كل دمعة  
ذرفت بسبب أفعاله .. وأخيراً كل كلمة إهانة وجهها لها بحقها وبحق عائلتها ..

انتفضت بعنف لتتوجه ناحيته وتقف أمامه لتقول بحدة ونبرة تملؤها التحدي:

..إياك، إياك يازياد أن تؤذي ابني، إياك أن تجلب الأذى لقلبه، إياك أن تجرح مشاعره، لقد صبرت وسكت عنك  
وعن أفعالك الرخيصة طوال هذه السنوات ولكن ليس بعد اليوم، صدقاً إن لن تكف عن أفعالك سأحدث عائلتك  
بكل شيء عنك، سأقول لوالديك أي رجل قد تعبا على تربيته، دع ابني وشأنه هل فهمت، دعه وشأنه فليعيش  
بهدهوء وإلا أقسم لك أنني سأكشف سررك وأخذ ابني وأبتعد عنك هل تسمع..

ابتسم باتساع بعد هذه الخطبة التي ألقته على مسامعه ليشرب كأسه للمرة الثانية دفعة واحدة ويتركه من يده  
ومن ثم يصفق لها بهدهوء قائلاً:

..أحسنتي عزيزتي أحسنتي، تستحقين نجمة التي توضع على الجبين، أتذكرين أيام المدرسة في الابتدائي كانت  
المعلمة كلما رأت طالب مجدّ ومتفوق تضع له نجمة على جبينه، أنا الآن سأضعها لك وسأضع لك وسام على  
صدرك أيضاً..

صمت قليلاً ليبتسم بسخرية ويقول ساخراً:

..وهل يوجد صدر أصلاً..

غمز في آخر جملمته لتجحظ عيناها وتحرك رأسها غير مصدقة .. هي تحدثه بشيء وهو يدخل المواضيع ببعضها .. وضع يديه في جيوبه ليبلل شفثيه ويقول بخفوت وهو يقرب وجهه من وجهها:

..أنا معلمك وتاج على رأسك، أنا الذي سوف يسحق عظامك ويكسر فكك ويقص لسانك ياسلمى هانم..

قال اسمها بحالمية ساخرة وأحرف ممطوطة ليردف لها ببرود:

..سأحفر برأس زين كل أفكاري التي ستأتي لصالحي، سأنهى زواجه من تلك اللعينة التي بت أمقتها أكثر من الأيام التي عشقتها بها، سأريه أنها هي المخطئة الخائنة العاهرة، وسينساها وسأزوجه بأخرى، سأزوجه بفتاة أمقتها كي لا أقع بحبها، وأنت! أنت ياسلمى هانم، ستشاهدين كل شيء بصمت ودون أن تنفوهين بحرف أتسمعين..

حركت رأسها بذهول لتقول بغضب:

..وما الذي سيصمتمني عن أفعالك ها..

ابتسم باتساع ليبعد تلك الخصلة عن أذنها ويقترب ليهسهس بأذنها قائلاً:

..والدك، سأقتله ولن أبالي إن تجرأتي وتفوهتي بحرف..

ابتعدت عنه خطوتان وعيناها جاحظة لتحرك رأسها غير مصدقة وتقول بتقطع:

..ماذنب أبي، ولما أرى دمار حياتي ابني وأصمت، لماذا تفعل كل هذا، لما كل هذا الحقد يعتلي قلبك، لما أنت مليء بالسواد أخبرني..

حرك كتفيه بلا مبالاة ويقول:

..هذا ما عندي عزيزتي، وإلا سترين زياد الحقيقي، وصدقيني كل الذي رأيتيه طوال فترة حياتك معي لا شيء أمام غضبي وإعصاري الذي سيحدث إن تفوهتي بحرف أمام زين، هل سمعتي..

أجهشت بالبكاء وجلست على الأريكة بقلة حيلة وصمت .. قلة حيلتها وعجزها عن فعل أي شيء لتحافظ على بيت ابنها .. فإن حافظت على بيت ابنها ستخسر والدها وإن حافظت على والدها ستخسر ابنها وفي كلا الأحوال ستكون خاسرة .. إذاً ما الحل! ما التدبير! ما الصنع! بئس الرجال إن كانوا على شاكلة زياد ..

ألقى عليها ابتسامة ساخرة وخرج من الغرفة تاركاً إياها في حيرة كبيرة وحرقة قلب لا توصف ليتوجه إلى غرفة ابنه ومعه كرت ذاكرة صغير ..

دخل عليه ليراه جالساً على سريره بصمت ليقترّب ناحيته ويمد يده ويعطيه الكرت قائلاً:

..خذ هذا وشاهد ما يحتوي داخله وبعدها ستأتي إلي وتطلب مني أن أساعدك لكي تخرج سهد من حياتك، اسمع كل التسجيلات وشاهد الفيديو وقرأ المحادثات ومن بعدها حاول أن لا تريني وجهك وابقى في غرفتك، فأنا لا أقوى على رؤية ابني الوحيد الذي اتهمني باتهامات جرحتي بصراحة..

أنهى جملته وأخذ زين منه الكرت وهو يناظره بتعجي ليخرج من الغرفة ومن ثم من المنزل بأكمله .. صعد إلى سيارته وأدار محرك السيارة ليحدث نفسه ساخراً:

..اتهامات جرحتي اللعنه علي كم أنني سافل ههه فعلاً جرحتي وسأجرح زوجته الصغيرة أيضاً..

أطلق ضحكة قوية ليتوجه ويجول في الشوارع لعل وعسى يجد شهد وأيضاً سيقابل معين لا محالة..

---

لم تقل صدمته عن صدمة أمه عندما سمعت بكلام زوجها وتهديداته وحديثه الصريح .. ولكن زين قد صدم وصعق عندما رأى عدة صور لشهد بملابس غير لائقة وتفضح أكثر مما تخفي .. ملابس له هو لك ترتديها قد رآها الآن في هذا الكرت الصغير الذي يمتلكه والده ..

هذا ماعدى المحادثات التي كانت بينهما ولكن يظهر في المحادثات هو كلام شهد السوقي وغير الأخلاقي بينما زياد على أساس أنه يصدها ويحاول نصحتها وإرشادها والحفاظ على بيتها وزوجها ..

وكله بكفة والفيديو الذي رآه لها والذي قام زياد بتطبيقه عندما هددها به في يوم عيد ميلادها عندما صورها عارية .. فالفيديو قد ظهر وكأنها تصور نفسها وليس أنه هناك أحداً ما قد وضع لها كاميرا بالخفاء وقام بتصويرها ..

وأيضاً وأخيراً التسجيلات المحبوبة وخافقة الصوت ولكن يخيل أنه صوتها وهي تتحدث بمواضيع لا تمت للأخلاق بصلة ..

كل هذه الأشياء جعلت زين فعلاً يبكي بمرارة .. يبكي على سوء اختياره وبيكي على حاله وبيكي لأنه لربما قد ظلم والده كما يظن ..

لا يعلم أنه قد تورط وأتى من صلب رجل لعين أفعاله وتفكيره وحديثه جميعهم لا يمتون للأخلاق والشرف  
بصلة ..

رمى الهاتف بعنف ضد الحائط ليتهشم ويصبح مائة قطعة ومن ثم ترنح وجلس على الأرض وهو واضعاً يديه  
على رأسه معاوداً البكاء من جديد بحرقة على سوء حاله وسوء حياته ككل ..

---

لم يستغرق زياد وقتاً طويلاً في العودة إلى المنزل فقط غاب قرابة الساعتان وعاد ليشعر بالبيت هادئ .. ابتسم  
ابتسامة جانبية وهو متوجهاً إلى غرفة زين ويراه ممدداً على سريره وشارد الذهن ..

توجه ناحيته وجلس بجانبه ليبتسم بسخرية ويقول بأسلوب باهت ومصطنع:

..ها ماذا حدث، هل مازلت مصدقاً لزوجتك المخلصة وتتهم والدك بأشياء لا صحة لها أم أنك أفقت على  
نفسك ..

نظر له بعينان باهتة وذابلة ليقول بصوت متحشرج:

..أريد أن أطلقها أبي ..

ابتسم بسره بانتصار ليقول:

..زوجتك هربت أيها الأحمق، هربت عندما تركتك في غرفتك في المستشفى وذهبت وأفرغت كل غضبي بها،  
لإنها دمرت حياتنا لذلك قمت بتوبيخها وتهديدها أنني سأفضحها وأقول لك كل شيء، لذلك هربت لإنها تعلم أنها  
على خطأ ولإنها تعلم أنها مراوغة وخائنة ..

اعتدل بجلسته ليقول بحرقة:

..أبي أنا لم أعد أريدها، أرجوك جدها أريد أن أطلقها وأخرجها من حياتي فقط ..

حرك رأسه موافقاً وهو يطالعه ببرود ليشيح بوجهه عنه ويقول بشرود مزيدا الطين بلة على ابنه:

..اللعيبة ماذا فعلت بنا، ليتها كانت قد حامت حول شخص غريب ولكن علي أنا والدك، سحقاً لها لا تخجل ولا  
تعرف معنى الوفاء والحياء ..

ابتلع زين غصته بصعوبة ولم يعلق ليسند رأسه على كتف والده ويقول بهمس:

..أنا متعب أبي، متعب جداً، أرجوك لا تحزن مني ولا تتركني بمفردي..

ابتسم ليمسح على شعره بخفة ويقول:

..لربما كانت ردة فعلي قاسية قليلاً ولكنني أردتك أن تفهم وتعلم أنك ستري الكثير في حياتك وستقابل الكثير من  
الأناس المخادعة بني، أجل قلت أنني سأغضب ولن أصفح عنك بسهولة ولكنني صدقاً لا أستطيع أن أحزن  
منك، المهم الآن أن تخرجها من حياتك ولا تقف عندها عزيزي..

نظر له زين بأعين دامعة ليحرك رأسه موافقاً ويرد بالإيجاب بصوت هامس .. تنهد زياد بقوة ليقول:

..غداً ستأتي العائلة بأكملها، ستظهر أمامهم وستخفي ضعفك وقلة حيلتك، ستكون قوي كما أعهدك دائماً، وإن  
سألوك عنها قل لهم أنها سافرت برفقة والديها إلى منزل جدها اتفقنا..

حرك رأسه بإيجاب ليقول:

..أريد أن أنام..

ابتسم له ابتسامة جانبية ليفهم مقصده ويمدده على السرير برفق ويمسح على شعره بحنو ويقوم بتغطيته .. كان  
دائماً زين وهو صغير يهرول ناحية والده في المساء ويقول له أنه يريد أن ينام وزياد بدوره كان يبتسم له  
ويحمله بين ذراعيه ويتوجه به إلى غرفته ولا يتركه إلا عنجماً يغط في نوم عميق ..

ظل بجانبه إلى أن علم أنه قد غك في النوم لينهض بهدوء ويطفئ الإنارة ويخرج من غرفته ويلق الباب بهدوء  
متوجهاً إلى العالة الموجودة في غرفته وكما يسميها هو ..

بينما زين قد ادعى النوم وما إن خرج والده حتى فتح عيناه وهمس بينه وبين نفسه:

..أتمنى أن تكون شهد المخطئة ولست أنت يا أبي، أتمنى أن لا تكون أنت الذي ينهش لحمي ويخدعني  
ويجرحني..

تنهد بحرقة وأغمص عيناه مستسلماً للنوم تاركاً واقعه الأليم من زوجته المخادعة والتي كل الإتهامات موجهة  
ضدها ومن والده الذي يتمنى كل المنى أن لا يكون هو من يخدعه ويؤذيه ..

"كن قوياً كجندي عاد من الحرب فوجد أمه ماتت وحبيبته تزوجت من والده"

في صالة منزل زياد الواسعة .. كانت جميع عائلة زياد بأكملها عنده من شبان وشابات ونساء ورجال وطبعاً والد ووالدة زياد كانا موجودان ..

وكعادة سلمى ما إن ترى أهل زوجها حتى تستقبلهم أروع استقبال وتبتسم بوجوههم جميعاً .. حتى وإن كانت كل الهموم تجتاحها إلا أنها لا تظهر أمامهم هذا الشيء وتقدرهم وتحترمهم ..

وبطبيعة الحال أفراد عائلة زياد يحبون سلمى كثيراً فهي امرأة رزينة وتعرف الواجب معهم وبعمرها لم تخطئ بحق أحدهم ولم تريهم إلا الجانب الجميل والرائع منها .. وينظر والد ووالدة زياد هي أفضل زوجة من زوجات أولادهم ..

حسناً لأعرفكم على أفراد عائلة زياد

طبعاً والد زياد ويدعى (عماد وزوجته السيدة رائدة) كلاهما في أواخر السبعين وقريبان جداً من أعمار بعضهما وهما أبناء عم أي يعني هناك صلة قرابة بينهما .. كانا يتصدران المجلس ويجلسان في المنتصف وبجانب عماد كان يجلس ابنه الكبير (نزار وزوجته وفاء) لديهم ثلاثة أبناء (سامي وألمى وأسماء) ومن ثم ابنه الثاني (نهاد) وزوجته ريمّة) ولديهما ولدان (رامز وأحمد) ومن ثم أبنته الثالثة (مسرة زوجها جلال) ولديهما شابين وفتاتين (محمد ولينا وطارق و ولاء) ومن ثم يأتي ابنه الرابع (وائل وزوجته الأولى عيبر وزوجته الثانية أيضاً سندس) فا صديقنا وائل تزوج الثانية منذ مايقارب الخمسة سنوات وسأحدثكم ماسبب زواجهما فيما بعد .. لديه من زوجته الأولى ثلاثة أبناء (وسام ومؤمن وأريج) ومن زوجته الثانية لديه فقط (آية) وعمرها ثلاث سنوات .. ومن ثم يأتي زياد وهو غنى عن التعريف طبعاً ومن ثم تأتي شقيقة زياد الخامسة (لمياء زوجها أكرم) ولديها شاب وفتاة (رامي وسيدرا) ومن ثم شقيقته الصغرى والأخيرة (سماح زوجها هشام) كانت متزوجة ولكنها ترملت وهي بسن صغير لذلك قام والدها بتزويجها من ابن عمها الذي طلق زوجته التي لا تنجب ولديهما الآن (فاتن ومعاذ وليان) ..

اجتمعت العائلة وعلامات السرور بادية على الجميع لأنهم رأوا زياد وزوجته ليقول عماد:

..ها أين زين يازياد..

ابتسم زياد مجيباً:

..في غرفته سيأتي بعد قليل أبي..

رد عماد مبتسماً:

..حسناً ولتهبط زوجته أيضاً نريد أن نرى كنتنا ونتعرف عليها..

ابتسموا جميعهم ليضحك زياد ويقول:

..وكأنكم لا تعرفونها أبي، منذ صغرها وهي تأتي إلينا وتجالسكم..

ضحكوا جميعاً ليجيب عماد:

..قل أنها كانت تأتي لتجالس زين..

انفجر الجميع ضاحكاً ليقول زياد بهدوء:

..عموماً بصراحة هي ليست هنا فقد سافرت مع أهلها إلى منزل جدها ولكي ترى شقيقها أيضاً، زين لم يستطع السفر معها بحكم عمله ولكنها لن تطال مدة مكوثها هناك ستعود قريباً..

همهم له عماد ليقول ببرود:

..لم يكن يتوجب عليها السفر فقد أصبح لديها إلتزامات..

اجابه زياد متداركاً الأمر:

..معك حق أبي ولكن شقيقها يريد أن يتقدم لخطبة فتاة وفرحت كثيراً لأجله لذلك أرادت أن تذهب برفقة أهلها لتري من ستكون زوجة أخيها المستقبلية..

أنهى جملته بضحكة مصطنعة ليهمهم عماد ويحرك رأسه موافقاً مجيباً بابتسامة:

..إذا كان هذا عذرها فمعها حق لا بأس..

ابتسمت سندس زوجة وائل بمكر لتقول:

..ومتى سافرا والدا شهد يازياد..

نظر لها نظرة خبيثة ومن ثم أخفاها ليقول ببرود:

..منذ ثلاثة أيام تقريباً..

همهمت له بمكر لتقول:

..أوه حقاً، ظننت أنهما سافرا منذ يومين فيهيئ لي أنني رأيتهما منذ يومين تقريباً..

كتم زياد غيظه وأجابها ببرود وكالعادة قلباً الوضع لصالحه:

..بيدو أنك تحتاجين إلى نظارة طبية فمؤكد أنك مخطئة هذا طبعاً على حسب قولك أنك شاهدتيهما منذ يومين، فعلى حد علمي أنك لم تخرجين من المنزل منذ مايقارب الخمسة أيام بسبب قدمك التي تؤلمك، هل هذا صحيح..

رفعت حاجبها بلؤم وتداركت الأمر لتجيب:

..صحيح ولكن هناك أناس رأوها وقالوا لي..

ضحك زياد بسخرية ليقول:

..إذاً أخبري أولئك الناس أن يضعوا نظارات طبية فهم بحاجة إليها..

أنهى جملته بلؤم وحاجب مرفوع لتكز سندس على أسنانها وتشيح بوجهها عنه .. شعر عماد أن الجو أصبح مشحون ليقول بابتسامة:

..مبارك له، يجب علينا جميعاً أن نقدم التبريكات والواجب له ولأهله أليس كذلك..

وافقه الجميع ومنحه زياد ابتسامة والجميع ابتسموا وفرحوا لهذا الخبر فهم تقريباً يعرفون شقيق شهد والذي يدعى (شادي) ويكبر شهد بسنتان أي أن عمره خمسة وعشرون عاماً وقد تخرج من كلية التجارة والإقتصاد ..

في الحقيقة فعلاً شادي يريد أن يتقدم لفتاة ولذلك سافر والديه إلى هناك مكان إقامته فهو مقيم في منزل جده كون أن جده وجدته وحيدان وليس عندهما أحد .. وتقريباً شادي هو الحفيد المفضل لدى جده وجدته لذلك وبعد نجاحه في الثالث الثانوي قرر جده وجدته أن يأتي ويعيش معهما ويكمل دراسته عندهما ..

إلى أن تخرج شادي وكان طويلة فترة مكوثه هناك يأخذ الكثير من الدلال وقد تكفل جده بكل مصاريف دراسته وكل شيء يخصه .. والآن حان الوقت لكي يزوجان شادي وأيضاً يدعوهم يعيش معهما وطبعاً هما من اختارا له الزوجة المناسبة ولأول مرة يشعر بالضيق كون أن جده هو من اختار له شريكة حياته وليس هو .. ولكن ومع كل ذلك هو لا يحب أن يرفض طلب لجدته وأيضاً سيحاول قدر المستطاع أن لا تتم هذه الجيزة ..

-----

نظرت سلمى لزياد بسخرية كيف أنه ببساطة استطاع إقناع جميع أفراد العائلة بغياب شهد ليبادلها بنظرة ماكرة

..

تنهدت سلمى بقوة لتبتسم للجميع باتساع وتقول:

..عن إنكم سأجلب الضيافة..

أرادت أن تنهض ولكن عماد استوقفها قائلاً:

..لا تتعيين نفسكِ ياسلمى، ماذا يفعلن الفتيات هنا، ثم أن الخادمة ستفعل ذلك أيضاً..

ضحكت سلمى بهدوء لتقول:

..عمي أنت تعلم أنني أحب أن أقدم الضيافة بنفسى وخصوصاً لكم أنتم، تعبكم راحة بالنسبة لى..

ابتسم عماد وحرك رأسه موافقاً ليقول:

..بارك الله بكِ يابنيتى..

منحته ابتسامة هادئة ونهضت متوجهة نحو المطبخ بينما سندس الزوجة الثانية لوائل وريمة زوجة نهاد امتعضتا ولم يعجبهما كلام عماد لسلمى .. فا لطالما كانتا تحسدان سلمى على محبة عمها لها وإطرائه الجميل بحقها في كل جلسة ..

تصنعت سندس الابتسامة لتنهض وتقول:

..حسناً أنا سأساعد سلمى..

أرادت أن تعطي ابنتها لزوجها ولكن زياد قال لها:

..هاتها إلى، أريد أن أأعياها..

اقتربت بها إليه لتعطيه إياها وأخذها منها وكز على يد سندس بأصابعه ليهمس بأذنها:

..دعك من هذه السخافات وكفى الأعيب وإلا ستريين ما الذى سيحدث لكِ..

ترك يدها لتبتسم هي بمكر وتقول بتحدي وهمس:

..أرني إن استطعت..

ابتسم لها أيضاً بمكر ليقول بصوت عال:

..ماذا تريدين أن أريكي ياسندس، وضحي أكثر عزيزتى..

حفظت عيناها وكزت على أسنانها ليلتفت الجميع لهما وعلى وجوههم علامات التعجب ..

رامي ابن لمياء فسر الموقف بـ نية خبيثة وفلتت ضحكة منه ليوجه عماد له نظرة غاضبة فتدرك رامي الوضع وكتم ضحكته وأيضاً الشبان عندما سمعوا ضحكة رامي كتمو ضحكاتهم ..

سأله عماد بتعجب:

..ماذا يحدث زياد، مابها سندس..

ضحك زياد لتجيب سندس بدلاً عنه:

..لا شيء عمي، تعلم أنني أنا وزياد دائماً نمازح بعضنا، هو ثقيل الدم لا أكثر..

همهم عماد وصمت بينما وائل رفع حاجبه ونظر لسندس بتساؤل لتتجاهله وتتنظر لزياد بحدة بينما زياد حرك حاجبيه بمكر وأغظها ..

خرجت سندس من الصالة متوجهة إلى المطبخ بينما زياد بدأ يلعب ابنة أخيه ويقبلها قائلاً:  
..حبيبة عمها، لو كنتي أكبر بخمسة عشر سنة فقط كنت سأزوجك لزين..

ضحك الجميع على جملته ماعدى أريج ابنة وائل من زوجته الأولى التي عبست قائلة:  
..عمي وأنا ألت حبيبتك أيضاً، لما لم تزوجني لزين ها..

ضحك زياد بقوة ليقول:

..وأنت أيضاً حبيبتي، ولكنك صغيرة أيضاً على الزواج مازلت في الخامسة عشر فقط..

همهمت بصوتٍ خافت كالقطط وباستياء ليردف زياد:

..حسناً لا تحزني، اكبري سنتان أيضاً وستكونين ضرة لشهد..

ضحكوا جميعاً ومازاد ضحكهم أيضاً هي ابتسامة أريج الواسعة وهي تأرجح قدميها في الهواء وامتعاض ألمى ابنة نزار ..

بينما في المطبخ وحالما دخلت سندس على سلمى حتى ابتسمت لها سلمى بود .. اقتربت منها سندس لتقول:

..جئت لكي أساعدك..

حدثتها سلمى بابتسامتها المعتادة:

..حبيبتي لا داعي، لقد انتهيت..

هممت لها سندس لتقول باستياء مصطنع:

..لقد استغلّيت الفرصة كي آتي وأحدثك عن ضررتي بصراحة..

نظرت لها سلمى بتعجب لتقول:

..عبير، مابها، إنها امرأة رائعة وطيبة، ما مشكلتك معها..

تصنعت الحزن قائلة:

..لا تدعني وشأني، كلما سححت لها الفرصة تأتي وتزعجني، صحيح أنني أسكن في منزل بمفردي ولكنها دائماً تأتي بابنتها الجنية وتزعجني بتصرفاتها غير ذلك ابنتها تغار جداً من ابنتي ودائماً تصرخ في وجهها والفتاة صغيرة لا يجب أن يصرخ أحد في وجهها أليس كذلك..

هممت لها سلمى ووقفت لصفها قائلة:

..صحيح معك حق، عموماً أنت اجلسي مع أريج وحديثها بهدوء وروية ستسمع منك لإني أعلم كم تحبك وتحترمك، لا تنسي هي كانت صغيرة عندما أتيتي أنت إلى العائلة وأحببتك وتعلقت بك جداً، لذلك ستسمع منك أنا متأكدة..

امتعضت سندس ومن ثم ابتسمت بسخرية لتقول:

..وعبير هل ستقولين أنها تحبني ياترى..

ابتسمت بوجهها بود قائلة:

..عبير امرأة طيبة ورزينة ولا تعرف الكره، هي فقط حزننت عندما زوجها تزوج عليها ولكن الآن والحمد لله تقبلت الوضع ولا أظن أنها تحمل أي شيء في قلبها عليك، أنت فقط كوني ذكية واعلمي كيف تكسبينيها إلى صفك..

ابتسمت بخبث لتقترب وتهمس لسلمى بمكر:

..أنا أعلم بكل خطط زوجك فليكن بعلمك عزيزتي..

هبط قلبها عندما سمعت بجملتها مخافة من أن تكون تعلم بشيء يخص شهد لتحدثها بترقب:

..ماذا تقصدين، أي خطط تتحدثين عنها..

ابتسمت بسخرية قائلة:

..هو لا يجبك ولا يريدك أليس كذلك..

ابتلعت سلمى غصتها وتصنعت البرود لتقول بسخرية:

..من قال لك أنه لا يحبني..

ابتسمت سندس بشماتة لتجيبها:

..لقد علمت بطريقتي الخاصة ولا تسأليني أكثر من ذلك..

همهمت سلمى قائلة:

..حتى وإن كان كلامك صحيح على فرض مثلاً وحتى إن كان لا يحبني هذا شيء يخصني أنا وزوجي ولا أسمح لأحد أن يتدخل بيننا رجاء..

ضحكت سندس ضحكة قوية لتقول:

..سلمى، سلمى، لما تسايرين نفسك عزيزتي، قلت لك لا يجبك فالأحسن أن تتركين منزلك وتطلبين الطلاق قبل أن يطردك هو من منزله..

ابتسمت سلمى ببرود وحدثتها بثقة:

..أتعلمين أنا أحزن عليك كثيراً، لأنك منذ دخولك إلى العائلة وأنت تسعين للخراب لا أكثر ولا أقل، عموماً عزيزتي لا تتوقعين مني أي رد فعل يسيء لك حتى وإن أسأتني لي لن أرد لها لك لأنني لم أتربى على خلق العداوة مع أي شخص، ونصيحة مني لك التفتي إلى نفسك وإلى منزلك ودعك من كل هذه الأمور التي لا طائل منها والتي لن تحصلين منها شيء سوى خراب بيتك..

رفعت حاجبها بلؤم لتقول بعدائية:

..أتقصدين أنني لست مترببة في منزل أهلي ياسلمى هانم..

ابتسمت لها بود مجيبة:

..على العكس تماماً أنت امرأة كلها أخلاق وتربية حسنة، هذا ماعدى جمالك ورزانتك ولكن كوني صريحة مع نفسك، حاولي أن تكوني الزوجة المثالية لتكسبين محبة عمك التي لطالما هاجمتني بها لأن عمي يحبني

ويقدرني، ضعي يدك على العلل التي بكِ وعالجيها وعندها ليس فقط زوجك سيتعلق بكِ وعمك سيحبك وإنما أنتِ بذاتكِ سترتاحين كثيراً ونفسكِ ستكون راضية، صدقيني العداينة والنية السيئة لا تريحان النفس أبداً..

ابتلعت سندس ريقها ورمشت عدة رمشات لتحرك خصل شعرها بعشوائية وتقول بتوتر:

..أنا لست عدائية، ونعم أنا جميلة وكلي تربية وأخلاق هل فهمتي..

اتسعت ابتسامة سلمى لتقول:

..أنا لا أقول شيء لم أراه بعيني، وأنا رأيت حسن أخلاقكِ وتربيتكِ لذلك قلت لكِ أنكِ هكذا..

همهمت برضا وتيرة تنفسها عالية وكان سلمى قد وضعت يدها على الشيء السيء الذي بداخلها وضغطت عليه مما جعل سندس تصمت ولا تعلم كيف تجيبها بأكثر من ذلك ..

تركتها وتوجهت إلى الصالة وما هي إلا دقائق لتلحقها سلمى وبيدها الضيافة من عصائر وحلويات مبتسمة للجميع بود ومقدمة إليهم أشهى الحلويات ..

بعد قليل من الوقت دخل زين عليهم بابتسامة باهتة لتتعالى الضحكات وهو بدوره يلقي التحية عليهم جميعاً مبتسماً باتساع للشبان بالأخص فهم أصدقائه وليس فقط أولاد أعمامه وعماته ..

اتسعت ابتسامة الجميع وهم يرون زين بينهم فهم يحبونه جميعاً إن كان أعمامه أم نساء أعمامه أم الفتيات حتى سندس تحبه جداً .. فزين بطبيعته محبوب لدى الجميع ..

وماعدى فرد من أفراد العائلة لم تكن فقط فرحة ومسرورة وإنما قليلاً وسيخرج من عيناها قلوب لرؤية زين ألا وهي ألى ابنة نزار .. فهي منذ صغرها تحب زين وتتمنى أن يتقدم لخطبتها وحزنت كثيراً عندما علمت أنه تقدم للشهد وبكيت أكثر عندما تزوج .. وإلى الآن هي على أمل أن يكون زين لها ولكن بنظرها أصبح الأمر صعباً جداً ..

تحدث جلال زوج مسرة عمة زين موجهاً كلامه لزين:

..أين أنت ياولد، انتظرنالك كثيراً..

ضحك زين باصطناع مجيئاً:

..لم أعلم بمجيئكم عمي، فقط عندما سمعت الضجة المنبعثة من هنا تيقنت أنكم أتيتم لذلك هبطت الآن..

همهم له جلال ليحدثه نهاد عمه بمكر:  
..ولما معتكف في غرفتك هل اشتقت إلى زوجتك..

ابتلع زين غصته وحمم قائلاً بابتسامه مصطنعة:  
..أجل بالطبع، تعلمون أنا عريس جديد وهي ذهبت وتركتني، كم أنا حزين..

قال جملته الأخيرة بمزاح ليضحك الجميع على جملته ويقول عماد:  
..مصيرها العودة يا حفيدي لا تقلق..

ضحك زين وحرك رأسه موافقاً لتقول له وفاء زوجة عمه نزار:  
..ما أجمل حظ شهد فهي قد حظيت بشباب حسن الأخلاق كزين، ماذا ستطلب من ربه بعد الآن..

اتسعت ابتسامه زين قائلاً بمزاح:  
..أرايتي يا زوجة عمي، أين هي لتسمع المديح بزوجها..

ضحك الجميع مجدداً لتقفز أريج وتقول بابتسامه واسعة وحماس:  
..زين والدك قال لي أن أكبر سنتان أيضاً وعندها سيزوجني لك وسأكون ضرة لشهد..

ضحك زين بقوة ليقول أيضاً مازحاً:  
..ولما تكونين ضرة، سأطلق شهد وأزوجك أنتِ لا تحزني..

ضحكت أريج وتحدثت بحماس:  
..أجل أجل..

بادلها زين الضحكة لتمتعض سندس وتحدثت بلؤم وصوت مسموع:  
..هذه الفتاة خلقت لتحب خراب البيوت هه..

صمت الجميع ولم يعجبهم كلام سندس لينظر لها زوجها بغضب وتتدخل عبير قائلة ببرود:  
..الله أعلم من يحب خراب البيوت ويفرض نفسه على الغير وينظر إلى رزق غيره..

كزت سندس على أسنانها لتنتفض بمكانها وتقول بحدة:

..ماذا تقصدين ها يا جاهلة يا هرمة..

نظرت لها عبير بحدة وأرادت أن تجيها ليتدخل عماد ويتحدث بصرامة وغضب:

..ما بالك أنتِ وهي، ألا تحترمان وجود الكبار أم ماذا، فلتصمتان أنتما الاثنتان أفضل لكما..

تصنعت سندس الحزن لتقول:

..عمي هي من بدأت و....

أصممتها رائدة والدة زياد لتقول بصرامة:

..انتهينا سندس كفى كلاماً..

كتمت غيظها وصممت بينما عبير كانت تضغط على فكها كي لا تهبط دموع قهرها من ضررتها التي لطالما كانت فعلاً تقهرها بحديثها وأفعالها وتغيظها أنها أصغر منها وأجمل منها كون أن سندس عمرها سبعة وثلاثون فقط .. علما أن عبير لم تأتي ناحيتها أبداً ولم ترعجها يوماً .. وفي الواقع غضب سندس الآن كله من أريج عن حديث الضرة ..

تنهد زين باستياء وحاول تلطيف الأجواء فقد علم ما سبب حدة سندس وانزعاجها قائلاً:

..أنا فقط كنت أقصد أنني سأطلق شهد وأتزوج أريج ومن ثم أعود وأتزوج شهد حتى تكون أريج الزوجة الأولى فقط هذا..

أنهى جملته بابتسامة بلهاء ليضحك الجميع وبهذا الشكل أرضى جميع الأطراف وعاد جو المرح قليلاً للجميع ..

وبأجواء مرحة وضحكات تملئ المكان أصدر هاتف زياد رنين وقد كان معين ليصمت الجميع .. أجاب زياد فوراً:

..أهلاً معين..

معين:

..ألقد وجدت شهد..

نظر زياد للجميع وابتسم برسمية ليقول لهم:  
.. عن إذنتكم لحظة..

نهض وخرج من الصلاة ومن ثم خرج إلى حديقة المنزل وهنا تيقنت سلمى أن هناك شيء يخص شهد ..

حدثه زياد:

..أين وجدتها..

تحدث معين بسخرية:

..لو لم أصدفها وأكون هناك في الوقت المناسب لكانت الآن مغتصبة، فقد وجدتها في طريق مقطوع تقريباً  
وهناك رجل يبدو أنه ثمل كان يحاول الاعتداء عليها وهي تصرخ وتستجد..

احتدت نظرة زياد واشتد فكه وكور قبضته بغضب ليقول:  
..هل هو معك الآن..

عقد معين حاجبيه قائلاً:

..لا فقط أبرحته ضرباً وتركته في مكانه وأخذت شهد..

تحدث زياد بغضب الدنيا كله وبصراخ:

..فلتبحث عنه وتجلبه من تحت الأرض لابن العاهرة وأنا سأكون عندك بعد قليل..

رد بالإيجاب وأغلق الخط ليمسح زياد على وجهه محاولاً تهدأة أعصابه ومن ثم دخل إلى الصلاة ليقول معذراً  
من الجميع:

..المعذرة لدي عمل مهم، سأعود لاحقاً لن أتأخر..

حرك عماد رأسه موافقاً وهو يناظر ابنه ببرود ليأخذ زياد سترته ويخرج من المنزل فوراً ويصعد بسيارته  
ويقودها بسرعة البرق إلى المكان الذي دله عليه معين ..

"فليتها لا تزال أوية .. وليته لا يزال مأواها

كل جريحٍ ترجى سلامته إلا فؤاداً رمته عينها"

---

في منزل كبير وفخم بدى وكأنه من الطراز القديم .. استقل بسيارته أمام المنزل ليدخل بعدها بهدوء ويستقبله معين مترقباً منه أي فعل ..

دخل ونظر بأرجاء المنزل وهو يتفحصه ليستدير وينظر له قائلاً ببرود:  
..أين هي..

أجابه معين ببرود مماتل:  
..في الأعلى، وضعتها في غرفة منعزلة..

سأله زياد:

..لمن هذا المنزل..

تههد معين وهو يزيح الأقمشة البيضاء والمتسخة بالغبار عن الأريكات قائلاً:  
..كان منزل العائلة، لجدي يعني، كنا نجتمع هنا جميعنا ولكن بعد وفاة جدي وآبائنا لم يعد يدخله أحد ماعداي أنا..

ابتسم زياد بسخرية ليقول:

..إحذر أن يكون مسكون..

ضحك معين ضحكة رنانة ليقول وهو يشعل سيجارة لزياد زمن ثم له:

..لا تقلق، كلما أتيت أضع البخور..

ضحك بأخر جملته بقوة ليبتسم زياد وهو يناظره باستخفاف على ثقل دمه .. سأله معين وهو ينفث دخان سيجارته:

..أين كنت عندما حدثتلك..

زياد ببرود:

..في المنزل، عائلتي جميعها عندي..

همهم له معين بمكر قائلاً:

..وسندس هناك..

زياد بسخرية:

..وهل تفوت فرصة المجيء لتدس سمها تلك الحمقاء..

معين يتسأول:

..أمازالت تريد التقرب منه..

زياد:

..يارجل لا تذكرني، كلما تذكرت هذا الأمر أشعر بالغثيان..

معين بمكر:

..عموماً إن أردت أرسلها إلي وسأوجبها لك..

زياد ببرود:

..لا شكراً لك، هي بدون توجب وبنصف عقل فما بالك إن وجبتها على طريقتك ستجن بالكامل..

ضحك معين ومن ثم عاد لنظرة البرود قائلاً بتعجب:

..يارجل أنت غريب، منذ ربع ساعة فقط كنت تصرخ وغضب الدنيا كله بك والآن تأتي وتحدثني ببرود، ظننت أنه سيحدث إعصار حالما تصل..

أجاب زياد بسخرية:

..والله أنت المجنون منذ ثواني كنت تضحك كالأبله وفوراً عدت للبرود، أمفصوم أنت يابني أم ماذا..

ضحك معين بقوة ليحرك زياد رأسه ببيأس وينهض ليقول:

..هل وجدت ذلك اللعين..

نفث دخان سيجارته مجيباً:

..بعثت إيهاب ليجلبه وقال أنه وجد ملقى على الأرض وهو في طريقه إلى هنا..

زياد بابتسامة ساخرة:

..كيف حاله أمازال يهجر زوجته..

قلب معين شفته ليحرك زياد رأسه موافقاً ويتوجه إلى الغرفة الموجودة بها شهد .. دخل عليها بهدوء ليراها  
ممددة على السرير ونائمة بعمق ليتنهد بضيق ويهبط إلى معين ..

سأله معين:

..هل هي نائمة..

همهم له موافقاً وما هي إلا دقائق ودخل إيهاب عليهما وهو يجر ذلك الرجل بصعوبة لأنه أغمي عليه ولم يفق  
إلى الآن .. نتره من يديه كالخرقة البالية وألقى التحية عليهما وانضم لهما ليقول وهو يلهث:

..يارجل من هذا رائحته نتنة لقد قرفت حياتي منه، ماذا تريد منه..

ابتسم معين قائلاً:

..اسأل معلمك عزيزي..

وجه نظره لزياد ليسأل نفس السؤال ويجيبه زياد:

..ليس مهم، ولكن سترى ماسيحدث له بعد قليل..

ألقى زياد عليه نظرة ليقول لإيهاب:

..لما غائب عن الوعي، إنهض وأيقظه أريد أن أقضي السهرة عليه وأستمع..

ضحك إيهاب قائلاً:

..أعانه الله من تغضب عليه..

همهم زياد قائلاً:

..كيف حال زوجتك..

رفع حاجبه ليتحدث بغضب وصوت عال:

..وما شأنك بها..

ضحك زياد قائلاً بتحذير:

..صوتك ياولد..

تنهد إيهاب بحدة وأشاح بوجهه عنه قائلاً:

..سأطلقها عما قريب..

سأله معين:

..لماذا..

أجابه بضيق:

..لا أحبذ التحدث عن هذا الموضوع رجاء..

نفث زياد دخان سيجارته قائلاً:

..لقد حدثني شقيقك حسام وقال لي أنه سيعود عما قريب..

أجاب إيهاب بذهول:

..ومتى قال لك..

زياد:

..البارحة..

إيهاب:

..لم أعلم إلا منك..

همهم زياد قائلاً بمكر:

..لربما سيعود من أجل حبه السابق..

إيهاب بذهول:

..أنت تعلم أنه كان يحب زوجتي..

زياد بسخرية:

..شقيقك كان يعمل معي وشيء طبيعي أن أعلم كل صغيرة وكبيرة عنه..

إيهاب بغضب:

..ولما لم تقل لي، لما لم تحذرنني، كنت لن أتزوجها عندها..

زياد:

..كنت لا ترى غيرها ومنتيمٌ بها، ثم أن ما الذي سأقوله لك، هذه الفتاة لا تصلح لك! كانت حبيبة شقيقك وقضت الكثير من الأوقات معه! أحمق أنت..

أنهى جملته بنبرة تساؤل ليقول إيهاب بغضب:

..أنت في كل جلسة تحاول استفزازي ولكن اليوم استفزيتني بغير موضوع وليتك لم تفعل، أتعلم أنا لم أعد أريد التعرف عليك ولا على معين حتى..

أنهى جملته وخرج من المنزل ولم يستمع لنداءات معين لينفخ خديه ويقول معين:

..لما جرحته بهذا الشكل يارجل..

زياد مجيئاً ببرود:

..فليفهم وليعلم أنه كان ماضي..

معين بانفعال:

..أجل وأنت فتحت أوراق الماضي الآن..

زياد:

..أجل لإن حسام سيعود وفي الواقع لن يهدأ فهو سيفعل الكثير من الأشياء لخراب بيتها، فليكن إيهاب مستعداً لكل هذا إذاً..

ابتسم معين بسخرية ليقول:

..لم يكن يجدر بك أن تطفشه، إيهاب ليس كأى رجل وكان منفعة لنا غير ذلك نحن نحبه كثيراً، بصراحة خسارة لنا..

ضحك زياد مجيباً:

..سيعود بعد قليل بمفرده لا تقلق..

نظر له معين بتعجب لينهض زياد ويحاول إفاقة ذلك الرجل ولكن دون جدوى .. حاول وحاول إلى أن غاب قليلاً وعاد بدلو من الماء البارد ليسكبه على الرجل ويستيقظ الرجل بفزع وينظر حوله بذهول ..

أول وجه رآه هو زياد الذي ابتسم له وهبط إلى مستواه ليقول له بخفوت:

..صباح الخير ياجميل..

عقد الرجل حاجبيه بتعجب ليردف زياد:

..سأريك كيف تتعدى على الفتيات، سأدعك تطلب الموت ولا تراه..

نهض ونظر لمعين ليقول:

..ألا يوجد غرفة فارغة هنا..

ابتسم معين بمكر ونظره موجه على باب المنزل لينظر زياد مكان ما ينظر معين ويبتسم أيضاً بمكر حالما رأى إيهاب عاد إليهما ..

حدثه زياد بسخرية:

..ماذا تريد الآن..

امتعض إيهاب وسأل معين:

..أين هي الغرفة الفارغة أيها اللعين..

ضحك معين ليدله على الغرفة ويقترب إيهاب من الرجل ويأخذه إلى الغرفة وقيل أن يفعل ذلك استوقفه زياد قائلاً له بنبرة ذات معنى:

..كن رجلاً وواجه مشاكلك وجهاً لوجه، لا تستدر وتعطيها ظهرك، العاهرات هن من يستديرن لحل المشاكل يا إيهاب..

منحه نظرة غاضبة ومن ثم جر الرجل إلى الغرفة متجاهلاً كلامه ..

بينما زياد انتفض حالما سمع صوت صراخ شهد ليهرول إليها بسرعة البرق ..

دخل عليها ليراها تنتفض مكانها وتبكي ليتوجه ناحيتها ويحتضنها بقوة وهي لم تمنع .. أجل شعرت بالأمان عندما رآته فقد ظنت أنه ذلك الرجل الذي حاول الاعتداء عليها هو من اختطفها وليس معين ..

هدأت قليلاً ولكن رجفة جسدها الخفيفة لم تهدأ ليبعدا زياد عنه وينظر لها بحاجبين معقودين ويمسح على شعرها بهدوء .. تحدثت شهد ببيكاء:  
..زياد..

جحظت عيناه عندما نطقت اسمه هكذا .. دون كلمة عمي .. ما الذي يحدث ..

حرك رأسه بتساؤل ليقول:

..عينان زياد..

أجهشت بالبكاء المرير لتقول:

..أريد زين..

اشتد فكه وشعر بسخونة جسده ليقول بهمس حاد وهو يكور وجهها بيديه:

..أماز لتي تريدينه..

أمسكت يده لتقبلها قبلات متتالية وهي تبكي وترجوه ليسحب يده وتدمع عيناه مشيحاً بوجهه عنه لينتفض واقفاً ويقول:

..متى ستشعرين بي..

شهد ببيكاء:

..لو لم أكن زوجة ابنك لكنت رضخت لك وكنت لك حتى وإن كان فرق العمر كبير جداً وسأتغاضى عنه، ولكن زين بيننا ولا أستطيع تركه وحتى وإن استطعت تركه لا أستطيع أن أكون لك، أرجوك إفهم، أنا لست لك..

أنهت جملتها بخفوت وبكاء ليكور زياد قبضته ويكز على أسنانه ويهمهم بغضب ليعاود الهبوط إلى مستواها ويقول بعينان جاحظة:

..لا تدعيني أؤذيكِ شهد، لقد توعدت لكِ أجل توعدت بفعل الكثير من الأشياء بحقكِ، ولكن حالما أراكِ أمامي أعجز عن فعل أي شيء، قلبي يؤلمني عندما أراكِ تيكبي، جسدي بالكامل ينتفض ويتزعزع حالما تنظرين لي بحزن، أنتِ افهمي وليس أنا، لو كنت أستطيع لكنت ابتعدت، لو كنت أستطيع لكنت ابتعدتنتتت أسمعني كنت ابتعدت وتركتكِ ولكن لا أستطيع، أعلم أنكِ فخ، أنكِ الهاوية التي تؤدي إلى الوفاة، أنكِ جريمة بحد ذاتكِ ولكني رغم كل شيء لا أكف عنكِ، حتماً ستكون النهاية بين يديكِ أتسمعين..

لم تكن هناك فواصل بين كلماته .. كعادته لا يضع الحواجز بينهما .. كعادته يعتبر الحديث معها هو حديث مع النفس .. كعادته لا يشعر بالاطمئنان والدفء إلا بحضورها أو هكذا قال ببضع كلمات وكثيراً من النظرات التي أجهدها الأيام ..

بكت وشهقت غير عالمة بالحل لهذه المعضلة .. تحزن عليه أكثر مما تكره أفعاله .. تتمنى .. والله تتمنى لو أنها تستطيع أن تقدم له شيء ولكن لا تستطيع .. ليس بيدها شيء سوى البكاء له والرجاء أن يدعها وشأنها ..

حدثته بنبرة خافتة وبأكية:

..إذا كنت تحبني فعلاً ستتركني ولن تضايقني أرجوك زياد..

ابتسم من بين تلك الدموع التي خانتته وتجمعت بعيناه مقرباً وجهه إليها ومكوراً وجهها بيديه قائلاً بحالمية:

..يانور عين زياد أنتِ، بماذا تأمرني أميرتي، قلبي وسأصنع، وليأخذني الله في هذه اللحظة إن لم أفعل لكِ كل شيء، فقط على نطقكِ لاسمي بهذه الطريقة وهذا الصوت، تخيلي صوتكِ فقط ماذا يفعل بي فما بالكِ بكِ أنتِ كلكِ على بعضكِ، ستكونين الجنون لي بحد ذاته لشدة لطافتكِ، والله أني عشقت اسمي بعد أن سمعته منكِ..

ازداد بكائها الصامت وأخضت رأسها ليرفعه ويدعها تنظر له ويقول بعينان لامعة ونبرة عاشقة ونظرة محبة:

..مالي أرى وجه الأميرة ذابلاً يانور عيني ما الذي بيكيكِ؟

قولي جعلت نفسي فدائكِ، لا تُخفي الأسي، لا قلبُ في الدنيا كقلب جاريكِ..

انفجرت بالبكاء بعد سماعها لجملته .. هي تقسم لو أن زين ليس بينهما لكانت أحبته بعد هذا الكلام وهذه النظرة ..

كالعادة يشعرها بالتناقض .. في الأمس كان يعذبها ويذلها ويدعها تكره الحياة بسببه واليوم يغازلها ويحادثها بشكل يجعل قلبها ينتفض عشقاً لكلماته .. ماذا يحدث! وكيف لها أن تتخلص منه دون أن تجرحه .. دون أن تؤذيه ..

اتسعت ابتسامته وهو يرى نظرتها البريئة ووجهها الباكي ليقترب ويضع شفاهه على شفاهها مغمضاً عيناه شاعراً بروحه وهي تحلق ..

لم تبدي أي ردة فعل فقط أغمضت عينها وزفرت دموعها .. لم يستمر بقبلته طويلاً .. توقف ولكنه ظل ملامساً شفاهها ليقول ضد شففتيها وبهمس:

..والله لم أعد سأطلب من ربي شيء بعد هذه القبلة، أنا أقبل أن يأخذني الله في هذه اللحظة فقد اكتفيت ..

حدثته وهي على حالها أيضاً:

..إذاً اتركني ..

ابتعد عنها لبيتسم ويقول:

..ماذا تريد مني شهد ..

ابتسمت من بين دموعها وهممت لتقول:

..لو لم أكن زوجة ابنك، لكنك قلت لك أريدك أنت، ولكن لإنني زوجته سأقول أريد زين ..

ابتسم بسخرية قائلاً بعينان مترقرقة بالدموع:

..وأنا اللعين ابن العاهرة لا شيء أليس كذلك، خرقة بالية، رجل وقح حقير نتن حشرة صحيح ..

نظرت له بدموع لتحرك رأسها رافضة ومجيبة:

..بنظري في السابق أجل كنت كذلك ولكن الآن لا، لقد علمت كم تحبني علمت وقدرت حبك ولكن ل....

قاطعها قائلاً بنبرة عنيفة ومنفعلة:

..لا تستطيعين أن تكونين لي، حفظتها والله حفظتها استوعبتها دخلت لعقلي فهمتها رسختها نسختها بصمتها..

ناظرته بحزن قائلة بهمس:

..جديراً بك أن تفهم..

همهم وضحك بسخرية وهو يحرك رأسه موافقاً ليقول:

..زين لم يعد يطيقك، لقد قلبت الوضع لصالحه وأريته أشياء رخيصة ومزيفة عنك، كيف ستعودين إليه الآن..

رجت شفرتها السفلى بالبكاء لتقول:

..كما أقمتني بكل هذه المشاكل تستطيع أن تخرجني منها وتحسن صورتني أمام زين لأعود له..

حرك رأسه موافقاً بابتسامة تظهر أنه سينفجر قهراً وغضباً ليقول:

..معلّ حق، أنا السافل الحقير اللعين المتيم بك أستطيع أن أعيدك له، وما عملي أنا غير افتعال الأشياء الرخيصة ها..

حرك رأسه موافقاً للمرة الثانية وهو يركز على أسنانه ليتوقف وينظر لها قائلاً بلؤم:

..بكل أنانية إن لم تكوني لي فكل رجائي من الله أن تموتي يا شهيد..

كتمت غصتها وأخففت رأسها قائلة بصوت بالكاد مسموع:

..لماذا أنا، لماذا أحببتني أنا، ما الذي تريده مني، وما الذي بوسعي فعله لك، ما حاجتك بي..

ضحك ضحكة قوية ليجلس على الأرض وهو مازال يضحك ليحاول تمالك نفسه والتوقف عن الضحك قائلاً وهو ينظر لها بكثير من المشاعر:

..أحتاجك لأهتم بي، مهملٌ أنا، مسكوب بين الضوء وظل أعمدة الإنارة، تجرني قطف الشوارع في الأزقة المظلمة، لكنني جميل، جميل جداً فقط حين أنطق اسمك وتنطقين اسمي..

ابتسمت لتجيب:

..وهذا ماجعلك جميل الآن، فقط أنني نطقت اسمك..

ضحك وعيناه ممتلئة بالدموع:

..همم أجل، أنت من يجعلني جميل هكذا..

اتسعت ابتسامتها واسترسلت كثيراً معه وكأنه أخذ عقلها لتتسع ابتسامته بالمقابل ويقترب ليحتضنها بعنف كعنف مشاعره وهي لم تمنع لتغمض عيناها وتقول بصوت خافت:

..لقد جعلتني أكره حب زين وحي له..

ابتسم ابتسامة جانبية قائلاً:

..وماذا أيضاً..

أجابته:

..وجعلتني أتعجب من طريقة عشقك التي لم أرى لها مثيل في حياتي..

حدثها:

..وماذا..

شهد بخفوت:

..وتمنيت لو لم أتزوج من زين..

اتسعت ابتسامته قائلاً:

..وماذا..

شهد:

..وأتمنى لو أنني كنت لك..

ضحك ضحكة رنانة وفرحة قائلاً:

..حدثيني أيضاً..

وأخر كلمة قالتها بهمس:

..وأحبك..

هنا توقف العالم عنده .. لم يعد يعي شيء مما يحدث .. وثيرة تنفسه أصبحت عالية وقلبه الذي داخل صدره صار يخفق بجنون ويصرخ باسمها ..

جحظت عيناه لیبعدھا ویمسکھا من کتفیھا قائلاً:

..ما، ماذا قلتي أنت..

عقدت حاجبها بتعجب وحاولت استرجاع ماقالته لتجحظ عيناها حالما تذكرت ماقالته لتبعده عنها بعنف وتنهض واقفة وواضحة يدها على فمها ..

نهض ووقف مقابلاً لها ليقول بابتسامة وعينان لامعة:

..تحبيني أليس كذلك..

حركت رأسها بعنف رافضة ليمسكها زياد من معصمها ويقول بتحدي:

..أنتِ قلتها ياشهد قلتها لي..

حركت رأسها رافضة وهي تحاول إبعاده عنها لتقول:

..لا لا لا، لا أحبك أنا أحب زين فقط، زين..

كز على معصمها ليقول بغضب:

..أترينني لعبة بيدك ها، أنتِ قلتها أنا سمعتك..

أيضاً حركت رأسها رافضة لتقول بعنف:

..لقد استرسلت بالحديث ولكنني لا أحبك، أعدني إلى زين..

صرخ بها قائلاً:

..لماذا، ما الذي فعلته لك لأرى منك كل هذه القسوة، أتلعبين بي مثلاً، ما الذي تريدينه أنتِ ها..

أنهى جملته ونثرها لتسقط على الأرض وتعاود البكاء من جديد .. تبكي بمرارة على حالها وسوء حظها .. تبكي على غبائها وقلبها المرهف والبريء الذي يرضخ لكلامه من جديد ..

أهي فاقدة للحنان حتى تشعر بلمسة الحنو من زياد وترضخ له!.. أهي فاقدة للمشاعر والحب حتى تشعر بكلمات زياد المعسولة وتداهم قلبها فوراً دون سابق إنذار وتكون مجيبة له على غفلة منها!.. أهي حمقاء أم سانجة أم ماذا ..

ظلت تبكي بحرقة ليسدل زياد أكتافه بخيبة معلناً عن فشله المحتم وانهزامه أمام دموعها ..

اقترب منها بهدوء ليجلس امامها ويقول:

..ماذا تريدين شهد..

تحدثت وهي تبكي وتشيح بوجهها عنه:

..أريد العودة إلى زين..

ضحك من قلبه على أسلوبها فهي تحدثه وكأنها طفلة تائهة عن والدها وترجو الرجوع له .. والله يتمنى لو كان هو ذلك الأب الذي تبحث عنه هذه الصغيرة .. ابتسم بسخرية قائلاً:

..سأكره ابني بسببك..

شهقت ببكاء قائلة:

..أعدني إليه..

حرك رأسها موافقاً عاضاً على شفته ليقول:

..معنى كلامك أنك لا تريدينني..

نظرت له قائلة بنبرة باكية:

..وأتمنى أن تدعني وشأني، فقط هذا ما أرجوه منك، إن كنت تحبني فعلاً ستقسم وتعاهدني أن لا تتعرض لي ولا تزعجني وتبتعد عني..

ابتسم وهو يعض باطن خده ويحرك رأسه موافقاً لينهض ويقول:

..حسناً..

أراد ان يذهب ولكنها استوقفته قائلة:

..لا تذهب قبل أن تقسم لي هيا..

نظر لها ببرود وكز على أسنانه ليقترب ويتخذ وضعية القرفصاء ويصبح مقابلاً لها قائلاً وهو يضع يده على وجنتها الطرية:

..أقسم أنني لن أقترب منك ولن أزعجك ولن أدايقك ولن أفتعل لك المشاكل، وأقسم أنني سأظل أحبك وأعشقتك وأتفلسك وأهواك وأعيش شوقاً لك وبك ومنك وإليك..

صمتت ولم تجبه عندما سمعت بجملته فقط لمعت عيناها ببريق الحزن والخيبة لبيتسم وتظهر خطوط التجاعيد في سحبة عيناها اللامعة بضئ الحزن والخيبة مردفا لها بخفوت:

..أينفع هذا القسم..

حركت رأسها موافقة بسرعة وهي تبكي لبيتسم لها ابتسامة جانبية ويقترب ليقبل جبينها قبلة مطولة ومن ثم يقول بهمس:

..خبيتي بك يا شقيق الروح كخيبة قصب أراد أن يصبح ناي فأضحى حطباً..

أنهى جملته وابتلع غصته وابتعد عنها ليخرج من الغرفة فوراً تاركاً إياها تبكي بحرقة وحزن عليه وحزن من نفسها كونها هي الأذية الوحيدة لقلبه .. ويا ليت .. وفي هذه الكلمة تكمن جميع الأمناني ..

خرج من غرفتها وعاد وارتدى قناع البرود محدثاً نفسه وهو يهبط على السلام ويديه في جيوبه .. "كيف أنساك حياتي ذاك والله محال.. إن قلبي تعتليه لوعة تأبى انفصال.. لوعة أبقت فؤادي في اشتعال واحتلام، لوعة منها عيوني لا يواتيها منام"

لقد وعدنا وأقسم لها .. سيحاول أن يكون جديراً ومخلصاً وبحجم القسم ولا يخلف بوعده كي ترتاح عيوننا ويهدأ قلبنا .. ولأجل عينان شهد فليحترق فؤاده وليكتوى بنار مستعرة ..

-----

تتهد بضيق حالما دخل على إيهاب ومعين وذلك الرجل الذي تفننا بتعديبه .. سأله معين مستفسراً:

..مايك..

حرك رأسه رافضاً أي لا شيء وقد فهم معين أن شهد قد أتعبته جداً ليقول معين وهو يعطيه شيئاً ما:  
.. هذه هويته، وجدناها في جيب سترته المهترأة ومقرزة الرائحة..

أخذها منه وابتسم بسخرية قائلاً:

.. هدا من روعك يا نظيف يا ابن الأكاير..

وكالعادة معين يأخذ سخريته بسخرية أيضاً ويضحك ليبتسم إيهاب عليه ويحرك رأسه بيأس ..

قرأ زياد اسمه (جهاد محمد سالم محفوظ) .. ابتلع زياد ريقه بصعوبة وهو يقرأ اسمه مرة واثنان وثلاثة  
وعشرة لتجحظ عيناه وتقع البطاقة من يده ويضع يديه على رأسه قائلاً:

.. يا ربيييييي..

قطع معين جملته ونظر له بتعجب ليقول:

.. ما بك زياد ماذا حدث..

مسح زياد على وجهه أكثر من مرة بيديه الاثنتين بعنف وهو يركز على أسنانه ويصدر منه صوت همهمة عنيفة  
ليقول بغضب بذهول:

.. من أين أتى هذا الرجل ومن يكون وأين وجدته حدثني معين..

أجابه معين باستغراب:

.. لا أعلم، لقد قلت أنه كان يحاول الاعتداء عليها وأنا أبعدته عنها وضربته وأنت تعلم الباقي..

اشتد فكه واحتدت نظرتة ليقترب منه ويحاول إفاقته ولكن لا فائدة .. حاول أن يفيقه بالماء وأيضاً دون جدوى ..

وللمرة الثانية عاد ووضع يده على رأسه قائلاً:

.. ياربي ماذا يحدث، ماذا يحدث، ما هذا ياربي أرجوك..

حاف معين من تبدل حال زياد ليقترب ويقول بإصرار وأعين جاحظة:

.. أفهمني ما الذي يحدث لك، لما تبدلت هكذا..

نظر له زياد ووجهه أحمر ليقول بجنون وصوت خافت ومع كل كلمة يقولها يرتفع صوته:

..خذه إلى المستشفى، إياك أن يحدث له شيء، ومن ثم أخفه عن الوجود، لا أريد لجنس مخلوق أن عرف له طريق أبداً، سيبقى أمانة لديك ولن تؤذيه فقط أخفيه عن الأعين، لا أريد لأحد أن يعرف عنه شيء، أسمع..

أنهى جملته بصوت جهوري ليبعد معين رأسه وعيناه جاحظة ومن ثم عقد حاجبيه ليحرك رأسه موافقاً بسرعة .. بينما إيهاب كان واقفاً يراقب الموقف بذهول دون التفوه بحرف أما عن زياد فقد أخذ هويته ووضعها بجيبة ستريته ليقول لمعين:

..إفهم من أين أتى وسجل كل كلامه هذا طبعاً إن استيقظ..

قال جملته الأخيرة بسخرية وانفعال ليخرج من الغرفة وينفخ معين خديه ويلحقه مستوقفاً إياه ليقول:  
..ما الذي يحدث أجبني زياد..

أغمض عيناه واستدار له قائلاً:

..حافظ عليه ولا تدعه يتأذى وأخفيه عن الأعين فقط هذا، وبالنسبة لشهد ستيقى هنا اليوم وأنا ساتي غداً وأخذها من هنا، إياك أن يحدث لها شيء، احرص عليها جيداً ولا تخبر إيهاب بوجودها فلنذعه يذهب وسأحدثك بكل شيء لاحقاً، وأنا سأذهب إلى المنزل الآن لأنني سأجن من الذي يحدث..

حرك معين رأسه موافقاً ليقول:

..حسناً كما تشاء..

خرج زياد من المنزل بسرعة البرق وصعد بسيارته متوجهاً إلى منزله والهموم كلها فوق رأسه .. فا ويله قلبه المتعلق بشهد وويله معرفة هوية ذلك الشخص وويله ابنه وويله زوجته وويله حاله ..

"فليتك تحلو والحياة مريرة ولينك ترضى والإنام غضاب وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبينني وبين العالمين خراب"

---

عاد زياد إلى منزله ليسمع صوت الضجة منبعثة من الصالة وقد تيقن أن أفراد العائلة مازالو مستيقظين ليعقد حاجبيه باستياء فهو غير متفرغ للرسميات والمجاملات ولا السهر حتى ..

دخل عليهم بابتسامه باهته ليبادلونه الجميع الابتسامه وينضم لهم .. جلس بينهم وحدثهم ولكنه كان بغير دنيا تقريباً ولا يعي شيء مما يحدث ..

راقبه زين وقد علم أنه ليس على مايرام لينظر له نظرة تساؤل ويبادلله زياد بابتسامه دافئة ومن ثم استأذن من الجميع وصعد إلى غرفته ليلحق به زين بعد دقائق ..

دخل عليه ليراه وهو يخلع سترته ويسأله:

..ما بك أبي..

نظر له زياد بتعب مجيباً:

..لا شيء بني..

عقد زين حاجبيه باستياء قائلاً:

..كيف لاشيء وأنت يبدو عليك التعب والإرهاق، هل حدث شيء..

لمعت عينان زياد وابتسم بهدوء وبداخله يشتم ويلعن بنفسه .. فمنذ ساعة كان مع زوجته يقنعها به وبحبه ويخدع ابنه وقد دبر الكثير من المكائد له ولزوجته والآن زين بكل حسن نية يأتي خائفاً عليه ومهتماً لأمره .. هه أي لعنة هذا الرجل ..

تنهد زياد بأسى ليقول:

..حبيبي البطل، لا شيء صدقني، فقط إيهاب يريد أن يطلق زوجته وحاولت إقناعه بالرجوع عن قراره ولكن دون جدوى، لقد أتعبني..

ابتسم زين بسخرية قائلاً:

..هذا أفضل، أي امرأة عاقلة ستعيش مع أحمق كإيهاب..

ابتسم له زياد وحرك رأسه موافقاً ليردف زين:

..حسناً سأهبط إلى الأسفل وأدعك ترتاح قليلاً..

ابتسم له وتركه وقبل أن يخرج من الغرفة استوقفه زياد قائلاً:

..بني أنت لم تعد تريد شهد..

نظر له زين بحاجب مرفوع قائلاً:

..ولا أريد أن أسمع بسيرتها..

ابتلع زياد ريقه قائلاً:

..اسمعي، لربما ظلمناها بني..

زين بسخرية وتهكم:

..ظلمناها، والصور والمحادثات ماذا، أيضاً ظلمناها بعد أن رأيت كل شيء بأم عيني..

حرك رأسه بتشويش قائلاً:

..أجل نحن لا يجب ان نحكم عليها قبل أن نسمع منها، فلتعطيها فرصة بني وعندها ستحكم عليها إما أن تبقى عندك وإما أن تطلقها..

كان سيقتنع بفكرته وقلبه اللعين يطاوعه بداخله ولكن عقله يقول له لا ليحرك رأسه رافضاً بعنف ويقول:

..لا أبي، لا أريد أن أرى وجهها..

تنهد زياد بضيق قائلاً بترقب:

..لقد وجدتها..

جحظت عيناه قائلاً بذهول:

..أين وجدتها أبي..

زياد:

..معين من وجدها وهي الآن عنده، أنا رأيتها وتحدثت إليها وأقسمت أن لا ذنب لها بكل ماحدث وهي لم تخنك ولم تفعل أي شيء يحزنك..

زين بانفعال:

..إنها مراوغة أبي، تلك المحادثات لوحدها بالمكفى هذا ماعدى صوتها، سأجاريك وأقول أن المحادثات مزيفة والصور مطبقة والفيديو مفبرك ولكن ماذا عن صوتها ها..

ابتلع زياد ريقه محبباً:

..لربما أيضا تطبيق لا تعلم، لا تظلمها بني، اجلس معها واسمعها..

زين بعناد:

..لا يعني لا، وأنا مصرّ جداً على الطلاق..

زياد بانفعال:

..أي طلاق وأنتما لم تتزوجان سوى منذ أقل من شهر، أأحمق أنت أم ماذا..

نفخ زين خديه ليقتررب ويقف زياد مقابلاً له قائلاً:

..اسمعني ستعود إليك فترة مؤقتة..

قطع جملته عندما رأى انفعاله واستدارة جسده ليديره ناحيته ويقول بحزن:

..ستعود إليك مؤقتاً فقط وأنا سأخرجها فيما بعد صدقتي..

تحدث زين بلؤم و نفاذ صبر:

..كم يعني..

أجاب زياد:

..تقريباً شهرين أو ثلاث لا أكثر..

زين بانفعال وغضب:

..شهرين أو ثلاث أبي، سنظل التي خانتني في وجهي لثلاثة أشهر، لا يعني لا، لا أريد..

كز على أسنانه قائلاً:

..لما أنت عنيد إلى هذا الحد، سنبقى لمدة شهرين فقط اتفقنا وأنا سأدبر لها قصة كي تخرج من المنزل ولا تعد ها..

نظر لوالده بلؤم ليقول بتحدي:

..حسناً ولكن لا تلومني على ما سأفعله بها اتفقنا، وإن دبرت لها كل المكائد لا تلومني أبي..

همهم زياد بسرعة ليقول:

..حسناً، سأجلبها غداً وافعل ماشرتت فقط أبقها عندك فترة ها..

حرك زين رأسه موافقاً بامتعااض ليضربه زياد على مؤخرة رأسه ويقول:

..والآن هيا اغرب عن وجهي..

نظر له بعبوس وخرج من الغرفة بينما زياد ضحك على ردة فعله وما إن خرج حتى عاد لبروده وتنهد بقلق  
ماسحاً على وجهه محاولاً تهدأة نفسه ..

لم يستطع أن يترك نفسه للتفكير لذلك حاول تناسي كل شيء وأغمض عيناه بقوة مستسلماً للنوم تاركاً كل شيء  
للغد ..

---

في اليوم وبالتحديد عند الساعة الحادية عشر صباحاً

استيقظ زياد على ضربات خفيفة على وجهه .. عقد حاجبيه وهمهم لتعاود ضرب وجنته ويفتح عيناه ويرى آية  
ابنة وائل أمامه ..

تعجب من وجودها ولكنه ما لبث وابتسم وعيناه بالكاد مفتوحة ليحملها ويمددها بجانبه ويقول وهو ينقر على  
أنفها:

..ماهذا الجمال عند الصباح..

ابتسمت له ببراءة الأطفال لتقول بلكنة ثقيلة:

..هيا انهض، سننظر سوياً عمو..

ضحك على كلامها ليقول:

..ياروح عمو أنت، حسناً لأجلك أنت سأنهض..

نهض وتوجه إلى الحمام الملحق بغرفته ليفعل روتينه الصباحي ويغير ملابسه .. ثواني ودخلت عليها أريج لتقول بحماس:

..صباح الخير، هيا عمو تعال لنفطر سوياً..

ضحك من الموقف ليقول:

..فعلاً جمال..

ضحكت بالمقابل ليحمل آية ويهبط هو وأريج وبيده تلك الصغيرة متوجهاً إلى المائدة الكبيرة وقد كان الجميع مجتمعين حولها ليلقي تحية الصباح عليهم وينضم لهم ..

ضحك وائل عندما رأى ابنتيه برفقة زياد ليقول:

..هل أيقظتاك..

ابتسم زياد وهو يضع آية في حضنه وأراد أن يتحدث لتقفز أريج قائلة بعبوس:

..أنا أريد أن أجلس بجانب عمي..

ضربت الأرض بقدمها ليضحك زياد ويقول لسلمى:

..سلمى بريك إجلي لها كرسي لجانبي، لا أريدها أن تحزن..

ابتسمت سلمى وحركت رأسها موافقة لتجلب لها كرسي وتضعه بجانب زياد ومن ثم جلست أريج بجانبه وهي

مبتسمة باتساع ليضحك زياد ويقول لوائل:

..وجدت آية على سريري وبعد قليل قفزت أريج ودخلت إلي..

همهم وائل قائلاً بتعجب:

..من أدخل آية إليك..

تدخلت سندس قائلة:

..أنا، فالسيد زياد لا يستيقظ إلا إذا كان أحد جميل كابنتي بجانبه..

أنهت جملته وهي تنظر له نظرة ذات مغذى ليبتسم بسخرية ويتجاهلها .. تنهد وتحدث بصوت عال:  
..بالمناسبة زين أراد أن يخبركم أن شهد ستعود اليوم..

همهم الجميع وابتسموا ليمتعض زين ويكمل طعامه بيرود ليقول عماد:  
..هذا رائع إذاً سنقضي هذان اليومان وهي بيننا..

ابتسم زياد لجده بيرود وأكمل طعامه ليردف عماد لزياد:  
..متى ستعود..

زياد:

..يعني بعد ساعتان أو أكثر..

همهم وأكمل الجميع تناول طعامهم بهدوء ولم يسمع بعدها صوت ..

-----

بعد قرابة الثلاثة ساعات عاد زياد بشهد طبعاً بعد أن أخذ لها ثياباً مناسبة وجعلها تغير ثيابها البالية التي كان مرتدية إياها ومن ثم أفهمها على كل مايتوجب فعله وقوله أمام العائلة وعاد بها ..

دخل بها إلى المنزل لتخطو شهد أول خطوة وهي خانفة ومترددة من مزاجه زين .. فزياد لم يبشرها بالخير  
أبدأً من ردة فعله وحديثه عنها في الأمس ..

دخلت لتلقي التحية على الجميع بتوتر ويستقبلونها الجميع بابتسامة مرحبين بها ..

وبعد السلام والكلام تحدث عماد بابتسامة:

..الحمد لله على السلامة ياشهد، ومبارك لأخيك شادي لقد فرحنا له جميعاً..

ابتسمت شهد بود لتقول:

..شكراً لك جدي..

ابتسم لها ولم يتحدث بعدها لتتظر شهد لزين بتوتر بينما هو يناظرها بغضب واشمئزاز مما جعلها تعقد حاجبيها باستياء وتخفص رأسها بحزن ..

محم زين لينهض ويمسك بيد شهد لينهضها ويقول للجميع بمرح مصطنع:

..عن إنكم قليلاً وسنعود..

ضحكوا جميعهم فقد فهموا كم أنه مشتاق لزوجته لتخفص ألى رأسها بحزن وعيناها تترقرق بالدموع كيف أنها ترى حب حياتها مع أخرى ..

توجه زين بشهد إلى غرفتهما الخاصة ليدخل ويلقيها على السرير بعنف ويقول بصوت خافت وحاد:

..الآن فقط علمت كم أنك فتاة رخيصة وماحجم هذه الكارثة التي كانت تعيش معي، ولكن لا بأس، شهران فقط وسأخرجك من حياتي بالكامل، أنا مضطر لاستقبالك عندي هذه الفترة ومن بعدها سأقول لك وداعاً وأنت بوجهك إلى أقرب ملهى يليق بشاكلتك..

أنهى كلامه الحاد والقاسي وتركها وغادر تاركاً إياها تبكي بحرقة على كلامه الذي نزل على مسامعها كالصاعقة لتعلم أن زياد فعلاً قد زود الجرعة هذه المرة وصعب جداً أن يقتنع زين الآن ببرائتها ..

---

في المجلس بالأسفل تحدث عماد بسرور:

..إذاً وبما أننا سنظل هنا يوماً تقريباً سنقيم حفل هنا..

عقد زياد حاجبيه وسأل عماد:

..حفل ماذا أبي..

ابتسم باتساع ليقول:

حفل خطوبة رامز ابن نهاد على ألى ابنة نزار وحفل خطوبة سامي ابن نزار على لينا ابنة مسرة..

هذه الجملة كانت بالفعل صاعقة كبيرة للشبان والفتيات وحتى الرجال .. ابتسم زياد بتعجب قائلاً:  
..متى تقدا لخطة الفتيات أبي لم نعلم إلا الآن..

ابتسم عماد وهو يطرق بعكازه على الأرض قائلاً:  
..نهاد حدثني أنه يرغب أن يزوج ألى لابنه رامز ونزار حدثني أنه ينوي أن يزوج لينا لابنه..

رفع كلا من نهاد ونزار حاجبيهما فهما لم يتحدثان بهذا الموضوع نهائياً ولكن واصح أن والدهما يريد أن يجمع شابات وشبان العائلة مع بعضهما ولا يدخلان الغريب بينهم .. ولولا أن شهد لم تتربى تحت رعاية هذه العائلة ويعرفونها عز المعرفة لما سمحوا لها بدخول هذه العائلة ولو طبقت السماء على الأرض ..

ضحك سامي موجه حديثه لرامز قائلاً:  
..أيها اللعين متى تقدمت لخطة أختي..

تحدث رامز بذهول وابتسامة بلهاء:  
..والله لم أعلم إلا من جدك الآن..

تحدث عماد بحدة لسامي:  
..منذ متى تلعنوا أمامي، ما بكم يا شباب عائلة الوكيل..

توتر الجميع وتداركوا الأمر ليقترب أحمد ابن نهاد ويهمس لرامي ابن لمياء شقيقة زياد قائلاً:  
..جدك يصرخ بنا لإننا نلنن قما بالك إن سمع الشتائم التي نتداولها فيما بيننا في العادة..

كتم رامي ضحكته لأقصى حد ممكن ولكنه بعدها لم يستطع لينفجر ضاحكاً ويضحك بصوت عال كالفتيات مما جعل الجميع يتعجب منه ومن ثم يكتمون ضحكاتهم .. بينما عماد جحظت عيناه وانفعل كثيراً ولولا أن أحمد وطارق ابن مسرة قد أخرجاه من الصالة لكان عماد قد حطم رأسه لا محالة ..

ابتسم زياد وحرك رأسه بياس على تصرفات شبان العائلة وزين يتابعهم بابتسامة مرحة .. تنهد زياد ليقول  
بابتسامة:

..مبارك لهم أبي..

ابتسم عماد وحرك رأسه موافقاً وبدأ الجميع بالمباركة لهم تحت امتعاض نهاد ونزار وذهول سامي ورامز ولينا .. ماعدى تلك التي كانت بغير دنيا فهي لم تكفيها صدمة أن حب حياتها قد تزوج من غيرها لا وسيقومون بتزويجها لشاب لا تعتبره إلا كأخيها ..

ماذا يحدث حباً بالله! ولما هي وليست غيرها! وفوق كل هذا هي لا تجرؤ لتقول لجدتها أنها غير موافقة .. أجل تستطيع أن تقول لوالدها وتعارض أمامه ولكنها بالنهاية تعلم أن والدها لن يفعل لها شيء سوى الرضوخ لوالده .. فرجال ونساء عائلة الوكيل جميعهم قد ربوا أبنائهم على احترام عماد ورائدة والرضوخ لأوامرهم أياً كانت الأوامر ..

.. إن الصدمة العاطفية هي أكثر الصدمات ألماً وأوسعها دماراً، تجتاح كابتها وطن الإحساس فتحته مجردة إياه من حقوق الطبيعة بالحياة، لا تملك بعدها أمرك، شعور وحيد يملكك بعدها، هو شعور إعتزال كل شيء ..

---

قرع جرس باب ذلك المنزل لتنهض تلك المرأة الكبيرة بالسن وتفتح الباب .. فابنتها لم تعد تخرج من غرفتها إلا عندما تناديه لتأكل .. حالها لا يعجبها ولم تستطع ان تفهم ما علتها ..

تنهد بقوة وذكرت الله في نهوضها ليعينها وتتوجه ناحية الباب بخطوات بطيئة وتفتح الباب لتقابل أمام تلك العائلة الصغيرة المبتسمة بوجهها ..

اتسعت ابتسامتها وترقرقت عيناها بالدموع لتقول بلهفة:

..حسام، يا حبيب قلب أمك..

اقترب حسام منها وهو مبتسماً باتساع ليحتضنها بقوة بينما زوجته دينا تحمل بيدها ابنها وتراقب هذا الموقف الرائع بابتسامة هادئة ..

استقبلتهم أروع استقبال وأدخلتهم ليتصدرون الصالة وطبعاً لم تترك ذلك الصغير لؤي فقد بدأت تقبله وتضمه إلى صدرها فهي لأول مرة تراه ..

اتسعت ابتسامته حسام قائلاً:

..أين جهاد أمي..

تنهدت بحزن وقبل أن تجيبه كانت جهاد تخرج من غرفتها لتقابل أخيها في الصلاة وتهرول ناحيته بلهفة  
وجمزعها تشق وجهها ..

احتضنته وتشبثت به بقوة وكأنها وجدت ملاذها وأخيراً .. وجدت الأمان الذي فقدته والحنان الذي حرمت منه  
منذ سفر حسام ..

كانت تحتضنه بعنف وتبكي بقوة ليتعجب حسام من حالها وأيضاً دينا تعجبت كثيراً وحزنت لأجلها وهناك سؤال  
يجور بخلدها .. أهي تبكي كل هذا الفراق لإنها وأخيراً رأت شقيقها أم بسبب شيء آخر ..

بعد قليل من الوقت هدأت جهاد وجلست بينهم بعينان حمراتان من كثرة البكاء وأنف أحمر وقد بدت  
كالمهرجين وطبعاً بعد أن احتضنت دينا وقبلت لؤي ..

ضحك حسام ضحكة رنانة قائلاً:

..يافتاة تبدين كالمهرجين..

نظرت له بعبوس ليضحك مجدداً ويقول:

..اشتقت لكِ صغيرتي..

اتسعت ابتسامتها لتعاود احتضانه وتشبثها به وهو بدوره لم يبخل عليها بمنحها الحنان الذي افتقدته ..

تحدثت دينا بابتسامة:

..لو كنت أعلم أن غياب حسام سيؤثر بجهاد إلى هذا الحد ماكنت سأدعه يسافر..

ضحكوا جميعهم ليقول حسام:

..أرايتي هذه زوجتي أيضاً تتأمر علي..

ابتسمت بهدوء وحركت رأسها موافقة ليقرع جرس الباب من جديد لتنهض دينا وتفتح الباب ..

دخلت الصلاة مبتسمة وبرفتها تلك المرأة الجميلة سناء لتتقابل عيناها بعيناه وتصبح وثيرة تنفس كليهما عالية ..

ينظران لبعضهما ببرود وعيناها تحكي الكثير والكثير من الأشياء .. نظرات بها عتاب حزن لوم والكثير ..

ابتلعت ريقها بصعوبة وتداركت الأمر لتتصنع الابتسامة وتتقدم لتلقي التحية عليه ويمد يده لها للمصافحة .. مدت يدها له وصافحته وعيناه بعيناها وظل ممسكاً يدها مدة قصيرة لتسحبها وترفع حاجبها بلؤم بينما هو وجه لها نظرة متوعدة ..

ألقت التحية على عمته وجهاد وجلست بينهم .. كانت الجلسة متوترة بالنسبة لسناء وحسام فهما كانا ينظران لبعضهما إما بعدائية وقليلاً بعتاب من قبل حسام وقليلاً ببرود من قبل سناء ..

أشاحت بوجهها عنه وبدأت تتحدث مع دينا بأمر عدة محاولة التقرب منها وطبعاً دينا بشخصيتها الاجتماعية استرسلت معها في الحديث وأحبت طريقة حديثها وانتقائها لملابسها .. أناقتها .. لون شعرها .. وحتى لون الطلاء على أظفارها أعجبها جداً وبدأت الأحاديث التي لا تنتهي ..

بينما جهاد فقد كانت جالسة بجانب حسام محتضنة إياه بقوة رافضة تركه وحسام لا ينفك عن النظر بسناء وبباليه سؤال واحد فقط (ماذا كان سيحدث لو أنك أنتِ زوجتي وليست دينا) .. ولؤي طبعاً كان بحضن جدته التي تلاعبه ..

وللمرة الثالثة قرع جرس الباب ليتهد حسام وأراد أن ينهض ليفتح الباب ولكن والدته استوقفته قائلة:  
.. اجلس اجلس، أنا ولؤي سننهض لنفتح الباب..

ابتسم لها لتنهض بتثاقل وهي ممسكة بيد لؤي لتفتح الباب .. دخلت ودخل ورائها إيهاب لتتقابل عيناه بعينان شقيقه ..

سناء ما إن رآته حتى ابتلعت ريقها بتوتر وخافت من موقفه كثيراً .. بينما حسام ابتسم له ليتقدم ناحيته ويحتضنه بقوة غير مبادلاً إياه الحضن .. تعجب حسام من موقفه ولكن خيل له أنه علم بالحقيقة لذلك لم يناقشه وعاد ليجلس مكانه ..

لم يلقي التحية على دينا ولم ينظر لـ لؤي ابن شقيقه ولم يفعل شيء سوى النظر لشقيقه ولزوجته ببرود ..

تحدثت والدة حسام قائلة بتعجب:

.. ادخل بني لما أنت واقف هنا..

لم يعيرها اهتمام وظل نظره موجهاً له ليقول ببرود:  
..لما أتيت..

عقد حاجبيه بتعجب ليقول:  
..لم أفهم عليك..

إيهاب بلؤم:  
..سؤالي واضح، ما الذي أتى بك إلى هنا، ما الذي أعادك..

ابتسم بسخرية لينهض ويقف مقابلاً له قائلاً:  
..عدت لبلدي وسأستقر هنا، ثم أنني عجلت بعودتي لأجل شقيقتك التي اهتمتها والتي حدثتني منذ يومان وهي منهارّة من البكاء وتطلب مني العودة لأنها بحاجة لي ولأنك لا تلتفت لها ولحالها..

ضحك إيهاب بسخرية مجيئاً:  
..الآن دبت بك الحنية، دبت بك الأخلاق والشرف ها..

كز على أسنانه قائلاً:  
..ماذا تقصد..

إيهاب بانفعال:  
..تعلم جيداً ماذا أقصد، لماذا عدت ولأجل من، لا تكذب وتقول لأجل شقيقتك، أنت أكذب شخص رأيت في حياتي..

استغرب حسام كثيراً من حديث شقيقه بحقه ولكن بطبيعة الحال حسام أعصابه باردة وغضبه لا يخرج بسهولة لذلك سأله ببرود:  
..صدقاً أنا متعجب لطريقة كلامك مع أخيك الأكبر منك..

ضحك إيهاب بسخرية وبشكل ملفت ليقول:  
..أووّه أخي، معك حق أنت أخي..

تبدل وجهه للبرود ليقترب منه ويهمس له بلؤم:  
..ولكن معذرة، أحياناً الأخ يكون حشرة وحقير مثلك تماماً..

ابتعد عنه وجال بالصالة قائلاً بانفعال:  
..هل عدت لأجل زوجتي، لأجل حيك القديم أيها الخائن..

هذه الجملة جعلت كل من في المكان تجحظ عيناه ويشهق بصدمة .. والصدمة الكبرى كانت من نصيب دينا  
التي وضعت يدها على فمها وعيناها جاحظة ..

نعم هي تعلم أن زوجها كان مرتبط بفتاة ويريد أن يتزوجها ومن بعدها تركته لأسباب لم يفصح عنها .. ولكنها  
لم تكن تعلم أن الفتاة هي زوجة إيهاب ..

عض حسام على شفته كاتماً غيظه و غضبه ليقول بتحذير:  
..لا تفقد عقلك إيهاب، أنا لم أعد إلا من أجل والدتك وأختك فقط لا غير..

ضحك بسخرية قائلاً:  
..أجل بعلامة تلك الرسالة الشعرية التي بعثتها لزوجتي منذ شهر تقريباً..

أخرج هاتفه من جيب سترته ليقول:  
..اسمعوا اسمعوا يا جماعة، واحكموا على هذه الرسالة المليئة بالعواطف والأحاسيس.. (إلى الآن لم أستطع  
نسيانك سناء، كنت احمقاً ومغفلاً عندما تخليت عنك وتزوجت من امرأتي، إيهاب محظوظ جداً، أنا حلمت وهو  
من حقق، هنيئاً له) أووه كم هذا جميل..

ابتلع حسام ريقه وأغمض عيناه فهو لم يرد أن يصل إلى هنا أبداً .. الجميع صدمتهم لا تقل عن صدمة حسام إذ  
أنهم ولو أول مرة يعلمون أن سناء كانت حبيبة حسام ..

ابتسم له بفتور قائلاً وهو يضع يديه في جيبيه:  
..أجل وإن يكن، ماذا ستفعل بعد كل هذا الكلام..

رد عليه مبتسماً بحدة:  
..لم أتوقع منك غير هذا الجواب، علمت أنك لا تمت للوفاء بصلة..

لم يجيبه حسام ليرد له:

.. لا أريدك أن تقترب مني ولا أن تريني وجهك وعندما أكون هنا أنت لا تكون أسمع..

استدار له ليقول بابتسامة باردة:

.. نعم أسمع..

حرك رأسه موافقاً وهو يناظره بحدة ليمسك يد زوجته ويعتصرها بقوة ويجرها خلفه ليدفع حسام ويبعده عن طريقه ومن ثم خرج من المنزل فوراً ..

الجميع كان مصدوم مما حدث .. دينا حالما استفافت من صدمتها حتى نظرت لحسام بحقد شديد وعينان تلمع بالدموع لتحمل ابنها وتخرج من المنزل متوجهة إلى منزل أهلها .. لم يمنعها ولم يقف بطريقها ظل جامد وبارد ليترك والدته وأخته ويدخل إلى غرفة جهاد ويتمدد على سريرها وهو يفكر بموقف شقيقه .. لم يكن سيفعل شيء .. كان سيضحى لأجل شقيقه وسعادته مع الإنسانية التي عشقها ولكن بعد موقفه هذا فليهيء نفسه للحرب التي بسبب موقفه الغبي وسلطة لسانه أقحم نفسه بها ..

---

نترها من يده ليدفعها على الأريكة بعنف ويحدثها بحدة:

.. حالما علمتي أنه وصل حتى ذهبت فوراً لترينه أليس كذلك، ألا يكفيك كل هذا الخداع طوال هذه المدة التي قضيتها معي، ألم تكفي أيتها اللعينة..

أنهى جملته صارخاً بها لتترقق عيناها بالدموع وتحجز عيناها مما سمعته منه .. حركت رأسها بنفي لتقول بذهول:

.. أنا أصلاً لم أظن أعلم أنه كان هناك، لم أعلم أنه سيعود أساساً، أقسم لك أنني نسيته منذ زمن، ومنذ أن تزوجتك لم أحنك حتى بالتفكير والله وغلاتك في قلبي، لما أنت مقتنع بهذه الفكرة وتظلمني إيهاب..

كز على أسنانه ليقتررب منها ويتحدث بحدة:

.. لإنك لعينة، كاذبة، مراوغة، أنت أحقر امرأة رأيتها في حياتي..

هبطت دموعها على وجنتيها وهي تشعر بقلبه يعتصر ألماً لكلماته هذا ماعدى المأزق الذي وضعها به في منزل والدته .. لم تعد تحتمله وتحتمل كلماته اللاذعة وشكه الدائم بها .. نهضت لتسمح دموعها بعنف وتقول بحدة:

..طلقني يا إيهاب..

ابتسم باتساع عندما سمع جملتها لتتحول إلى ضحكة قوية .. حاول تمالك نفسه من الضحك ليقول:  
..أطلقك لكي تذهبين له أليس كذلك، شعرتي بالحنين لأيامك معه صحيح..

نظرت له بذهول قائلة:

..لاااا، أنت فعلاً مريض، والشك يقتلك يارجل، أنا أريد أن أتخلص منك، من هو حسام ذاك لكي تتهمني  
بخيانتك لك معه، من هو لكي أدمر حياتي لأجله ها، أنت تعلم أنه لا يوجد شيء بيني وبينه ولكن أنت مريض  
بالشك والغيرة اللعينة، لا تريد أن تفهم الأمر، أنت تشعر بالنقص معقد لعين..

أنهت جملتها بصراخ لتهبط تلك الصفحة القوية على وجنتها وتسقطها أرضاً .. لم تؤلمها الصفحة بقدر ما ألمها  
الموقف وكم شعرت بالإهانة بلحظتها ..

تنهد بتسفي ليقول بلؤم وصوت عالي:

..أنت طالق يامدام، فلتذهبي لتتشرى عهرك عند ذلك الحقير، لم يعد يهمني أي شيء تفعلينه..

أنهى كلامه واتخذ خطوتين ولكنه وقف واستدار ليرد لها:

..أريد أن أعود ولا أجدك في المنزل، فلتأخذي كل شيء يخلصك، لا أريد أي شيء خاص بك في منزلي..

ألقي نظرة ساخرة عليها وخرج من المنزل بأكمله معتصراً قلبه ضاغطاً عليه بقوة مقسماً بينه وبين نفسه أنه لن  
يعد يشعر بالشفقة على أحد ولن يهتم لأمر أحد من الآن فصاعداً .. حتى شقيقه إن حدث ووقف بوجهه لن يسلم  
من جنونه وغضبه ..

نعم هو خسرها بعد أن كان يعشقها ولكنه لا يستطيع أن يسامحها على ما اقترفته .. هو بالأصح لا يريد أن يقنع  
نفسه أنها بريئة ولم تفعل أي شيء يمس بكرامته وباسمه .. مجرد أنه علم أنها كانت على علاقة مع شقيقه تجعل  
الدم يغلي في عروقه .. بنظره الطلاق والانفصال أفضل حل ..

سيعود لسيرته الأولى لجبروته وحقده وأديته للناس .. سيمشي بطريق زياد ومعين مثلما كان معهما في الماضي  
.. لم يكن يرحم أي شخص بسلطانه عليع ولكن بعد دخول سناء لحياته تغير كثيراً وترك كل شيء .. ولكن الآن  
ستعود حياته للسواد والظلمة وستبدأ حربه مع نفسه ولتذهب تلك التي عشقها للجحيم ..

"من الخارج كان يبدو أن كل الأشياء تمضي، أما في رأسي فقد ظلت موجودة كما هي"

---

كانت تحضيرات هذا الحفل تُجهز على قدم وساق .. كانوا يريدون أن يقيموا الحفل في منزل زياد ولكن عماد رفض وأراد أن يقام حفل كبير يليق بأحفاده وبسمعة عائلة الوكيل ..

الجميع كان يجهز نفسه علماً أن الفتيات قد ذهبن للتسوق برفقة النسوة واشترين الفساتين والزينة وكل شيء يلزمهن ..

طبعاً لينا وأمي ذهبتا لصالون التجميل وبقية الفتيات بقين في المنزل يتجهزن بأنفسهن ..

-----

في غرفة زياد وبعد أن أخذ حماماً سريعاً خرج وهو ملتحفاً بمنشفة كبيرة ويده منشفة صغيرة ينشف بها شعره ..

تنهد بعمق وأخرج بذلته الرسمية وبدأ بارتداء ملابسه لينتبه لسلمى وهي تدخل عليه ببرود .. لم يعيرها وأكمل ترتيب نفسه لتقول له بهدوء:

..أريد أن أطلب منك شيئاً..

همهم لها قانلاً:

..إذا كان شيء بخصوص شهد أو زين فا اخرجي من رأسي..

حدثته بضيق:

..لا لن أفتح هذه السيرة اطمئن فأنا أعلم أن الحديث معك بهذا الخصوص..

ابتسم بسخرية لتردف له:

..أريد مبلغاً من المال..

نظر ليقول بتعجب:

..لماذا ولمن..

أجابت:

..لأجل عملية والدي..

همهم لها قائلاً:

..حسناً سأعطيك الكارت الخاص بي وفي الغد إذهلي واسحبي المبلغ الذي تريدينه..

نظرت له بتعجب فهي قد ظنت أنه سيعارض وخصوصاً عندما يعلم أن الأموال من أجل عملية والدها .. شكرته وخرجت من الغرفة ليكمل هو ماكان يفعله مبتسماً بسخرية وغير مبالياً بها وبوالدها وبمرضه وبالأموال التي ستأخذها منه ..

-----

أما في غرفة زين فقد كان لا ينفك عن مضايقة شهد وجرحها بكلامه الحاد واللاذع .. يصرخ ويهزأ بها وهي تبكي بصمت وتحاول قدر الإمكان تجاهله وعدم الرد بوجهه ..

صرخ بها قائلاً:

..لا وبكل عين وقحة تريدين أن تذهبين للحفل أليس كذلك..

أجابت ببيكاء:

..وما شأنني أنا، أنت رأيت كيف أنني قلت لهم أنني لا أريد أن أذهب وهم أصروا على ذهابي وخصوصاً جدك..

حدثها ساخراً:

..بالطبع سيصرّ على ذهابك فهو لا يعلم كم أنك حقيرة وخائنة..

أجابت ببيكاء:

..كفاك زين أرجوك كفى، أنا لست خائنة وكل ما رأيته هو تلفيق وكذب صدقتي أنا لست كذلك، أنا أحبك جداً والله أحبك..

ابتسم بسخرية ليجيب:

..أجل تحبينني وتحبين والدي وابن عمي وجددي وعمي والعائلة كلها، أنت لستي إلا رخيصة، والله لو أنك أحببتي غير والدي لكنت ربما سامحتك ولكن والدي، والدي يا لعينة..

أنهى جملته بصراخ لتجهش بالبكاء أكثر وتحدث ولكنه قاطعها صارخاً:

..لا تتحدثي، ولا تسمعي صوتك اللعين هل فهمتي، فقط اصمتي وادعي ربك أن يمضي هذان الشهران على خير ولا أكون قد ابتليت بك..

زاد بكائها ونحيبها ليصرخ بها للمرة الثانية بانفعال:

..واللعنة توقي عن بكائك اللعين، أو أقولها لك اخرجي وابكي في الخارج هيا، صدقاً لا أريد رؤية وجهك ولا سماع صوتك هيا..

أمسكها من معصمها وأخرجها من الغرفة ومن ثم أغلق الباب بوجهها وهي منهارة من البكاء لتقابل زياد أمامها .. ويبدو أنه كان يستمع لكل الحديث الذي دار بينهما ..

ابتلع ريقه بصعوبة ليقول:

..تعالى واجلسي في غرفة سلمى ريثما تهدأي..

أمسكها من رسغها لتنتثر يدها من وتقول بحقد شديد:

..إن كنت أتمنى الموت لأحد ولأزل مرة في حياتي فا سيكون لك أنت، بسببك تدمرت حياتي، ولن أغفر لك طوال حياتي..

أنهت جملتها وتركته وغادرت بينما هو لم يحرك ساكناً فقط ظل واقفاً بمكانه إلى أن ابتسم بآلم وحرك رأسه موافقاً داعياً الصبر والسكينة مخافة على أهل هذا المنزل من غضبه وإعصاره .. فكما يقولون إتقي شر الحليم إذا غضب ..

---

عند الساعة الثامنة مساءً الجميع كان متجهزاً للحفل وبأبهي طلة لهم .. وأيضاً شهد كانت من ضمنهم فقد  
جهزتها سلمى والفتيات .. كانت معارضة للفكرة ولكن إصرار سلمى وتهدأتها وحنوها عليها حالوا دون ذلك ..

اجتمع الجميع في الأسفل في صالة المنزل وزياد طبعاً كان ينظر لشهد .. لم يكن ينظر لها بانبيها ولا بإعجاب  
ولا برغبة فقط كان ينظر لها بعتاب ولوم وحن .. بعيدة كل البعد عنه وقريبة كل القرب لقلبه فقط .. ابتسم  
بخفة عندما وجهت نظرها له لتعقد حاجبيها وتشيح بوجهها عنه .. إلى أن قطع عماد هذا التواصل وأمرهم  
بالذهاب و انطلق الجميع متوجهين نحو صالة الحفل ..

-----

في الواقع ألمى كانت متصدرة بجانب خطيبها ولكنها كانت بغير دنيا تماماً .. كانت تنظر لزين بعتاب وحن  
ولا ترى غيره بكل الحفل .. حتى خطيبها والذي هو ابن عمها لم تلتفت له علماً أنه حاول التودد لها ولكن لا  
حياة لمن تنادي .. إلى أن سأم من برودها وتركها وشأنها ..

نعم رامز من النوع الملول جداً وليس له مزاج لأن يناقش ويجادل ويسعى للوصول .. انتهينا أنتِ تريدين أن  
تظلين هكذا كما تريدين لن أجبرك ولن ألتفت لك .. هذه فلسفته وهذا عقله ولا يستطيع أن يجادل كثيراً .. لذلك  
ظل طوال الحفل يلوح لذاك ويلوح لتلك وأيضاً توجهوا جميعاً لحلبة الرقص وتوجه معهم ولم يكلف نفسه عناء  
أن يدعوها للرقص كمجاملة حتى .. فقط ترك ألمى وتوجه للرقص مع الشبان والفتيات .. وما أجمل هذا الحفل  
بوجود الفتيات الحسنات وخصوصاً إن كان الوضع كوضع رامز بسبب ألمى ..

بينما سامي ولينا كانا جالسان في المنتصف ويتحدثان ويضحكان ويمازحان بعضهما وليس وكأنهما خطيبان  
وسيصبحان زوجان عما قريب ..

الحفل كان جميل ومنظم والجميع يرقص بفرح ماعدى شهد التي كانت جالسة ومكتئبة .. لقد دعونها الفتيات  
لكي ترقص معهن ولكنها رفضت وفضلت الجلوس والمشاهد فقط ..

بينما زياد كان جالساً ولا ينظر لأي أحد غير شهد .. وكلما أتت عينه بعينها توجه له نظرة حقد وتشيح بوجهها  
عنه فوراً .. مما جعله حقاً يئس منها ومن تصرفاتها ليشيح بوجهه وينتبه لصديقه الذي يدخل من باب الصالة  
وبرفقته زوجته ..

ابتسم باتساع فهو لم يتوقع قدومه أبداً لأنه يعلم أنه لا يفضل كثيراً التواجد وسط المناسبات والأفراح إلا لأفراد  
عائلته فقط ..

نهض وتوجه له فوراً ليستقبله بذات نفسه ويحتضنه ويقبله فهو لم يراه منذ وقت طويل .. ومن ثم ألقى التحية على زوجته التي ابتسمت له ..

توجه بهما لطاولة الجلوس وخصوصاً على طاولة عماد والد زياد ليقول زياد بحماس:  
..أبي ألم تتعرف على هذا الرجل الخطير..

نظر له عماد من رأسه إلى أخص قدميه ليرفع حاجبيه بتفاجئ ويقول فيما بعد:  
..وهل يخفى القمر، (سامح الأزهرى بذاته)..

ابتسم سامح باتساع وتوجه ليلقي التحية عليه باحترام وتوجيب ومن ثم تحدث زياد:  
..وهذه زوجة سامح الثانية (سارة)..

ألقت أيضاً سارة التحية عليه وعلى رائدة وجميع من كان جالساً حول الطاولة ليقول عماد بتفاجئ:  
..متى تزوجت الثانية ياسامح..

ضحك سامح قائلاً:

..منذ زمن ياعم..

همهم له عماد ودعاهما للجلوس ليجلسا بينهم وعما مبتسمان ليقول عماد:  
..لم أراك منذ زمن، أين أنت يارجل..

أجابة سامح مبتسماً:

..تعلم مشاغل الحياة ياعم..

همهم له مبتسماً ليسأله:

..وكيف حال زوجتك السيدة جيداء..

تلاشت ابتسامة سامح عندما سمع باسم جيداء لتنتظر له سارة بحزن ولم تتحدث .. ابتسم فيما بعد حزن قائلاً:  
..لقد توفيت منذ سنتين تقريباً ياعم..

الجميع شعروا بالاستياء لهذا الخبر فهم كانوا على معرفة بجيداء ويعلمون كم أنها كانت امرأة ذات حسب ورزينة واجتماعية .. وطبعاً لم يعلمون بما حدث من أحداث عندما بدأت قصة سامح وسارة ..

بدأ الجميع يواسونه وهو بدوره يستقبل كلامهم بابتسامة حزينة .. لم يرى أنه من المعقول أن يريهم حزنه لذلك فهو قد أتى للمباركة وليس لمقت أحد .. حزنه عليها يبقى في قلبه وإلى الأبد وتلك السمراء الناعمة تبقى هي ملاذه وطيبته من جراح ووخزات الحياة ..

زياد كان ينظر لسامح وسارة كيف أنهما يليقان جداً لبعضهما .. غير ذلك هالة الحب تحيط بهما فقد بدى له نظرات الحب بينهما ..

تمنى لو أنه كسامح تماماً هو أيضاً يجاهد ويحارب لأجل أن يكسب حب حياته ويحظى بوصول شهد .. فهو يعلم بكب قصة سامح ويعرف جيداً ما عاناه وما مر به للوصول لحبيبته ..

ابتسم له سامح عندما انتبه أنه ينظر له ولسارة ليغمز له بمعنى تعال ليستأذن وينهض برفقته ويقفان عند باب الصلاة ..

اتسعت ابتسامة سامح وهو يضع يده على كتف زياد قائلاً:

..ها يا صديقي القديم حدثني كيف حالك مع العشق..

ابتسم زياد بسخرية قائلاً:

..يلعب بي، يوقيني وينهضني، يرميني ويعود ليحتضني..

نعم سامح يعلم كم أنه يعاني بسبب تلك الصغيرة التي تدعى شهد والتي لم يراها إلى الآن .. وضع يديه في جيوبه ليقول بفضول:

..حجاً الله أرني هذه الفتاة التي قلبت موازينك وجعلتك تعشقها هكذا..

أشار له زياد على شهد التي كانت جالسة وشاردة ليتعمق سامح بالنظر لها ومن ثم يبتسم قائلاً:  
..جميلة..

لم يعلق زياد ليقول سامح:

..ماذا يحدث معك حدثني..

رفع زياد كتفيه بعدم معرفة ليقول:

..صدقني لم أعد أعلم أي شيء، أنا شخص سيء أم جيد. خنت ابني وجرحت زوجتي ودمرت حياة شهد  
بتصرفاتي والأعيب، لا أعلم في هذه اللحظة من أنا، أحياناً يؤنبني ضميري على ما اقترفته بحق ابني وأحياناً  
أخرى أكون أناني ولا أفكر سوى بقلبي وبتخاذي لها..

ابتسم سامح وقال:

..أنت وصلت لأقصى درجات الضياع يارجل..

حرك رأسه موافقاً ليقول:

..أجل، ضائع وتائه بين ابني وزوجته، تائه بين عقلي وقلبي، تائه بين ضميري وأنايتي، لا أعلم ما آخرة طريق  
شهد وقلبي وأنايتي صدقني..

عقد سامح حاجبيه وضم يديه إلى صدره قائلاً:

..أنت سمحت لنفسك أن تحبها وتضع نفسك في هذا المأزق، لما تعلقت بها زياد..

ابتسم بحزن مجيباً:

..لم أتعلق بها، أنا عشقتها، ثم أنك أنت آخر شخص يتحدث هكذا وأنت تعلم ماقصدي..

ضحك سامح وهو يحرك رأسه موافقاً ليقول:

..معك حق، ولكن سؤالي لما عشقتها..

زياد مجيباً بابتسامة:

..لم تشبه أحداً، هناك شيئاً أبهاها مختلفة، أتعلم يكفيني أن أراها لتستيقظ كل خلايا جسدي..

ضحك سامح قائلاً:

..أنت تشعرني بالتناقض..

أجابه زياد:

..كل الآلام تجتاح قلبي، أنا منهنك بكل معنى الكلمة يا صاح..

قالها بحاجبين معقودين وبتملّل لينظر لشهد ويسرح بها لبيتسم زياد ويرمش ببطئ وهو يطالع هيئته وحاله .. لطالما عرف زياد وعرف تفكيره وعرف جيداً أنه أقوى منه إن كان بمشاعره أم بضربات الحياة .. لم يتخيل في يوم من الأيام أن يصل زياد إلى هنا ويشتكى آلامه وأوجاعه وخصوصاً بسبب الحب ..

حدثه سامح ببرود:

..اتركها زياد، بالنهاية هي ليست لك، هي لزين..

ابتسم بمرارة مجيباً إياه بتعجب:

..لما لم تدع سارة لابنك في ذلك الوقت، أكنت واعٍ لما يحدث لك! أكنت تستطيع التحكم بمشاعرك والابتعاد عنها، أنت حتى ضربت كل السنين التي قضيتها مع زوجتك الأولى وعشرتك معها بعرض الحائط ولم تهتم والتفت لقلبك الذي أخذته تلك المرأة الجالسة هناك، أنت تقل لي دعها وشهد تقول لي دعني وسلمى رأيها مثلكما ولكن أعود وأقولها للمرة المائة لا أستطيع، شيء ما بداخلي يمنعني من تركها، لقد وقعت بالحب بشكل كارثي، ذلك الحب لا يبحث عنه، ولا يخطط له، لا يصنع ولا يخلق، الحب يختارك، يضرب قلبك في غارة خاطفة لم تسبقها صفارة إنذار وهو الشعور غير المبرر الذي يبطل عندما نجد له أسباباً، هل فهمت..

بالرغم من أن زياد نبش بأوجاع سامح عما فعله في السابق بحق تلك التي أصبحت عند الرفيق الأعلى .. إلا أنه حقاً يشفق عليه .. ويعلم جيداً أنه لا ذنب له بحبه لها ولكن ومع كل ذلك هي لن تكون له .. فقط يريد أن يحاول إقناعه ..

حدثه سامح:

..أعلم ما تكابده من عناء وألم وأفهم شعورك جيداً، ولكن حالي ليس مثلك أبداً، أنا كنت أناني أجل، جرحت ابني وخنثت زوجتي ولكنني في وقتها وعندما وقف الجميع ضدي لأجل حبي لها شعرت تماماً كما تشعر الآن وحدثت نفسي بما تحدثني أنت الآن، وتزوجتها، تغاضبت عن كل شيء وتزوجتها ولم أكن أبهاً لأحد، ولكن أنت يازياد، أنت لا تستطيع أن تتزوجها حتى وإن تركها ابنك، دعها تستقر وتعيش معه وابتعد قدر الإمكان، لإنك لن تحصّل شيء سوى الهزيمة والندم في آخر المطاف..

إلى حد الآن لم يفهمه أحد .. أجل سامح عشق وتألّم ولكن ليس مثله .. لربما هو حالته أصعب بسبب معرفته أن شهد لن تكون له .. سامح كان يحارب ليكسب سارة أم زياد فهو يحارب الدنيا أجمع لأجل شهد ولكنه لن يكسبها ..

أردف له سامح بحنكة وروية:

..دع الحب يفعل بك مايشاء، دعه يحرقك تماماً، دعه يحيلك إلى تراب ورماد فمن روح هذا التراب ستعيش مجدداً..

نظر له بشرود ومن ثم ابتسم بألم ليحرك رأسه موافقاً ويتنهد بقوة ولم يجيبه ليقول سامح:  
..أنا يجب ان أذهب فطفلاي بمفردهما بالمنزل..

حرك رأسه موافقاً ولم يناقشه بقصة بقائه أكثر وغادر سامح ويرفقه سارة التي أحبت جداً هذه العائلة  
وخصوصاً الفتيات ..

صعدا بالسيارة سوياً وتنهد سامح بقوة لتعلم سارة أنه منزح من أمر ما .. سألته بهدوء:  
..حبيبي ما بك..

ابتسم بخفة مجيباً:  
..لا شيء..

لم يعجبها حاله فهو فعلاً ظاهر عليه أنه منزح ليقول لها فجأة:  
..أذهبين للمقابر..

عقدت حاجبيها بتعجب قائلة:  
..الآن إلى المقابر..

حرك رأسه موافقاً لتقول هي:  
..سامح أنا أخاف من دخول المقابر في الليل..

ابتسم قائلاً:  
..لا تخافي من شيء، أنا معك..

ابتسمت بتردد وحركت رأسها موافقة لينطلق إلى المقبرة وتحديداً عند قبر جدياء ..

تلك المرأة التي ما إن رحلت حتى شعر بقيمتها .. في تلك الفترة التي قضتها جيداً عند سامح وهي مريضة كانت الأجل بالنسبة لها والأوجع بالنسبة لسامح .. فهو كان يراها تنطفئ وتذوب كالشمعة أمام عيناه غير قادراً على فعل شيء لها ..

بأثناها كان سامح يسترجع كل شيء فعله بها .. وحالما فقدتها فهم .. فهم لما هي كانت تفعل كل تلك الخطط لتحافظ على زوجها .. كانت تشعر بالضيق دونه .. تعلم أنه موطنها وأنها ساكنته وقد جرب شعورها عندما ماتت ..

فبتلك الأيام خلق شيء جديد خاص بهما .. شيء لا أحد يعلمه حتى سارة .. وكأنها تجددت كل المشاعر بينهما وعاد من جديد ..

يوم مماتها تجمدت أفكاره وتشتتت جميع المعطيات لديه ..

فلم يعد قادراً على إزاحة كثافة الغيوم التي لبدت سماء صدره .. فراغ غريب اعتراه فجأة وبدون قصد شعر بشعور غريب متناقض .. غضب .. حزن .. قهر .. هم .. إحباط .. فإس .. وبعدها انفجر باكياً بشهقات ملاً صداها عبر البيت ..

وصل لفترة من الفترات أصبح يمقتها على ما اقترفته من ذنب بحق سارة ولم يستطع بسماع سيرتها حتى ويوم مماتها ينهار باكياً عليها ..

يعلم أنه جرحها .. أنه هان أنوثتها عندما كانت ترى كيف هو يذهب لغيرها وأمام عينيها لذلك خرج منها هذه الأفعال .. أنه لربما ظلمها وقهرها إلا أنه ورغم كل شيء اشتاق للماضي الذي لن يعود .. ماض كان به معها وفي غرفتهما القديمة ووسادتهما التي احتضنتهما واحتصنت إمام ضحكات وإمام دموعيهما لسنوات طويلة ..

لربما هو قوي كالصخر وقاسي إلا أن دموعه شاهدة بأنه عكس ذلك .. ربما لأنه احتاج يوم مماتها أن يبكي بصوت مختنق في حضنها حزناً لموتها كيلا يسمعه أحداً غيرها ..

"وجئت إليك لا أدري لماذا جئت"

فخلف الباب أمطارٌ تطاردني - شتاءً قاتم الأنفاس يخنقني - وأقدامٌ بلون الليل تسحقني

وليس لدي أحباب

ولا بيت ليؤويني من الطوفان..

وجئت إليك تحملني

رياح الشك.. للإيمان

فهل أرتاح بعض الوقت في عينيك

أم أمضي مع الأحزان! وهل في الناس من يعطي

بلا ثمن.. بلا دين.. بلا ميزان؟"

بعد مغادرة سامح من الحفل لاحظ زياد أن شهد تتوجه نحو الحمامات وهي تبكي .. لم يتردد بلحاقها لذلك توجه خلفها فوراً ودخل ورائها ليراها تبكي بحرقة ..

تقدم ناحيتها بتردد قائلاً:

..مابكِ شهد..

جلست على الأرض وهي تبكي لتضع يديها على أذنيها وتقول:

..اصمت اصمت لا أريد سماع صوتك..

كان الباب مفتوح قليلاً وزياد واقفاً أمام الباب ليقلي نظرة إلى الخارج ويرى زين يراقص إحدى الفتيات ليتهد بضيق ويغلق الباب بغضب ويتوجه ناحيتها ليتخذ وضعية القرفصاء ويقول بهدوء:

..اهدأي لما أنت منهاره من البكاء..

نظرن له ببيكاء قائلة:

..كم من المرات يجب أن أقول لك كلمة أكرهك، كم من المرات يجب أن أدعك تفهم أنني أتمنى الموت ولا أتمنى أن تسمعي حرف واحد منك فقط..

نظر لها بتفاجئ وما لبث حتى تحولت نظرتة إلى لوم .. ألهده الدرجة باتت تمقته .. حسناً هو بدأ يصلح الأمور بينها وبين زين إذاً ماذا تريد أكثر من ذلك ..

حدثها بخفوت:

..انسي كل شيء حدث ولنبدأ من جديد..

أكمل ساخراً وبنبرة تخللها الضعف:

..أنتِ زوجة ابني وأنا عمك وكوالدك..

صرخت به بانهايار:

..لا أستطيع، لا أستطيع، أنت دمرتني زياد دمرتني وحرقت لي كل آمالي وأحلامي التي كنت أبنها مع زين، كله بسببك، كل ما أنا عليه الآن بسببك، بسبب مرضك، حقدك، هوسك، عقدك، لعنتك، أي لعنة أنت يارجل، صدقتي أنت كالمرض الخبيث الذي ليس له علاج أو دواء، الذي يجري بدم الشخص ويفتك به إلى أن يقضي عليه، أنت هكذا بالنسبة لي وهكذا فعلت بحياتي، من أين لزين أن يصدقني الآن ويعلم أن لا ذنب لي بكل ماحدث، من أين له أن يعلم أن زوجته لم تخنه إنما والده اللعين هو من أحبني ودبر لي أكثر من مكيدة..

كانت تتحدث بصراخ وهستيرية وكأنها تفرغ كل شحنة غضبها به لتردق قائلة:

..ماذا تفعل بحياتي أنت، إذهب ومت إذهب وخلص الناس منك وخلصني أنا أول الناس، إذهب وابتعد لا تري وجهك القبيح لأي مخلوق لإنك مقرف جداً، بشع، نتن..

صمتت قليلاً غير عالمة أن بكلماتها أي أثر كبير تحدثه في قلبه لتقول:

..أموت ألف ميتة ولا أنسى نظرات الحقد والاشمئزاز التي كان يوجهها لي ابنك في الأمس واليوم، كم أنه أذلني بظرف ساعة فقط، كم أنه جعلني أمقت نفسي حتى وأمقت الساعة التي تزوجته بها والساعة التي رأيتكم وتعرفت عليكم بها..

أنهت جملتها بضعف وبكائها يزداد ونحيبها يكثر لتقول:

..فليأخذك الله إليهِ، فليخلصني الله منك على ماوصلت له بسببك، الآن لا أعلم ما أصنعه، لا أنا أعلم إن كان زين سيدعني عنده ولا أنا عالمة إن كان سيرميني كالخرقة البالية، أصبحت نكرة بنظره وكله بسببك، و....

لم يستطع تحمل كلاماً أكثر من ذلك .. جنونه الذي يريد إظهاره هو حقاً يخشى عليها منه .. لأنه يعلم عز المعرفة إن جن جنونه لن تسلم منه .. حتماً ستكون منقولة إلى أول مستشفى .. قطع جملتها ليصرخ بها بصوت جهوري وهو يضرب رأسه بيديه:

..اصمتيبيبي..

صمتت وجفلت من صراخه وحتى أنها توقفت دموعها عن النزول وكأنها شلت عن الحركة ليقول بغضب وصوت هادر:

..ما الذي تريدني أن أفعله أكثر من ذلك، ماذا تريدني، لما تريدني أن أريكي أسوأ ما بي، لما تودين أن أصب عليك لعنتي التي لم تري شيئاً منها بعد، كفى انتهينا كفى اصمتي لا تتحدثي، كلامك يقتلني، يدمرني، يلعنني، ارافي بي قليلاً وبحالي، لم أعد أحتمل منك كل هذا العداء، أنا أحاول أن أصلح بينك وبين زين ولكن عند أول شجار بينكما أتيتي وأفرغتي شحنة غضبك بي، كيف سأصلح أموركما وأنا أسمع منك أسوأ الكلام، ألا تشعرين

أنت، أتظنين أنكِ وحدكِ المتألّمة والكارهة لحياتكِ بسبب نظرات الاشمزاز التي يوجهها لكِ ابني، حسناً حسناً عدي على يدكِ هيا عدي عدي..

اقترب منها بسرعة ليمسك يدها بيده التي ترتجف ليمد أول إصبع لها قائلاً بغضب وصراخ:  
..واحد، كنت ألعن قلبي مائة مرة في اليوم الذي أحببتكِ فقط بسبب كلامكِ اللاذع والموجع لقلبي..

مد إصبعها الثاني بعنف واعتصره بيده وهو يركز على أسنانه قائلاً:  
..اثنان، كنت أموت ألف مئة يوم تشتمين وتقولين عني مريض ومعد وأنني بحاجة لمصحة نفسية وطبيب نفسي..

مد إصبعها الثالث واعتصره وهذه المرة تأوهت بألم ليقول بحدة مفرطة:  
..ثلاثة، كنت أتمنى أن لا أعود إلى المنزل وتدهسني أي شاحنة ولا تبقي مني أي جزء بي على حاله فقط عندما كنت أتخيلكِ بأحضان زين..

أمسك بإصبعها الرابع ليضغط عليه ويقول:  
..أتريدين أن تعرفين ماذا أيضاً..

حركت رأسها بنفي وهي تكتم شهقاتها وعيناها جاحظة ليحرك رأسه موافقاً وهو يناظرها بابتسامة حادة ليقرب ودون سابق إنذار ويقبلها .. ولكنها لم تكن قبلة بقدر ما كانت عضة تؤلم شفيتها وتجعلها تبكي من ألمها ..

حاولت إبعاده عنها وهي تدفعه بقبضتها الصغيرة ولكنه لم يستجيب بل ظل يععضها وهو محاصراً إياها وضاعطاً على جسدها الصغير بجسده الضخم لتشعر بأنه يسحب أنفاسها عنوة ..

ابتعد عنها بعد ثواني لتشهق هي وتأخذ نفساً بسرعة وهي تشهق وتزفر بحدة ..

حالما التقطت أنفاسها حتى عاودت البكاء وبدأت تضربه على صدره بكامل قوتها وهو لا يفعل شيء فقط واقف أمامها كالصنم ..

أمسك يديها بيد واحدة واعتصرها ليجرها خلفه ويسحبها وهي تشتمه وتحاول التوقف ولكن عبث ليخرج فوراً من الصالة دون أن ينتبه له أحد ويتوجه بها إلى المنزل غير أبهاً بالحفل وبالذي أقام الحفل حتى ..

بينما هناك من كان يراقبهما وينظر لهما بحدة وقد استمع لحديثهما الذي دار لثُضْغَط الأسنان وتشتعل فتيلة الغضب وتثور والغيرة تنهش بالقلب ومن ثم النهوض لـ اللحاق بهما ..

---

بعد ساعة تقريباً

كانت تجلس على ذلك الكرسي الصغير والمقابل لسريره وهو يشرب النبيذ ..

ينظر لها بنظرات غريبة وكأنها مزيج من الغضب والألم والحب والشوق ومشاعر أخرى ..

وبسبب كثرة المشروب كانت عيناه حمراء فزادت مظهره هيبه ورعب جعلتها تبتلع ريقها بخوف .. حدثها بصوت عميق:

..إلى ماذا تنظرين..

نظفت حلقها قائلة:

..أريد الذهاب لغرفتي..

ابتسم بثمالة قائلاً:

..ومن يمنعك..

تحدثت بنفاذ صبر:

..أنت مقللاً الباب علينا زياد هيا انهض وافتحه لي..

ضحك بثمالة قائلاً:

..يا إلهي، ألم أقل لك أنني أعشق اسمي لأنك تنطقينه..

-كفاك وهيا افتح الباب، بعد قليل ستصل العائلة وإن وجدوني هنا ستحدث فضيحة..

ارتشف كأسه دفعة واحدة قائلاً بيروود:

..لا يهمني..

نفخت خديها بغضب ونفاذ صبر لتنهض بعنف وتحاول فتح الباب وتدير مقبض الباب أكثر من مرة وتضرب على الباب بقدمها ..

حركتها هذه كانت قاصدة أن ينهض ليفتح لها ولكن لا حياة لمن تنادي ..

استدارت لتقول بياس ونبرة باكية:

..أرجوك افتح لي الباب زياد، إن كنت تحبني..

ضحك بقوة وآثار الثمالة ظاهرة عليه لينهض ويمشي مترنحاً قليلاً ليصبح مقابلاً لها قائلاً:

..أتعلمين كم انتِ مراوغة، عندما تريدن شيء مني تقولين إذا كنت تحبني..

حركت رأسها بنفي لتقول:

..أنا أريد أن أذهب لغرفتي..

أمسكها من رسغها متجاهلاً كلامها ليعيدها ويجلسها على الكرسي ليضع يديه على كتف الكرسي ويسجنها بين يديه قائلاً:

..أنتِ تحبيني أليس كذلك..

حركت رأسها بنفي وتلك النظرة البريئة التي كانت ترسلها له جعلته يود لو يأكلها ..

ابتسم بخمول:

..كاذبة، أنتِ تحبيني وتحبين أن أخضع لكِ دوماً وتصبحين لي صحيح..

تحدثت بغضب:

..لا، ليس صحيح..

ضحك عليها:

..ألم تقولينيها لي في ذلك اليوم..

عقدت حاجبيها مستفسرة:

..ماذا قلت لك..

اقترب و همس بأذنها بشكل جعل قلبها يرتجف:

..قلتي لي أحبك همم..

همهم في آخرها وعض رقبتها بشفتيه لتبتعد عنه وتحاول إبعاد يديه عن الكرسي وتنهض ولكن عبث ..

نظر لها بعمق ليقول بصوت رخيم:

..أنتِ تحبيني وستكونين لي..

حركت رأسها رافضة ليردف:

..بلى وستكرهين زين وتنسينه ولن تفكرين بأي شخص سواي..

أيضاً حركت رأسها بنفي ليمسكها من معصمها بحركة سريعة ويضغط عليهما وينهضها ليقول بهمس حاد:

..عندما أقول لكِ شيء تسمعينيها وتستجيبين له أفهمتي..

ابتلعت ريقها بخوف ورضخت له ووافقتة فقط من أجل إسكاته ليبتسم بثمالة ويقول:

..رائع، متى سنتطلقين من زين..

عقدت حاجبيها باستياء لتقول بخفوت:

..أرجوك، وغلاتي في قلبك دعني أذهب إلى غرفتي، لقد تعبت منك، دعني وشأني فقط..

ابتسم على كلامها ليحرك رأسه موافقاً وهو مسترسلاً بها كثيراً غير عالماً شيء عن واقعه قائلاً بثمالة ونبرة عاشقة:

..وتظن اني قد أميل لغيرها أني وقلبي مكتوب باسمها، أنا ماشربت الحب إلا مرة والكل بعدك كأسه مسكوب..

تجاهلت كلماته وأبعدت يديه عنها وهو لم يعارض لتمد يدها على جيب بنطاله وتسحب المفاتيح وما إن سحبتهم حتى أمسك يدها وضغط عليها لتقول:

..سأظل أرجوك لتفتح لي مثلاً، أرجوك هيا..

-قولي أنك تحبيني وسأفتح لك الباب..

حدثته بانفعال:

-كيف سأقولها لك وأنا لا أحبك..

قرب وجهه من وجهها ليكز على أسنانه قائلاً بغضب وإصرار:

..قولها وسأدعك تذهبين..

أجابت بعناد و حدة:

..لا أحبك ولا أطبقك هل تفهم..

دفعها لتسقط على الأرض وهنا بدأت نوبة غضبه .. إذ أنه لم يترك شيئاً في الغرفة سليم إلا وحطمه وصار  
أشلاء ..

بينما شهد فقد أرعبها مظهره وجنونه لذلك جلست في الزاوية ووضعت يدها على فمها وبدأت تبكي وهي تتابعه  
كيف يجن ويصرخ ويحطم إلى أن قلبت الغرفة رأساً على عقب ..

-----

بينما في الخارج كانت سندس واقفة أمام الباب وتستمع لكل كلمة قيلت وقد علمت من الحديث ماذا يحدث مع  
زياد ومن هي التي عشقها وجعلته منقلب الحال هكذا ..

وهي أيضاً من كانت تستمع لكلامهما في الصالة ولحقت بهما بعد ان أشعلت نار الغيرة في قلبها ..

حدثت نفسها بتوعد والغيرة تنهش بها:

..والله يزياد لن يطلع عليك صباح وسأحدث العائلة بكل شيء وسترى..

أنهت جملتها متوعدة وتوجهت فوراً إلى غرفتها حالما استمعت لصراخ زياد من الداخل مجدداً ..

"ربما لم أستطع أن أشرح لك كيف أحبك أو ربما أنت لم تفهمي، ربما يصعب عليك ذلك .. حسناً ..

سأخبرك شيئاً ما .. كلما أوجعتك الحياة أو اختطفك الحزن أنا كنت أشعر أنني لا شيء في هذه الحياة، كنت أحبك بالحجم الذي أتمنى لو تصيبيني الأوجاع والأحزان قبل أن تصل إليك"

---

صفعة مدوية وقوية هبطت على وجنته ليشهق كل من كان بالمجلس وذلك الإعصار يتجمد بمكانه محاولاً  
استيعاب ماحدث ..

صرخ عماد به قائلاً:

..أيها اللعين، أليس لديك شرف، هذه زوجة ابنك وتضع عينك عليها وتقضيها غراميات معها وعلى زوجتك  
وابنك، أفهمني أنت واعٍ لما كنت تفعله! أواعٍ لما صنعتها! لقد دمرت حياة ابنك..

أنهى جملته وهو يكور قبضته ويضربه على صدره .. بينما زياد فكان واقفاً كالجماد لا تصدر منه حركة سوى  
النظر بذهول له ..

وسط ذهول الجميع استفاقت السيدة رائدة من صدمتها لتحاول التدخل قبل أن يحدث شيء من قبل زياد ليس  
بالحسبان قائلة:

..اهدأ عماد أرجوك اهدأ، لا يجب أن تتفعل هكذا، ثم أننا لم نفهم أي شيء من زياد وليس لدى سندس أي دليل  
على ماقالته..

احتدت نظرة عماد ليصرخ بها:

..ما الذي تريدين أن ننتظره ها، ألا يكفيك التسجيل الصوتي التي أسمعتنا إياه، أليس هذا الصوت صوت ابنك  
وذاك حديثه عن شهد وعشقه لها، ماذا تريدين أكثر من ذلك..

صرخ بغضب هادر في آخر جملته لتغمض عيناها بقوة وجفلة ولم تتحدث ليوجه عماد حديثه لزياد الذي  
مازالت الصدمة محتلة ملامحه:

..اسمع أيها الحقيير، ستخرج من العائلة ولن تري وجهك بعد الآن، وبالنسبة لشهد ستدع ابنك يطلقها، فإن ظلت في منزلك لن تتخلص من مرضك وعهرك وأفعالك الرخيصة أتفهم..

ظل زياد ينظر له بغضب وعينان حمراء وحادة وكأنه على نقرة واحدة وسينفجر بوالده .. أردف له عماد بغضب:

..ستفعل ما أقوله لك وإلا والله يازياد فسأقول لزيين كل شيء وأدعه يعرف حقيقتك..

في آخر جملته ابتسم له زياد بحدة ومن ضحك ضحكة رنانة ليصفق بيديه ببطئ ومن يقول:  
..هل انتهيت من موشحك أبي..

-ما قلة حياؤك ياولد، الغلط متلبساً بك من فوقك لتحتك وأنت ترد علي بهذه الطريقة، ماذا تظن نفسك..

كز زياد على أسنانه ليقرب وجهه من وجه والده ويقول بهمس حاد:

..لو لم تكن والدي ورجل كبير بالسن فكنت سأفعل العجب بك وأعلمك كيف تتحدث إلي، ولكن الذي يربطني هو أنك والدي، عموماً لن أقول لك أنك رجل مريض ومعقد فقط سأقول أنك بئس الآباء الذين ربوا أبنائهم لإنك وطوال الخمسين سنة التي تزوجت والدتي بها وأنجبتنا لم تعرف ما معنى التربية لتعطيها لابنائك..

كز على أسنانه ليرفع يده ويصفعه مجدداً ولكن زياد أمسكها وأوقفه عن فعل ذلك ليردف له بحدة:

..لا تتحدث عن الشرف والأخلاق، بالنهاية أنا ابنك من صلبك وهذه تربيتك لي، وأجل أنا أحب زوجة ابني وإن كنت في السابق أريد إصلاح الأمور بينها وبين ابني فالآن والله لن أدعها عنده، وبالنسبة لخروجي من العائلة فللجيم السابع لست مهتم لك ولعائلتك اللعينة هذه..

نتر يد والده وعماد مذهول مما يسمعه من ابنه ونظرة الضعف والقهر بانته في عيناه ليبتعد زياد ويخرج وقبل خروجه استدار وتحدث بتوعد محاولاً إرضاء عنجهيته مخرجاً غيظه وقهره من فعل والده:

..لن ترى الراحة بعد الآن أنت وأولادك وسترى ما أنا فاعل بكم فقط على هذه الصفة التي تلقيتها منك..

أنهى كلامه وخرج من المنزل بأكمله صافعاً الباب خلفه بقوة وما هي إلا دقيقتان حتى كان عماد واضعاً يده على قلبه ويعتصر ألمه بقوة ليترنح أرضاً ويغيب عن الوعي تحت صرخات الجميع وخوفهم عليه .. وبطرف ربع ساعة كانت سيارة الإسعاف تنقل عماد الوكيل إلى المستشفى ..

حسناً في الواقع وفي ذلك اليوم عندما كانت شهد في غرفة زياد وعندما بدأ غضبه وجنونه بسرعة البرق شهد خرجت قبل أن يطالها شيء من غضبه .. لم تنتظر ليأذن لها بالخروج وإنما أخذت المفاتيح التي كانت ملقاة على الأرض وفتحت الباب وهرولت سريعاً إلى غرفتها والإقفال على نفسها ..

الجميع تعجب من ترك زياد للحفل هو وشهد ولكنه لم يحدثهم بشيء عندما سألوه .. بينما سلمى فيوم رأته هذا المنظر والغرفة المقلوبة رأساً على عقب فوراً شهقت وذهبت لتطمئن على شهد ..

أما زين فهو لم يعلم أصلاً أن والده وزوجته قد تركا الحفل لأنه كان ملتفتاً للفتيات والرقص معهن ..

وبعد يومان من مغادرة العائلة قررت سندس التحدث والإفصاح عن حقيقة زياد وقد أسمعتهم التسجيل الصوتي الذي سجلته مما جعل الجميع يصعق من هذه الحقيقة الكارثية .. فسندس خافت أن تسمعهم التسجيل عندما كانت في منزل زياد لذلك قررت أن تعلمهم بكل شيء حالما يعودون إلى منازلهم ..

وبالفعل فعلت فعلتها سندس وأحدثت كارثة إلى أن بعث عماد طلب بزياد وأتى إلى والده وحدث ماحدث ..

---

لم تكفيه صدمته وقهره وغله وغيظه من والده حتى حالما وصل إلى منزله رأى رجال الشرطة تحاوط منزله ليدخل إلى المنزل فوراً وقلبه يعلو يهبط .. ليرى رجال الشرطة وهم يحاولون سحب شهد وهي تتخبط وتبكي وتقسم لهم انها لم تفعل شيء وزين واقف يتابع المنظر بغل وتشفي وسلمى تبكي ..

اقترب منهم بسرعة ليقول بغضب:

..ماذا يحدث هنا..

تحدث أحد رجال الشرطة:

..زوجة ابنك متهمة بسرقة مجوهرات زوجتك..

صجم من حديثه ليجيب بتشتت:

..م من قال لك أنها سرقت ثم أن من أخبركم بالسرقة..

وبدلاً من أن يجيب الضابط أجاب زين:

..أنا أخبرتهم..

-وكيف تخبرهم وأنت لست متأكد من أنها هي السارقة..

أجابه بنيرة متوعدة:

..هي سرقت المجوهرات ياوالدي العزيز، أُمي فقدت مجوهراتها وأنا وجدتهم في خزانة شهد، ماذا تسمي هذا، أليس سرقة..

حدثه زياد بغضب وصراخ:

..لا ليس سرقة واصمت قبل أن أحطم وجهك أفهمت، وحسابك فيما بعد لهذا التصرف الذي تصرفته..

-هدأ من روعك أبي فأنا من لديه حساب معك وليس أنت..

نظر له بتعجب وقلبه يعلو ويهبط ليبتلع ريقه بتوتر مخافة من أن تكون سندس قد أرسلت التسجيل الصوتي أيضاً لزين وسبقت عماد في فعلتها ..

تحدث أحد من رجال الشرطة:

..نحن لسنا متفرغين لنقاشكم هذا، سنأخذ الفتاة ونحقق معها، ابتعد عن طريقنا..

وقبل ان يسبوا تحدثت شهد ببيكاء:

..عمي أرجوك قل لهم أن لا يأخذوني، والله لم أسرق شيئاً والله..

ابتلع زياد ريقه ليقول بلهفة:

..لا تخافي شهد أنا معك حبيبتي لا تخافي..

وسحبها رجال الشرطة وهي تتخبط وتتلوى وتقسم أنها لم تسرق شيئاً ليلحق بها زياد وقبل أن يخرج من المنزل صرخ زين به قائلاً:

..أجل إلحق بها و قف بجانبها، حبيبة قلبك هذه وزوجة ابنك التي تضع عينك عليها..

نظر له زياد بحدة ليقول:

..قسماً بالله حالما أخرج شهد من هذه الورطة سأحطم رأسك، سترى يازين..

ابتسم زين ببرود وتوجه نحو غرفته غير أبهاً بتهزيئات والدته وطلبها ليتنازل عن أقواله بحق شهد ..

-----

في الفرع وتحديدأ في مكتب الضابط الذي وكل العناصر بجلب شهد إليهم .. كان زياد جالساً عنده يحاول قدر الإمكان إخراج شهد من هذه المصيبة ..

حدثه زياد بلهفة:

..هي بريئة حضرة الضابط، ليس لها علاقة بما حدث صدقني..

أجاب الضابط بجدية:

..لا أستطيع فعل شيء لك ياسيد زياد، سنحقق معها ونعلم منها كل شيء، غير ذلك ابنك وجد المجوهرات في خزانتها وهو من اتصل بنا للقبض عليها..

أجابه بانفعال:

..أجل ولكن هذا ليس سبباً كافياً لكي تسجنوها، ثم أن صاحبة العلاقة لم تدعي عليها والتي هي زوجتي..

ابتسم ببرود مجيئاً:

..ولكن المجوهرات وجدناها في خزانتها، حتى لو لم تدعي عليها، هناك شخص في المنزل رأى السرقة واتصل بنا ونحن تصرفنا بحكم عملنا..

كز زياد على أسنانه ليحاول الهدوء من روعه ليجيب:

..ألا تحل هذه المسألة بالأموال، أن أدفع لها كفالة مثلاً..

أجاب الضابط:

..تستطيع ولكن يتبقى الحق العام..

زياد:

.. وإن جلبت ابني لكي يسفط عن حقه وجلبت لكم زوجتي لكي تقول أنها لا تريد أن تدّعي عليها، تخرجونها اليوم!..

تنهد الضابط قائلاً:

..بغض النظر عن أنني أرى لهفتك عليها والمفروض أن أرى اللففة من زوجها والذي هو ابنك ولكن شهد لا تنام هنا بحالة واحدة فقط، هي أن يأتي ابنك ويسفط عن أقواله وعندها سيسجن عوضاً عنها وهي تخرج، وإن دفعت له الكفالة فأيضاً سيتبقى الحق العام..

ابتلع زياد ريقه بصعوبة عندما سمع بجملته ليحرك رأسه موافقاً ويقول:

..حسناً وكم سيسجن ابني بهذه الحالة..

الضابط:

..يعني من شهر إلى شهران تقريباً بسبب ادعائه الكاذب..

نفخ زياد خديه وحرك رأسه بياس ليستأذن من الضابط ويتوجه إلى المنزل فوراً .. بينما ذلك الضابط الذي يدعى ميسم فقد أمر رجل من رجاله لكي يأتيه بشهد ويستمع لأقوالها ..

---

..ستذهب إلى الفرع وستسقط عن أقوالك وستسجن بدلاً عنها هل سمعت..

حدثه بصراخ ليصرخ زين بالمقابل:

..لا لم أستمع ولن أسقط عن أقوالي وسأدعها تقضي عدة سنوات في السجن تلك اللعينة، عاهرتك أنت، وأنت لست أنظم منها، كلاكما بنفس الدنائة والحقارة..

هبط عليه بالصفعة القوية لتجحظ عينان زين وينظر له بذهول واضعاً يده مكان الصفعة .. بينما زياد فقد ندم وحاول التهرب من نظرات ابنه .. ف فوق ذنبه الذي اقتترفه بحق ابنه أيضاً يضربه ..

حدثه زين وهو مازال على وقفته وصدمته:

..تأكد أنك لن تحظى بها، ولن ترى وجهي بعد اليوم إلا وأنا أت لك بمصيبة..

أنهى كلماته وعيناه تلتصق بالدموع ليخرج من المنزل متجاهلاً نداءات والده قائلاً بقهر:  
..زين عد إلى هنا قبل أن أحطم رأسك، تعال لا تخرج وإلا سأعاقبك والله يازين سأعاقبك، لن أحدثك وسأقطعك  
لساعتين كما كنت أفعل في السابق هل سمعت..

أنهى جملته ببحه رجولية مليئة بالقهر والوجع والغصة لينتفت زين ويقول:  
..لم أعد ذلك الطفل الصغير الذي يرتمي بأحضانك كلما واجهته قصة تجعله يائس وحزين أبي، أنا الآن مع كل  
غصاتي وحزني الذي مر علي في صغري لا يساوي شيئاً أمام حزني وقهري منك الآن بسبب خيانتك لي..

خرج من المنزل وتجاهل باقي كلمات والده وغصته التي باتت واضحة له ولصوته الذي امتلئ باسمه وقهره  
منه وعليه .. وكأن زين قد رد على فعل زياد مع والده وفعل مثلما فعل تماماً .. نفس القهر ونفس الوجع ونفس  
الغصة ..

---

في الفرع

كانت جالسة مقابل الضابط وهو يحاول أن يأخذ أقوالها ولكنها لم تجيبه سوى بالبكاء والدموع ليجزم حقا أنها  
سببت له الصداع ..

تنهد بقله حيلة قائلاً:

..شهد، حدثيني بكل شيء..

شهقت ببكاء لتقول:

..بماذا سأحدثك..

ابتسم قائلاً:

..بكل شيء حدث، كيف وصلت المجوهرات إلى خزانتي إذا كنتي فعلاً بريئة ولم تسرقين شيء..

-والله لم أسرق شيء صدقتي سيدي..

-حسناً صدقتك ولكن بمن تشكين، من الذي له مصلحة أن يضع المجوهرات في خزانتي ويتهمك بها..

هي تعلم أن زين هو من لفق لها هذه التهمة بعد أن علم بحقيقة والده وبالتسجيل الذي سمعه من سندس يوم كانت تتنصت عليهما وتسجل كل الحديث الذي دار بينهما ..

ابتلعت غصتها قائلة بخفوت:

.. لا أعلم ولا أشك بأي شخص..

تنهد الضابط بيأس قائلاً:

.. لم تفيديني بشيء ياشهد وبهذه الحالة سأضطر لسجنك..

شهد ببكاء:

..ولكني لم أفعل شيء..

-بالمناسبة ما اسمك الكامل..

-شهد محسن..

عقد حاجبيه قائلاً:

..هل تعرفين شادي محسن..

-أجل إنه أخي..

وتحت ذهول وصدمة الضابط قال:

..أخاكي..

حركت رأسها موافقة لبيتسم هو فيما بعد قائلاً:

..إنه صديقي..

وأيضاً حركت رأسها موافقة ولم تعلق لينظر لها لبرهة بتأنيب شاعراً أنها فعلاً بريئة ومظلومة ليتنهد بعدها ويقول:

..حسناً شهد، أخبريني بكل شيء، أنا متأكد أنك بريئة و وعد مني أن أخرجك من هذه الورطة شرط أن تحدثيني بكل شيء، وعندما أقول كل شيء فأنا أعنيها جداً، وستقولين لي لما تلك الלהفة التي بدت من السيد زياد، وثقي بي جيداً لن يعلم أحد بأي شيء حتى أخيك لن أحدثه بشيء اتفقنا..

نظرت له بتردد ليقابلها بنظرة كلها تشجيع وإصرار وثقة لتتنهد وتبدأ بعدها بسرد كل الأحداث التي حدثت معها بكل طلاقة وعفوية ..

"لن أتسول منك الحب .. ولو بلغت إليك من الفقر عتياً فلا أسوأ من أن أمني عليك ..

كيف ينبغي لك أن تحبني .."

---

كان واقفاً أمام باب منزل أخاه ليجري اتصالاً هاتفياً سريع وماهي إلا دقائق وخرجت تلك الفتاة راكضة نحوه وهي تبكي لتحتضنه سريعاً ..

ابتعد عنها قليلاً ليكور وجهها البريء ويقول:

..صغيرتي مابك، لماذا تبكين..

تحدثت باكية:

..عمو، أبي لم يعد يريد أن أحدثك ولا أن أراك أبداً، هكذا نبه علي وعلى أختي أيضاً..

ابتسم ببرود قائلاً:

..ولكنك تريني الآن، وها أنا واقفٌ أمامك..

أريح بنبرة باكية:

..أجل ولكنني لن أستطيع أن آتي إليك متى ما شئت ولن تستطيع أن تزوجني لزين..

ضحك بخفة قائلاً:

..إن لم أزوجك لزين فسأزوجك لرجل قوي وشجاع وسيحميك من كل شيء، اتفقنا..

حركت رأسها موافقة وهي تحاول كتم شهقاتها ليقربها له ويقول بحاجب مرفوع:  
..أنا الآن أريد منك خدمة..

ابتسمت بوجهها الباكي قائلة:

..أنا أحب أن أساعدك بكل شيء عمو..

اتسعت ابتسامه زياد ليقول:

..حبيبة قلب عمو أنت، اسمعي ما سأقوله لك..

وبدا يقص عليها كل شيء يريد منها ويعلمها ما الذي ستفعله لكي يصل إلى مبتغاه ..

-----

بعد ساعة تقريباً وبعد أن نفذت أريج ابنة وائل شقيق زياد كل شيء بالحرف .. كان واقفاً أمام منزلها منتظراً أن تفتح له الباب فقط .. وما إن فتحت حتى جحظت عيناها وحاولت إغلاق الباب في وجهه ولكنه وضع قدمه عند عتبة الباب كي لا تغلقه ..

وبحركة سريعة دفع الباب لتعود سندس هي عدة خطوات للوراء وهو واقفاً ومستنداً على طرف الحائط عاضاً على شفته السفلى ومبتسماً لها بشر ..

ابتلعت ريقها حالما رأت الشر الذي يتطاير من عيناها والابتسامه الخبيثة ظاهرة على ثغره ليدخل ويغلق الباب بكل روية ويقفله ببطئ داباً الرعب بأوصالها من تصرفه ..

فهذه هي خطة زياد .. جعل أريج تذهب إلى منزل سندس وتسحب والدها وأختها الصغيرة من المنزل دون أن تعلم بشيء .. فقط فعلت مثلما أمرها زياد .. وهي بدورها نفذت وبالفعل استطاعت أريج بغنجها ودلالها على والدها أن تدعه ينهص ويجيء معها إلى منزل عبير .. فالمسافة بين منزل عبير ومنزل سندس قريبة جداً .. ونبه عليها أن تلهيه قدر المستطاع ..

اقترب منها عدة خطوات وهو واضعاً يديه في جيوبه وكلمها اقترب تعود هي للخلف قائلاً:

..والله وأصبح لك لسان ينطق وأفعال تخرج منك يا مدام سندس..

حركت رأسها بنفي لتقول مبررة والخوف متمكن منها:

..أنت فهمت القصة غلط زياد، أنا لا شأن لي ولم أقل شيئاً لأحد صدقني، عبير هي من فعلت ذلك، هي هي فعلت ذلك صدقني..

همهم لها بابتسامة واسعة ليقف وتقف هي حالما وقف ولم يعد يتحرك ظناً منها أنه قد صدقها بكل سداجة ..  
وبجزء من الثانية كانت على الأرض بسبب تلك الصفعة التي هبطت على وجنتها جعلتها تشعر بطنين في أذنها  
من عزم الصفعة ..

احتدت نظرتة ليمسكها من شعرها ويوقفها ليقول:

..أظننني أحقق لكى أصدق أكاذيبك، أنا زياد ياسندس، أم أنك نسييتي كل تلك الأيام التي قضيتها معي، نسييتي أفعالي وأساليبي وتفكيري وعقليتي ها..

احتدت نظرتها لتكز على أسنانها محاولة التحرر من قبضته قائلة:

..كما أنت سافل فأنا أيضاً مثلك، وأنت قلتها لعشرتك وبسبب مخالطتي بك أصبحت سافلة مثلك، هل سمعت..

شد يده على شعرها أكثر مجيباً:

..أصبحتي سافلة مثلي أم الغيرة والمرض والهوس قد أعمى بصيرتك وجعلك تتصرفين ذلك التصرف، أظننن نفسك أنك ربحتي الآن بعد أن فضحتيني أمام العائلة، أظننن أنني سأكف عن حبي لها، سأستمع لوالدي وأبتعد عنها، سأتوقف عن عشقي وهوسي بها، هاااا أجيبني أيتها اللعينة..

صرخ في آخر جملته وهي تتلوى وتتأوه من وجعها لتقول بنبرة متألّمة وحادة:

..أيها الحقير اتركني، لست مريضة مثلك ولا أغار عليك لكي أفتعل ذلك، أنا فقط فعلت ذلك كله لأجل تلك الصغيرة ولكي تتخلص منك..

ضحك بقوة ليقول:

..وهل ظننتي أنك هكذا ستخلصينها مني، حسناً يامدام سندس، حسناً يا ابنة الأكاير، حسناً يا صاحبة الماضي المشرف، حسناً يا ابنة الملاهي والعهر والدنائة، حسناً يا ابنة الراقصة المشهورة زبيدة..

ضحك في آخر جملته وهو يقولها بحالمية وبتعداد لينترها من يده وتقع على الأرض وتحتد نظرتها لتقول:

..وهل أنت أحسن مني، طوال فترة بعدك عن أهلك كنت تأتييني لكي أخفف عنك، أنسيت، أنسيت يوم أفقدتني عذريتي وأنا بسن السادسة عشر! بنفس يوم زواجك من سلمى،

-كنت كارها لكل شيء حتى أنك لم تدخل بها واستغلتي جهلي ووجودي بمفردي بالمنزل وغياب والداي  
واغتصبتني، ظللت ثلاثة عشر عاماً أركض خلفك فقط لكي تتزوجني وتستر علي ولم ترضي، كنت أرفض كل  
الشبان الذين يتقدمون لخطبتي فقط لكي لا يفتضح أمري، وأنت كنت تعلم جيداً أن والدي إن علم سيذبحني،

-إلى أن تحننت علي وأقنعت أخاك وائل أن يتزوجني وعلفته بي وقلت له أنني كنت متزوجة بالسر وهو بكل  
حماسة اقتنع وتزوجني،

-أنت كنت تعلم أنني وعيت علي هذه الدنيا وأنا برفقتك، أنت من علمتني كل شيء، يا لعين حتى أنك بعد أن  
اغتصبتني جمّلت لي العلاقة الجنسية وأصبحت كاللعينة أركض خلفك فقط لكي تفعل لي كل الأشياء التي  
عودتني عليها، وكل هذه الأشياء حدثت لي وأنا لم أتجاوز الثامنة عشر بعد،

-وفوق كل هذا تعاليري بفعلة أمي وبعملها، وماذنبني أنا إن كانت هي لم تحتمل الفقر وهربت من أبي وعملت  
بالملاهي الليلية وقتها، أنت استغلتي وضعي أيضاً بعمل أمي،

-أنسيت كم كنت تهددني بأنك ستفتضح فعلة أمي وتدل والدي على مكانها وتقول له أنني لست عذراء فقط لكي  
أفعل لك كل شيء، كنت تهددني فقط عندما أقول لك أنني سأمت ولم أعد أريد فعل هذه الأشياء، كل هذه الأفعال  
لا تساوي شيئاً عندك! لا تأبه بها!

-كله بكفة وأنت لم تكلف خاطر أن تتزوجني بكفة أخرى، لا تتحدث عن ماضي الذي أنت من صنعته وأنت  
من دمرته ودمرت حياتي بأكملها،

-جعلتني امرأة لعينة تريد هدم البيوت وتخرب كل العلاقات، فقط لإنك كنت كالحبوان كنت كالوحش، أسمع، إذا  
كنت أنا عاهرة فأنت أعهر وأسفل مني هل فهمت يا ابن اللعينة..

تحدثت وصرخت بقهر إلى أن بح صوتها ولم يعد يخرج وبآخر كلماتها أجهشت بالبكاء وهي ملقاة على الأرض  
..

تبكي بكاء طعن استنزف قلبها بالخفاء .. تبكي وكلها جراح ..

تبكي بكاء أعوام .. بكاء الألم .. بكاء القهر .. تبكي على شرفها .. على جسدها .. وتبكي من نفسها على نفسها  
..

وكل هذا وأقسم لكم أن زياد لم يحرك شعرة من رأسه بحديثها .. كل مافعله هو أنه ابتسم ببرود ونزل لمستواها  
ليقول بهدوء:

..انتهيتي..

نظرت له بضعف ليرد لها:

..كل حديثك لا يبرر فعلتك عندي أفهمتي..

وبالآن ذلك الوجد الذي اجتاحتها وهدم شيئاً في قلبها .. لآخر لحظة وحتى بعد زواجها واستقرارها مع وائل إلا أنها لم تكف عن حبه ..

معها حق .. ففتاة كانت بفترة مرافقة قد قابلت زياد في وقتها وتعلمت منه كل شيء .. كان يعلمها عن كل الأشياء .. يقول لها هذه كذا وهذا كذا وهذا يفعل هكذا .. كانت كالطفلة البريئة بين يديه .. طفلة افتقدت الحنان من والدها سيء الحظ وقليل الرزقة وفقير الحال .. لم يملك شيئاً سوى كرامته وذلك المنزل الصغير الذي كان يقطن به هو وزوجته وابنته ..

بعد فقدها لعذريتها كل الأبواب أغلقت بوجهها .. وبعد هروب والدتها وعملها في الملاهي الليلية أصبحت الدنيا سوداء في نظرها .. وبعد عجز والدها وكسر ظهره بسبب فعلة والدتها كانت قد ربطت كل الأحداث التي حدثت معها والتي تعرضت لها لتسبب لها نفس الخيبة ونفس القهر ولكن بغير طعم ..

إلى أن قررت أن تصبح ماهي عليه الآن .. امرأة سوداوية لا يهتمها سوى مصلحتها .. لا تحب أن ترى بيوتاً عامرة ولا تستطيع أن تكون في مجلس إلا وتفجر قنبلة لكي تحبط آمالاً وتغرس نصلها السام في كل جلسة ..

لم تجيبه فقط اكتفت بخفض رأسها بقلة حيلة واستمرارها بالبكاء ليرد لها بهمس حاد:  
..كيف تودين العقاب يا ابنة زبيدة هاتم الشريفة النظيفة..

شبهت ببكاء حاد لتتظر له بحقد وغل وتصفعه بكل ما أوتيت من قوة ويرتد وجهه للوراء ..

أعاد النظر لها ليبتم تلك الابتسامة المميّنة ويمسكها من شعرها وينهضها بعنف ليرميها على الأريكة ويهبط عليها بالصفعات المتوالية والركل والضرب بكل عزيمة وهي تصرخ وتضحك وتبكي في آن واحد كالمجنونة لتقول:

..أجل أجل اضربني يا ابن العاهرة اضرب أجل، هذه هي رجولتك فلتريني إياها بضرباتك وركلاتك هيا أكمل  
أجل..

ومع كل حرف تنطقه تشعل فتيلة غضبه أكثر وتفوح في استفزازه وكلما ابتعد عنها تضحك بوجهها الذي بات أحمر كالدماء من صفعاته وتغيظه بحديثها وبشتائمها له ويعاود الكرة ويضربها ..

-أعجبك الضرب، طبعاً امرأة مريضة مثلك ستحب الضرب..

-أجل أجل أحب الضرب بقدر ما أحببتك يا لعنة يا حقير يا جرد يا بغل..

وأيضاً أشعلت فتيلة غضبه بطول لسانها ليقول وهو يحرك رأسه بجنون:

.. افرحي زغرطي ارقصي سأضربك حتى أتعب..

في نهاية المطاف تعب حقاً من ضربها وهي لم تكف عن أسلوبها وكأنه كيس على زرٍ بها لتصبح بهذا الجنون

..

ابتعد عنها أخيراً ليقول وهو يلهث:

.. هكذا اكتفيت وأخرجت قهري بك، بقي فقط خراب بيتك، سأقول كل شيء لوائل، أنا بكل الأحوال أصبحت لعين وسافل وحقير بنظر الجميع فلن يضر عندما أقول لزوجك أن زوجتك كانت عاهرتي البريئة، وهكذا نكون تصافينا واحدة بواحدة، فضيحة بفضيحة..

أنهى جملته غامزاً لها لتمد هي إصبعها الأوسط بوجهه وتضحك بقوة ولا تكف عن ضحكاتهما المريضة مما جعله حقاً مذهول من أمرها ولكنه حرك رأسه بياس وابتسم بسخرية ومن ثم غادر المنزل بأكمله متوجهاً إلى منزله وتحديداً إلى حبيبة قلبه التي خرجت اليوم في الصباح الباكر من السجن حالما سمع الضابط ميسم أقوالها وتعاطف معها وبرأها من التهمة المنسوبة إليها ..

---

هرولت سريعاً لتفتح الباب التي كادت تجزم أنه سينكسر بسبب الدق والضرب عليه بقوة .. لتفتح الباب وتقابل ذلك المنظر الذي جعلها تجحظ عيناها ومن ثم تصرخ بقوة ..

كان ذلك الذي واقفاً أمامها ما هو إلا مصعب بنصف وجهه المحروق والمشوه ومما زادها رعباً هو تلك الابتسامة اللعينة التي تظهر على وجهه ..

أرادت أن تغلق الباب في وجهه ولكنه منعها ليقول بصراخ:

.. جننت لكي أجعلك مثلك، قبيحة ولعينة ولا تستطيعين النظر في وجهك..

صرخت وهي تحرك رأسها رافضة ليدفعها للدخل ويدخل خلفه صديقه نزار وشقيقه مازن اللذان كانا يقفان ببرود ويشاهدان مايفعله بها وقد أخذوا راحتهم لأنه لم يكن موجود في المنزل سوى جهاد ووالدتها ..

لم يكتفي من ضربها لتخرج والدتها بخطوات بطيئة وترى هذا المنظر وتحاول الدفاع عن ابنتها ولكن عبث فقد تدخل نزار وأمسك والده جهاد ومنعها من الاقتراب .. لتهبط دموعها وتصرخ بقهر وهي ترى كيف ابنتها تتعرض للضرب والعذاب ..

استدار مصعب لوالدة جهاد ليصرخ ويقول وعيناه جاحظة:

..انظري ابنتك ماذا فعلت بي، انظري، سأجعلها تصبح مثلي، سأحرق قلبك عليها فقط لتتعلمين كيف تنجيبين فتاة كهذه..

أخرج قارورة الأسيد من جيبه وجهاد تبكي وترجوه محاولة التحرر منه ووالدة جهاد أيضاً ترجوه أن يبتعد عن ابنتها ..

ولولا أن صرخات جهاد لم تكن مسموعة لدى سكان المبنى ودخلوا عليهم ليمنعونه لكانت جهاد مشوهة ..

استطاعوا أن يبعدوا مصعب عنها وأن يبعدوا نزار عن والده جهاد ويخرجوهم ثلاثتهم من منزلهم ويطردوهم من المبنى تحت صرخاتهم .. لتجتمع كل أهالي الحي على صرخات مصعب وحديثه عنها وشتائمها لها ..

كل من لديه شرفة وقف وتفرج على هذا المنظر وكل رجل بمنزله استمع إلى صوه مصعب خرج ليرى ما القصة ..

حدثه أحد سكان الحي قائلاً:

..إن لم تهدأ فسأطلب لك الشرطة هل فهمت..

صرخ مصعب:

..أجل اطلبها دعم يرون ماذا فعلت بي تلك العاهرة، تلك المدام وليست الأنسة، تلك الساقطة، انظروا إلى وجهي انظروا ماذا فعلت بي، أيرضيك هذا أيرضيك ما حل بي، أصبحت كالمسخ، لقد فقدت وجهي، انظروا تمعنوا انظروا إلى قبحي أصبحت كالوحش اللعين، هذا ما فعلته بي تلك العاهرة جهاد نصوح، أسمعون، والله لن أتركها والله لأحاسبها والله لأفعل بها كما فعلت بي..

قطع جملته وهو ينظر لأعلى شرفتها ويصرخ بأعلى صوته قائلاً:

..والله لأدفعك الثمن غالي، لن أرحمك يا لعينة..

نظر إلى الرجال المجتمعين حوله والتي كانت أعدادهم كبيرة ليقول بصراخ:

..وأنتم هيا انظروا، خافوا مني، اجلبوا أطفالكم وأرعيوهم بمنظري هيا..

ويعيداً عن أن ثلاثة أرباع من كان واقفاً يشاهد قد تعاطف مع مصعب وحننوا عليه إلا أنهم فعلاً خافوا من  
منظره .. فحقاً شكله أصبح قبيح جداً ولا يُرى نهائياً ..

مازن ونزار كانا ينظران لمصعب بقهر وحنن عليه ومصعب لحنونه وفقدان عقله أمسك ياقة قميصه وفتح  
قميصه بعنف ليصرخ قائلاً:

..انظروا حتى جسدي ورقبتي قد أحرقته، هيا شاهدوا جميعكم يا لعينين، أمازلتم تريدون الدفاع عن تلك العاهرة  
ها أمازلتم تريدون الدفاع عن ساقطة مثلها، هيا انظروا..

أنهى جملته بضعف وبكاء ليسقط على الأرض ويبدأ بالبكاء ولم ينتهي هذا المشهد المأساوي إلا عندما فقد  
مصعب وعيه وسقط على الأرض لينقلونه إلى أقرب مستشفى متجاهلين تماماً بشاعة وجهه شاعرين فقط به  
وبوجهه ومتعاطفين معه ..

---

كان زياد جالساً في الصالة وبرففته سلمى وشهد كانت في غرفتها فقد كانت متعبة جداً ..

لم يكن يسمع حرف واحد بينهما فقط جالسان وصامتان وكل منهما في دنيا أخرى ..

إلى أن دخل عليهما زين بكل برود .. حالما رآه زياد حتى اتسعت ابتسامته واقترب منه بلهفة ليقول:

..أين كنت يازين، لقد خفت عليك جداً بني..

ابتسم زين بسخرية ليقول:

..حقاً خفت علي أبي..

محمد زياد بتوتر وأشاح بوجهه عنه لتتسع ابتسامته زين الساخرة ويقول:

..عموما لقد جلبت معي لكم مفاجأة ستعجبكم جداً..

عقد حاجبيه بتعجب قائلاً:

..وما هي..

ابتسم زين ببرود لينظر ناحية الباب ويقول:

..ادخلي حبيبي، ادخلي ولا تخجلي..

دخلت فتاة بأوائل العشرينات بشعر بني وبشرة بيضاء وعيون بنية وهي مبتسمة لتقول:

..مساء الخير..

ابتلع زياد ريقه حالما رأى تلك الفتاة أمامه ليقول بسخرية:

..هذه ماذا تفعل هنا..

ابتسم زين قائلاً:

..أتعرفها أبي..

-أجل اليست هذه صديقتك رؤى..

صفق زين ببطئ قائلاً:

..أحسننت هذه هي بعينها، وقد أصبحت زوجتي..

نزلت كلمات زين عليهما كالصاعقة ليردف زين بابتسامة مغیظة:

..هيا باركان لنا وهنئانا بزواجنا..

تنهد زياد بحدة وحرك رأسه بياس لتقول سلمى بحاجبين معقودين باستياء:

..ماذا فعلت زين..

تحدث زين بأريحية:

..ماذا فعلت يعني، تزوجت فقط، ببساطة تزوجت عليها..

قال جملته الأخيرة بصوت مرتفع ونبرة لنيمة ليصمتان كليهما غير عالين أربعتهم بتلك التي كانت واقفة أعلى السلام وتشاهد وتسمع كل شيء بأعين دامعة وقهر كبير داخلها ..

"حينما أصبح محرمة عليك

سأبدو أشهى وأجمل ..

مذلك يبخس الأشياء حقها إذا صارت في حوزته ..

ويتطلع دائماً إلى المحذور"

---

-إن كنتي تريدين البقاء هنا فأهلاً وسهلاً، لا تريدين فأنت حرة، باستطاعتك الذهاب وورقة طلاقك تصلك بأقرب وقت ..

ابتلعت غصتها وكتبتم دموعها لتقول ببرود وإصرار:

..في ظرف يومان وتكون ورقة طلاق في منزل أهلي رجاء ..

ابتسم بسخرية ودحرج عيناه بلووم قائلاً:

..كما تشائين ..

كانت هذه بضع كلمات التي نطقها زين وشهد أمام زياد وسلمى ورؤى ..

زينا بينه وبين نفسه يريد أن تتطلق وبنفس الوقت لا يريد .. يريد ذلك كي يكسبها ولا يريد كي لا تكرهه وتتهمه بخراب بيتها ودمار حياتها ..

تنهد بقلة حيلة وتجاهل الجميع وتوجه نحو غرفته بينما شهد فتطلعت إلى زين بكل برود وجمود ومن ثم ابتسمت بسخرية وصعدت إلى غرفتها لتوضب أغراضها وتخرج من هذا المنزل بحيث لا رجعة لها إلى حياة أي من أشخاص هذا المنزل ..

نطقت سلمى وأخيراً قائلة:

..بني أنا لن أقول لك طلق هذه الفتاة ولكن لا يجب أن تتخلى عن شهد، أرجوك هي لا ذنب لها بكل ماحدث ..

أجابها ساخراً:

..أمي أنا لم أكن لها الحب والمودة كما في السابق، والأفضل لي ولها الطلاق، غير ذلك أنا لن أقيم في هذا المنزل وزوجتي رؤى فقط كي لا أستمع إلى تأنيبك وحزنك عليها ولكي لا أرى أبي أيضاً..

نظرت له بحزن وانكسار وتركته وغادرت ليغمض عيناه بألم  
ويتنهد بضيق .. اقتربت رؤى قائلة بابتسامة:

..أنا لم آتي لكي أخرب حياتك زين، إن كان وجودي قد يسبب الطلاق لشهد فسأنسحب فوراً..

-لا، أنت لا شأن لك..

همهمت له وأمسكت بيده ونظرت له بابتسامة لينظر لأيديهما المتشابكتان ويخرجان سوياً من المنزل غير عالمان بتلك التي كانت تراقبهما من الشرفة ودموعها تغطي وجنتيها ..

---

دخلت بخطوات مترددة إلى منزل والدها وبيدها حقيبتها المليئة بملابسها لتقابل والدها جالساً في الصالة والدتها التي استقبلتها بتوتر وخوف لتجعل شهد متعجبة جداً من والدتها ..

نظر لها والدها بصرامة قائلاً:

..ما الذي أتى بك إلى هنا..

ابتلعت ريقها لتهرول ناحية والدها وتجهش بالبكاء على كتفه وتقول:

..سأطلق من زين أبي، أنا لم أعد أريده، أنت لا تعلم ما الذي فعله بي، لقد عذب صغيرتك كثيراً..

ظننت أن والدها سيحتضنها ويطبب على كتفها ويخفف عنها ولكنها حالما استوعبت تعجبت كثيراً من أنه لم يحرك ساكناً ولم يحتضنها لتبتعد عنه وتقول:

..أبي مابك، ألم تحزن على حالي، ألن تستقبلني عندك، صدقني لم أكن أريد الطلاق ولكنني لم أعد أحتمل معاملته وجفائه معي، غير ذلك هو تزوج علي أتصدق أبي..

عادت واحتضنته ولكنه أبعدا عنه في الحال ودفعها لترتد للوراء وسط ذهولها وتوتر وحزن والدتها ليقول  
بجدية ولؤم:

..أنا لا أستقبل فتاة جلبت لي العار، اذهبي لـ الذي خنتي زوجك معه..

صدمتها كانت كفيلة لكي تجعلها تترنح جالسة على الأريكة وهي تناظره بذهول والدموع عالقة بمقلتيها لتقول  
بنبرة باكية وذهول:

..أنت أيضاً أبي، أنت أيضاً قد تسم عقلك وحرصوك على ابنتك، أين سأذهب بحالي، ظننت انك ستحتصني  
وتخفف عني حالما آتي إليك، لما تعاملني هكذا أنت أيضاً..

حدثها بصرامة ونظرته لم تتغير:

..هذا ما تجنيه الفتاة الخائنة والتي لا تعلم كيف تصون منزل زوجها، هيا اخرجي من منزلي، أنا ليس لدي ابنة،  
لدي ابنٌ واحد فقط، اذهبي وتدبري أمرك ولا تعودي إلى هنا مجدداً..

نعم قبل دخول زين على والديه بزوجه الجديدة رؤى كان قد دخل على منزل أهل شهد وحدثه بكل شيء حدث  
وأراه كل شيء يخصها من فيديوهات وصور وتسجيلات .. فينظره شهد ليست بريئة بما أن والده من أعطاه  
الكارث ومن ثم استمع للتسجيل الذي وثله من سندي فامعناه أن شهد مذنبه وتوجد علاقة تربطها بوالده لا شك  
في ذلك ..

لنأتي للصراحة خيبة والد شهد لم تأتي من ما شاهده من صور وفيديوهات وتسجيلات على ابنته فقط وإنما  
الخيبة الموجهة كانت بطريقة حديث زين عن شهد .. طريقة كلها تدل على كيف يرى شهد وكيف أنه  
مسترخساً جداً بها ..

يحدثه بقرف واشمئزاز ويقول له اعد تربية ابنتك المدللة .. علمها الأخلاق والوفاء ومن ثم زوجها .. وكأنه قد  
حط على عينه بابنته وعابره بها ومن ثم خرج من منزله ..

وبخدلان كبير من والدها الذي آخر من كانت تتوقعه أن يخذلها ويتخلى عنها صرخت به قائلة:

..سأخرج سأبتعد ولن أريك وجهي بعد الآن، ولكن حالما تعلم أن ابنتك مظلومة لا تأتي إلي لتعيدني إلى منزلك،  
أنا التي ظننت أنك حالما تعلم ما حدث معي وما فعله بي زين ستذهب لتحطم رأسه تقول لي الآن اذهبي ولا  
تريني وجهك، حسناً سأذهب، ومن قال لك أنني سأبقى بجوارك بعد ماسمعه منك، للأسف لم تكن لي الأب  
الحنون وإنما كنت سيد الخدلان، خيبتني منهم جميعاً لا تساوي شيئاً أمام خيبتني منك أنت الآن..

أنهت جملتها التي أخرجتها بكل قهر ووجع وأمسكت حقيبتها وجرتها خلفها وخرجت .. حاولت والدتها منعها  
إيقافها ولكنها لم تبالي بها وخرجت فوراً دون التحدث إليها ..

ليجلس والد شهد على أريكته بحاجبيه المعقودين ونظرته التي يحاول أن يظهرها صارمة وباردة ولكن بان بها الضعف والندم والخوف على ابنته الوحيدة ..

---

كانت تمشي وتجر حقيبتها خلفها التي وضعت بها خبيتها وحرزها وأقفلت عليهما .. تبكي وتشهق غير عالمة إلى من تذهب وإلى من تلتجئ ..

لا .. لا والله لن تذهب إلى زياد ولو جرتها كلاب الشوارع المسعورة .. تحدث نفسها هكذا فقد خطر ببالها فوراً ولكن لا .. إن كانت ستقضي كل عمرها بالطرقات الخاوية والموحشة لن تلتجئ إليه ..

رأت سيارة جيب سوداء تقف أمامها ولكنها لم تبالي وأكملت طريقها ولكن أتاها صوت ينادي باسمها .. ظنت أنه زياد ولكن خابت توقعاتها عندما رأت ذلك الضابط الذي ميسم قد وقف بطريقها وناظرها بتعجب ليقول:

..شهد ماذا تفعلين هنا أنت..

هبطت دموعها مجدداً حالما سمعت بجملته ليعقد حلجبيه عندما رأى حقيبتها معها ليردف:  
..ما الذي حدث، هل تركتي بيت زوجك..

حركت رأسها موافقة وبكاء ليقول:

..حسناً ولما لم تذهبي إلى منزل أهلك..

وهنا انفجرت بالبكاء المرير ليضع يده على كتفها بتردد ويقول بتوتر:

..اهدأي اهدأي شهد، قولي لي ماذا حدث معك..

حدثته ببكاء وهي تشهق بتقطع:

..حتى والدي طردني من المنزل، وزين تزوج علي..

ابتلع ريقه بصعوبة ليقول:

..حسناً لا تخافي، تعالي معي..

-إلى أين..

-سأخذك إلى منزلي..

نظرت له بغضب ليضحك بخفة ويقول:

..اطمئني أنا لن أكون هناك أصلاً، أنا لدي شقتان بصراحة وستقيمين في منزلي الصغير، صحيح ليس من مقامك ولكن أفضل من لا شيء، ههه وبصراحة لو لم تكن زوجتي في المنزل الكبير فوالله لكنت تركتك في المنزل الكبير وأنا بقيت في المنزل الصغير، ولو كانوا أهلي مقيمين هنا لما تركتك تجلسين بمفردك كنتي سأخذك إليهم ولكن كل شيء إلا الجلوس مع زوجتي، سيحدث إعصار ولن تتفهم الأمر بصراحة..

أنهى جملته بضحكة بلهاء لتقول شهد بخفوت وبكاء:

..شكراً لك، لا أريد أن أسبب لك مشاكل، سأندبر أمري بمفردني لا تقلق أنت..

تحدث بسرعة ولهفة:

..لا لا ، لن تسببني لي مشاكل، هيا هيا تعالي معي ولا تخافي اعتبريني كشادي تماماً، هيا اصعدي بالسيارة..

ويتردد كبير منها صعدت بعدها معه وانطلق بها إلى منزله الصغير .. هي حسبته بعقلها .. أين ستذهب بنفسها وهي لم يعد لها أحد يهتم لحالها ويستقبلها عنده .. وأساساً هي متيقنة إن ظلت تجوب الطرقات سيجدها زياد حتماً ويأخذها معه وهي لا تريد ذلك أبداً ..

-----

وقفت بتردد عند عتبة ذلك المنزل البسيط والمرتب ذات طابع أنيق لينظر لها ميسم ويقول:

..مابك شهد، هيا تفضلي لا تستحي..

دخلت بتردد ليبتسم لها ابتسامة مطمئنة وترك الباب مفتوح فقد علم أنها مترددة وخائفة ليردف:

..تفضلي اجلسي، سأصنع لك القهوة لكي تريحين أعصابك قليلاً..

حركت رأسها بإيجاب بينما ميسم فقد دخل إلى المطبخ ليصنع لها القهوة ..

ظلت شهد تتطلع لأثاث هذا المنزل الصغير والبسيط وقد شعرت بالراحة ولكنها ما لبثت حتى امتلأ صدرها بالغضب والكره لما فعله بها زين ..

كيف ومتى كانت ممسكة بهاتفها وتعبث بأزاره وتبعث له برسالة نصية لا تعلم .. كانت تريد أن تخدم نار قلبها فقط .. فإن كان زياد قد خرب عليها حياتها مع زين الآن زين قد خرب حياتها مع والديها لترسل له تلك الرسالة التي كان محتواها:

..أتمنى أن تبقى تعيس طوال حياتك .. أن ترافقك لعنة من السماء على كل شيء فعلته بي .. أن تبقى فاشلاً نتناً غيباً لا تتوفق في حياتك أبداً ..

أتمنى أن تدهسك شاحنة تصعدك إلى السماء مسافات وأميال .. أن لا ترى السعادة في حياتك .. أن يبلي الله مستقبلك يكسر الله زوجتك يتعب أهلك يقصف قوتك وشخصيتك الخالية من الكرامة ..  
أتمنى كل سوء لك ياسيدي..

وحالما صغطت زر الإرسال وكأنها هدأت نار صدرها قليلاً لترى ميسم متقدماً نحوها بابتسامة ليقدم لها القهوة وتأخذها منه بهدوء ..

ارتشف رشفة من القهوة السوداء ليقول بإجراج:

..أنا آسف، لا تؤاخذيني لأن الثلاجة فارغة ولا يوجد بها طعام، بكل المنزل لا يوجد سوى القهوة لإنني عندما آتي إلى هنا أحتسيها كثيراً فقط، عموماً سأطلب لك طعام الآن وغداً سأملئ لك الثلاجة بكل الأطعمة التي تفضلينها..

حركت رأسها موافقة بابتسامة باهتة قائلة:

..لا عليك..

بادلها الابتسامة لتسأله بفضول:

..لما لديك منزلان، ولما تأتي وتجلس هنا بمفردك..

ابتسم وهو يبتلع قهوته لدرجة أنه لوث فمه ليمسحه فوراً بإجراج ويقول:

..في الحقيقة بسبب كثرة الشجارات التي تحدث بين وبين زوجتي، هي امرأة عصبية وأنا بطبعي رجل بارد، أعني إن لم يلزم الأمر لغضبي وعصبيتي فلا أخرجها وهي لا تحب ذلك، تقول لي دائماً أدفع نصف عمري

وأخذ قليلاً من برادة أعصابك، أغلب أحيائها غاضبة وأنا لا أناقشها كي لا تحدث مشكلة ولكن عندما يسوء الحال نتشاجر فأتي أنا إلى هذا المنزل، فقط هذا..

أنهى جملته بسيطة لتجيبه:

..أحبها..

ضحك لسؤالها مجيباً:

..في الواقع نعم، لديها كاريزما خاصة تجعلني أحبها وأميزها من بين كل النساء، أجل لا أنكر أنني بطبعي أحب المرأة الهادئة ولكن سبحان الله أحبها كما هي، بجنونها وغضبها ونظرتها الحادة ولومها ونكدها وكل شيء..

ابتسمت لحديثه ليرد لها بحماس:

..وتخيلي كل هذا الحب جاء بعد الزواج، أنا تزوجت زواجاً تقليدي لم أحب ولم أعشق ولم أكن لدي المزاج لكل هذه الأمور ولكنني أحببتها بعد أن عاشرتها وعشت سنوات معها، هي جميلة وبلهاء قليلاً وتحبني كثيراً وهذا يكفيني..

ضحكت على كلمة حمقاء لتقول:

..ما اسمها..

أجابها مبتسماً:

..علا..

همهمت وحركت رأسها موافقة ليقول:

..حسناً شهد، أنا سأذهب، أتمنى أن ترتاحين هنا، يوجد غرفة كبيرة ستنامين بها وبعد قليل سيصلك الطعام وغداً سأكون قد ملئت لك الثلاجة بأكملها..

أخفضت رأسها بخجل قائلة:

..وما ذنبك أنت لكي تحوي فتاة لا تعرفها وتتحمل مسؤوليتي..

ضحك على جملتها قائلاً:

..ومن قال أنني لا أعرفك، أنا أعرف كل شيء عنك، أعرف أنك عندما كنتي في سن السادسة من عمرك كنتي تهوين اللعب بالطين وتلطخين نفسك به وتتذوقينه أيضاً، أعلم أنك عندما كنتي صغيرة قمتي بـ عض القطة من

ذيلها لأنها خمشتك، أعلم أنك في مرة من المرات قد كسرتي المزهريّة الثمينه لوالدتك وأخيك شادي حزن عليك وقال أنه سيحمل القصة عنك ولن يقول أنك من كسرتي المزهريّة وأنت بدوركِ حالما وصلت والدتك حتى قلتي لها مامي هذا زين كسر المزهريّة الثمينه خاصتك..

أنهى جملته بصوت طفولي ساخر ليجعلها تضحك بقوة وتخبأ وجهها بيديها ومن ثم تقول:  
..يا ربيبي من أخبرك بكل هذا..

ضحك على مظهرها ليقول:

..شادي، كان يحدثني عن طفولتكما وكنت أستمع له وأضحك..

ضحكت ضحكة رنانة ليرد لها:

..كان يحدثني عنك دائماً وكان كلي فضول لكي أعلم من هي شهد هذه..

همهمت له مبتسمة ليقول بنبرة غريبة ونظرة أعرب:

..ولكنني لم أكن أعلم أن هذه الصغيرة بكل هذا الجمال وهذه الرقة..

ابتلعت ريقها بصعوبة حالما فهمت مقصده ونظرته لتتوتر ويتوتر هو أكثر منها ويحمم قائلاً بإجراج:

..هه آسف، حسناً سأذهب الآن، تصبحين على خير..

حركت رأسها موافقة لتتنهض خلفه وقبل أن يخرج حدثها:

..هذه المفاتيح أفضلي عليك الباب ولا تفتحي لأحد إلا عندما يأتي الطعام..

أومئت بإيجاب ليبتسم لها ويخرج من المنزل وتقفل هي الباب مثلما أمرها ومن ثم توجهت لتكتشف المنزل محاولة نسيان قصتها المأساوية او بالأصح تناسي قصتها لأمد لا يعلم به أحد ..

-----

بينما من الجهة الأخرى ذلك الذي كان يجول في الطرقات محاولاً البحث عنها بكل خوف ورعب دبا في قلبه ..

كان متيقناً أنها ستتوجه إلى منزل أهلها لذلك تركها تذهب ولم يعلق بكلمة .. ولكنه لم يعلم بما افتعله زين عند أهل شهد إلا بعد خروجها بساعة تقريباً .. لينطلق بسرعة البرق ويدور في الطرقات للبحث عنها ..

يدخل من شارع ليخرج من شارع آخر .. تعب من البحث كحال قلبه الذي تعب منها ومن كل شيء موجود في هذه الحياة ..

عقد حاجبيه بخوف واستياء محدثاً نفسه وهو يقود:

..أين أنت ياشهد أين أنت..

تنهد بحزن ليردف:

..لقد تعبت والله تعبت، لم يعد لي طاقة، لا تفعلي بي ذلك..

مسح على وجهه ليهدأ من روعه قائلاً:

..يا الله احمها ولا تؤذيها واحرسها يارب، لقد تعبت أنا تعبت..

تنهد بيأس وركن سيارته جانباً ليضع رأسه على مقود السيارة بضعف مغمضاً عيناه بأسى لما وصل عليه الجميع .. مقسماً بينه وبين نفسه أن نهايته حتما ستكون قريبة بسبب مايقاسيه من عذاب بسببها وبسبب حبها اللعين داخل قلبه ..

"ارجعيلي .. ارجعيلي .. دخيلك ارجعيلي

عايش أنا والكاس وكلام الناس الما سكتوا عنا ارجعيلي .. ارجعيلي"

---

فتحت الباب ليطلان عليها مبتسمان وتبتسم هي ما إن رأتهما أمامها لتسمح لهما الدخول وتستقبل ذلك الصغير الذي كان مبتسماً لها ببرائة ..

جلسوا جميعهم في الصالة الصغيرة لتقول تلك المرأة المتمردة بابتسامة:

..ها ياشهد، كيف حالك اليوم..

أجابت مبتسمة:

..بخير..

ابتسم ميسم ليحمل بيده كيس ممتلئ بالحلوى والشوكولا التي تحبها شهد ليمد يده ويعطيها إياه قائلاً بابتسامة:  
..وسيم الصغير أصرّ أن يجلب لك كل هذه التسالي تفضلي..

ضحكت لتقرص وجنته الناعمة قائلة:

..هذا الوسيم يحبني جداً وأنا أحبه أكثر..

ضحك ببرائة وهو ينظر لها ليأخذ قطعة شوكولا من الكيس ويعطيها إياها ويأخذ واحدة له .. ابتسمت شهد  
وقبلته برقة لتقول علا زوجة ميسم:

..اليوم سنتغدى سوياً، لن نتناولين الطعام بمفردك..

ابتسمت لها شهد وحركت رأسها موافقة قائلة:

..بصراحة أنا طبخت، ولكن أتمنى أن يعجبكم طبخي..

ضحكا سوياً ليقول ميسم:

..لقد أوصينا على طعام لا تقلقي ولا داعي لتتعبين نفسك..

عبست شهد بوجهه ليضحك عليها ويفهم سر عبوسها .. فهي ظنت أنهما لا يريدان أن يتذوقان طبخها لتقول علا  
بابتسامة:

..أنا متأكدة أن طبخك لذيذ ولكن لا نريد أن نتعبك..

ابتسمت برضى وحركت رأسها موافقة ولم تتحدث لتتنبه لنظرات ميسم المشفقة عليها .. تعجبت من نظرتة ولم  
تستطع تفسيرها ولكنها تجاهلت الأمر ولم تتحدث بشيء ..

بالطبع تتسائلون كيف علا أصبحت صديقة شهد وتقبلت وجودها .. في الواقع ميسم لم يحبذ فكرة إخبارها عن  
وجود شهد في منزله الصغير لأنه يعلم جيداً تفكير زوجته وعقلها لذلك لم يخبرها ..

ولكن علا اكتشفت وجودها في منزلها بنفسها .. فمنذ شهر تقريباً حدث شجار كبير ومعتاد بينه وبينها وكالعادة  
خرج ميسم من المنزل لكي لا يتفاقم الوضع .. ولكن علا أحست بالذنب كون أنها هي من افتعلت الشجار لذلك  
قررت الذهاب لمصالحته .. فهي تعلم أنه كلما تشاجر معها يلتجئ إلى ذلك المنزل الصغير ..

وبالفعل توجهت علا إلى هناك لتقابل شهد بصدمة كبيرة وعقلها بدأ يعمل ويعطيها الكثير من الأفكار السلبية .. إلى أن هزأت شهد ووبختها وهي تحاول أن تعلم من هي وما الذي أتى بها إلى هنا وشهد لم تقابلها سوى بالبرود والجمود لتقول لها أخيراً:

.. عندما قال لي زوجك أنك عصبية جداً لم يكذب..

لتجيبها بجنون:

.. وأيضاً يحدثك عني ذلك اللعين، أقسم أنني سأدفعك الثمن غالي أنتِ وهو ذلك الخائن، ستريان..

وبغضب كبير أرادت أن تخرج ولكن شهد استوقفها حينها قائلة:

.. اجلسي وهاتفي زوجك لكي يأتي وعندها سيحدثك من أنا وتهدا نوبة غضبك هذه..

ناظرتها بحدة لتقول بغضب:

.. ومن أنتِ لتتحدثين معي بهذه الطريقة يا هذه، أنا حتى لا أعلم من أي شارع قد أتى بك زوجي اللعين ليصبح لك لسان وتنطقين..

لم تسبب لها غصة ولم تحرك شعرة من رأس شهد لتتنهد بضيق وتهاتف ميسم وتطلب منه المجيء .. وما إن علم أن علا قد علمت بوجود شهد وباللذي فعلته حتى هروا سريعاً إلى هناك ..

وحتى بعد أن فهمت علا القصة واقتنعت وصدقت ظلت بحالة غضب كبيرة لتتقي على شهد نظرة غرور وغضب وتخرج من المنزل بأكمله ويلحق بها ميسم ..

إلى أن شعرت علا للمرة الثانية بخطئها وبأنها قد أزدتها قليلاً لتطلب من ميسم أن يأخذها لها لتجلس معها دون أن يكون بينهما ..

وبالفعل لبي طلبها في وقتها وجلست علا برفقتها وما هي إلا نصف ساعة وعلا بدأت تضحك مع شهد والأدهى أنهما أصبحتا صديقتين أيضاً ..

ومنذ ذلك اليوم وعلا تعلم بشهد وأكثر الأحيان تذهب وتجالسها ولم يعد ميسم يتردد إليها بمفرده ليأمن لها كل حاجياتها بحكم أن علا أصبحت تعلم بالقصة فقد أصبح يذهب كل أسبوع ليراها ويطمئن لحالها وطبعاً زوجته برفقته ..

-----  
بعد قرابة الساعة وبعد انتهائهم من تناول الطعام .. كانوا جالسين ويتحدثون بأمر عدة ليجمعهم ميسم وينظر لعلا ويغمز لها مشيراً لشهد دون أن تنتبه .. فهمت مقصده وحركت رأسها موافقةً لينهض ميسم ويأخذ ابنه الصغير ويستأذن من كلتاهما بحجة أنه يريد أن يشتري لابنه ..

وبعد خروجهما استجمعت علا قواها لتتهدد قائلة:

..عزيزتي شهد، أريد أن أخبرك بأمر ما..

هكهمت لها شهد بابتسامة لتحاول علا جمع الكلمات المناسبة ولكنها لم تفلح لتتخبط بينها وبين نفسها مما جعل شهد تتعجب من موقفها قائلة باستعراب:

..ما بك علا، تحدثي..

تنهدت قائلة:

..بصراحة زوجك طلقك..

لم تبدي ردة فعل سوى البرود لتبتسم بسخرية بعدها تقول:

..وإن، فأنا أعلم أنه سيطلقني..

همهمت لها قائلة:

..أجل والذي علم به ميسم أيضاً هو أن زوجة زين الجديدة حامل..

ابتلعت غصتها وترقرقت عيناها بالدموع لحاول جمع شتاتها قائلة بعدم لامبالاة:

..حسناً، مبروك، وماذا يعني..

ناظرتها علا بشفقة وصمتت ولم تتحدث لتردف شهد وهي تحرك كتفها:

..لا يهم، أنا مرتاحة هكذا..

حركت علا رأسها موافقة ليعم الصمت لثواني ومن ثم تقول:

..بصراحة ميسم لم يعلم كيف سيقولها لك، لذلك أوكلني بذلك..

ابتسمت شهد مجيبة بشرود:

..لا عليك، لقد اعتدت على كل شيء..

---

في منزل زياد

كان جالسا في الصالة إلى أن انتبه لرؤى التي دخلت لتوها لينادي عليها ببرود وتتجه نحوه قائلة:

..ما بك عمي..

ابتسم زياد بسخرية لينهض ويتجه نحوها ويقف مقابلها قائلاً:

..لقد علمت من سلمى أنك حامل..

ابتسمت قائلة:

..أجل حامل..

همهم قائلاً:

..ولم تخبرين زين إلى الآن..

-لا لم أخبره، سأخبره في المساء..

-لا داعي لإخباره، ستذهبين لتجهزينه..

جحظت عيناها لتقول بذهول:

..ولماذا، ثم أنه ما شأنك أنت..

ضحك بسخرية مجيباً:

..ببساطة لإنك في كلا الأحوال ستخرجين من هذا المنزل، أظن أن زين إلى الآن لا يعلم أن زوجته المصون قد ساعدت والده بكثير من الأشياء وأولها بتطبيق المحادثات والتسجيلات الصوتية التي سمعها زين وعلى أساس أنها لشهد، ها أليس كذلك..

ابتلعت ريقها بصعوبة لتقول بنبرة جاهدت لتخرجها ثابتة:

..ماذا تعني بكلامك هذا، ثم أنك أنت من حرصتني لفعل هذا الشيء..

أجاب بابتسامة باردة:

..بالضبط وأنا سأقول له ماذا فعلتي معي بشهد..

كزت على أسنانها لتقول بنبرة لوم:

..لا تحاول العبث معي ياسيد زياد، أنا لا اخاف شيئاً هذا أولاً، وثانياً زين لن يصدق أي شيء ستقوله لك لأن أوراقك أصبحت مكشوفة..

ضحك ساخراً ليجيب:

..إن كانت شهد حبيبة طفولته قد صدق عنها كل تلك التلفيقات والكذبات فمن أنتِ لكي لا يصدق عنك شيء ياحمقاء، افعلي ما أمرتك به وأجهضي الطفل واخرجي من حياة ابني، سأعطيك مبلغ محترم لتبتعدي عن هنا وتعيشي بهدوء، وإن قررت اللعب فسنلعب ياحلوة، ولكن تأكدي أنك ستكوني أنتِ الخاسرة وستندمين كثيراً..

أنهى جملته بهمس ومن ثم صعد إلى غرفته تحت نظراتها الخائفة والحائرة في نفس الوقت ..

نعم هذا هو ما يجمعها بزياد .. فهي كانت تعرفه وعلى تواصل معه إلى أن طلب منها أن تساعد به بما يريد وطلب أن تحادثه بأحاديث غير أخلاقية إن كانت مكالمات أم محادثات وقد أفهمها على ما يخطط به .. مما جعلها توافق عندما علمت بأن بهذا الشكل سيهدم بيت زين وينفصل عن زوجته التي كانت كالشوكة في حلقتها ..

فبنظرها شهد قد أخذت زين وأبعدته عن شلة الشبان والفتيات التي كانوا يشكلونها للسهرات والحفلات والأمسيات والتجمعات التي كانوا يقيمونها ويغيرون الأجواء .. لذلك ساهمت في هذه الخطة وأيضاً لم تمنع عندما رأى زين أنها أنسب واحدة لكي تكون زوجته بعد أن انفصل عن شهد ..

---

أقيم احتفال كبير في عائلة الوكيل

حفل زفاف رامز وألمى وحفل زفاف سامي ولينا ..

بعد أن نقلوا عماد إلى المستشفى في ذلك اليوم وتعرض لسكتة قلبية وبأعجوبة نجي منها ومن بعدها أصبح قلبه ضعيف جداً ..

قرر عماد أن يفرح بأحفاده ويزوجهم .. كثيراً تحدثوا معه أن يأجلو حفل الزفاف فقط لشهرين آخرين لأجل صحته ولكي يتعافى بالكامل ولكنه أصر على قراره وجعلهم يجهزون لكل شيء في أسرع وقت ..

طبعاً وللعك لم يقولون لزياد أبداً ولم يدعونه وإنما فقط قاموا بدعوة زين وسلمى .. حتى روى التي علموا بأنها أصبحت زوجة زين والتي لا يعرفونها أصلاً لم يدعونها .. فقط زين وسلمى ..

أقيم الحفب على مايرام وكان كل شيء منظم وجميل .. طبعاً سلمى لبثت الدعوة ولكن زين لم يذهب لأنه يعلم أنه سيتلقى التوبيخات من جده وأعمامه وعماته لأنه طلق شهد لك اختصر ولم يذهب ..

ألمى كانت كمن يجرها لفعل كل شيء بالغضب .. لا تريد هذه الزيجة ولا تريد الارتباط برامز ولكنها عجزت عن قول كلمتها والرفض كي لا تتسبب لجدها بشيء ليس بالحسبان ..

سامي ولينا كانا كعادتهما يضحكان ويمرحان ولا يمتان للزوجين المتحابين بصلة إنما من يراهما يقول أنهما بلهاويين مبتسمين ..

انطلق كل عريس بعروسته لمنزل أهله .. فرامز سيقنط مع أهله وأيضاً سامي سيقنط مع أهله ..

وكعادة كل بيت شرقي أصيل أم العروس تذهب مع ابنتها وتنتظر لتطمئن عليها هي وعمتها أي والدة العريس .. وبالفعل ذهبت مسرة إلى منزل أخيها مع ابنتها ولكن والدتها رائدة لم تذهب معها وإنما كانت في منزل ابنتها تنتظر مع والدة ألمى ووالدة رامز لكي يعلمن أن كل الأمور على مايرام ومن ثم يباركن لهما ويطمئنن عليهما فقط ..

ألمى كانت جالسة على السرير تتابع رامز الذي كان واقفاً أمامها بابتسامة واثقة ليقول محاولاً تلطفة الأجواء: ..إن أردتي انهضي وبدلي فستانك، هه خذي راحتك أنت لم تعودين غريبة، لا تخجلي ..

امتعضت وأشاحت بوجهها عنه ليردف متعجباً منها:

..مابك! هل هناك شيء ..

نهضت وهي تناظره بلؤم لتخرج من خزانها بيجامة لها وتقول:  
..استدر أريد أن أبدل فستاني..

ناظرها باستنكار ليحرك رأسه موافقاً ويستدير لكي لا يراها .. فقد فسر أنها خجلة منه وفي الحقيقة معها حق ..

ظل منتظراً فترة قصيرة ليقول:

..ها انتهيتي..

هممت بإيجاب ليستدير ويتجه نحو خزانته ويخرج ثياباً ليبدل ثيابه ولم يقل لها استديري أو أشيحي بوجهك ..  
كل ما فعله هو أنه خلع ملابسه فوراً بكل برود لتجذب عيناها وتستدير فوراً بخجل ..

بعد قليل من الوقت وبعد أن انتهيا من عشاءهما .. ظل رامز متخبطاً في نفسه وحائراً .. لا يعلم كيف سيدعها  
تستجيب له .. هو أصلاً بفترة الخطبة كلها لم يراها ولم يجلس معها كخطيبين إلا مرتين ..

ليس بينهما كلام حتى قبل أن يخطبها كانت علاقتهما سطحية جداً ولا يوجد سوى السلام فقط ..

اقترب ليجلس بجانبها على السرير ويمسك يدها ويبتسم لها .. نظرت ليدها التي تحتضنها يده لتقول:  
..لا أريد أن تقترب مني رجاءً، هذه الجيزة ليست بخاطري ولكني مضطرة لتقبلها..

ترك يدها بابتسامة باردة ليقول:

..توقعت، منذ يوم الخطبة وأنا عالماً برفضك، بصراحة حتى أنا حاولت الرفض وقلت لوالدي ولكنه لم يكثرث  
لي وقال أنه لا يريد لجدي أن يحزن..

ابتسمت بسخرية قائلة:

..أجل جدك يظن أنه يفعل هذه الأشياء لمصلحتنا..

همهم متفهماً ليقول:

..حسناً لا عليك، سنظل هكذا فترة من الزمن وحالما يتعافى جدك بالكامل سأطلقك، ما رأيك..

ابتسمت بسخرية قائلة:

..ظننت أنني سأعاني معك كثيراً، لم أتوقع الاسترسال والتفاهم بالحديث معك، عموماً هذا ممتاز..

ضحك قائلاً:

..أجل فيصراحة أنا أيضاً لم أرغب بالزواج مطلقاً، ولكن ماذا أفعل، حكم القوي على الضعيف..

وبجراحة بالغة وبنبرة باردة تحدثت ألى:

..لو لم أكن أحبه لكنت تقبلت حياتي معك..

عقد حاجبيه بعدم فهم وقليل من الصدمة احتلت معالمه مستفسراً:

..ماذا تقصدين، ومن تحبين..

-زين، أنا أحب زين منذ أن كنت صغيرة، ولكن يبدو أنه لم يحبني..

وبصدمة ونبرة بها بعض الحدة حدثها:

..وبما أنك تحبين زين لما وافقتي على زواجك مني..

ألى باستنكار:

..بماذا كنت أحدثك قبل قليل يا رجل..

ابتلع ريقه بصدمة ليقول:

..وبكل وقاحة تقولينيها لي ألى..

رفعت صوتها بوجهه:

..وما الذي حدث، هل جرحت مشاعرك مثلاً! لا أنت تحبني ولا حتى أنا، وزواجنا صار بالغضب، فمن أين لك

كل هذا الانفعال والغيرة غير المبررة..

اندفع نحوها ليمسكها من معصمها ويقول بغضب:

..ومن قال لك أنني أغار عليك، من أقنعك أنني أحبك، إنما أنا مسترخياً جداً بك بسبب وقاحتك وطول لسانك،

هل والدتك لم تتعب بترتيبك لتبعث بك لي وأنت بهذه الأخلاق وهذه الوقاحة..

نترت يدها بعنف لتقول بحدة ومحذرة:

..إياك أن تتحدث عن تربيّتي، ثم أنني لم أفهم لما انفعلت، هل هو عيب أن أحب زين وأتمناه زوجاً لي..

-لا ليس عيباً أبداً، إنما العيب أن تظلين تفكرين به وهو الآن متزوج، العيب أن تذكرين اسمه أمام زوجك الذي هو شنتي أم أبتني وتحديثني عن حبيك له، العيب أن تطلبين مني عدم الاقتراب منك فقط لأن زين يشكل عائقاً بيننا ولولاه لكنتي تقبلتني وسمحتي لي بأن ألمسك، أعلمتي ما هو العيب يا ابنة العم..

ضحكت بسخرية مما جعلته في حالة استفزاز قائلة:

..هذه الحقيقة عزيزي، أنا مازلت أحب زين وأتمناه في كل ثانية، ما رأيك..

لم يحتمل وقاحتها أبداً ليقول بحدة:

..أنتِ حقاً لا تريدين أن ترين همجيتي ألى، لا تضطريني لأن أعيد تربيتك وأمد يدي عليك أفهمتي..

أجابت بتحدي وعدم اكتراث:

..اطمن فعلت لها حساب ومتوقعة أن تضربني ولست مهتمة..

حرك رأسه بإيجاب وعيناه حادة قائلاً:

..عملتي حساب للضرب، إذا أنتِ تستطيعين أن تحسبين حساب لكل الأشياء وتتوقعين أيضاً ولكنك لا تستطيعين أن تحاولين تناسي زين أمام زوجك وفي هذه الليلة أليس كذلك..

نظرت له بلؤم وأشاحت بوجهها عنه ليقول بابتسامة حادة:

..إذاً عذراً منك، سأخلف بقولي وأكسر قاعدة من قواعدك اللعينة التي وضعتها..

وبحركة سريعة أمسكها من معصمها ليدفعها على السرير ويعتلها ويبدأ بعمله .. فبنظره الآن وبعد كل الحديث الذي دار هذا حقه وهي زوجته وسيأخذ منها مايريده لكسر عينها وليس لأنه بحاجة ..

---

بعد ساعة تقريباً

كانت مسرّة جالسة برفقة وفاء والدة سامي .. طبعاً بعد أن عادت وفاء من منزل نهاد والد رامز واطمئنت على ابنتها هي وزوجة عماد رائدة ..

لم يدعها رامز ترى ابنتها طبعاً ولكنه طمئننها عليها وأوهمها أنها نائمة وفي الواقع هي كانت تبكي وتجهش بالبكاء على ما فعله بها ..

لم يكن حاد ولم يكن عنيف .. على العكس .. احترم أنها ليلتها الأولى وعاملها بروية وإنما ألمى تبكي لأنه بالأصل اقترب منها ..

كانت النسوة جالسات ومنتظرات في الصالة للاطمئنان على لينا .. وطبعاً مسرّة كانت جالسة على أعصابها وخائفة على ابنتها بشدة .. فهي بطبعها تخاف عليها كثيراً ولم تكن تريد أن تزوجها الآن ولكن ماذا سنقول من قرارات عماد المفاجأة .. يتحكم بمستقبل أحفاد كأحجار الشطرنج ولا يستطيع أحد أن يقول له لا ..

-----

في داخل غرفة هذا الثنائي

كانت ترفع صوتها وتحدثه وهي تقفز على السرير:

..أيها الغبي أنت تغش، لا لا لن أقبل بهذا..

ضحك عليها سامي قائلاً وهو يرمي بورقة من أوراق الشدة:

..الورق أمامك وكل شيء أمام عينك أنت بلهاء ولا تعرفين كيف تلعبين..

عبست قائلة:

..أنا أعرف اللعب أكثر منك أيها الأحمق، عموماً أكمل اكمل لنرى من الذي لا يعرف اللعب..

وبحماس كبير بينهما أكمل اللعبة لتقفز لينا على السرير أخيراً وتقول:

..هيببي لقد فزت، فزت عليك، فزت علي، فاشل، أحمق، هيببي..

عبس بوجهها قائلاً:

أنت تغشين ياغبية..



حدثته وفاء:

..ما الذي حدث أيها الأحمق، عمته تريد الاطمئنان على ابنتها، خلصنا هيا..

عقد حاجبيه بعدم فهم مجيباً:

..لماذا، وما أدراكي أن عمتي هنا أصلاً، ثم أنها لما تريد الاطمئنان عليها، هي كالقردة إنها بالداخل، والله مازالت قطعة واحدة..

نفخت خديها وفاء بنفاذ صبر لتضربه على كتفه قائلة:

..ألم تفعل ما يجب فعله..

وقف أمامها كالأبله يحدق بها لبرهة وما إن استوعب حتى جحظت عيناه وضرب على جبينه قائلاً:  
..لقد نسيت..

بذهول حدثته والدته:

..بني أتريد أن تجلب لي الجلطة هيا ادخل..

دفعته على الباب ليضرب يه ومن ثم دخل فوراً وهو يلقي نظرة بلهاء على والدته .. ليركض بسرعة ويقفز على السرير ليجعل لنا تطلق صرخة قوية ومن ثم تقول:

..أحمق لما فعلت هكذا..

اعتدل بجلسته ليقول بتوتر:

..انظري، ما رأيك بالزواج..

أجابت ببلاهة:

..لطيف..

اتسعت ابتسامته قائلاً:

..إذاً علينا أن نفعل شيئاً صغيراً ليصبح ألطف فوالدتي قد نقرت رأسي ووالدتك تريد الاطمئنان عليك أيضاً..

عقدت حاجبيها بعدم فهم لتقول:

..لماذا، انا لا أعاني من شيء..

-الصبر يارب، أعلم أنك لا تعانين من شيء ولكن يجب أن يحدث شيء بيننا..

-شيء مثل ماذا..

نفخ خديه بنفاذ صبر لتخطر على باله فكرة وينهض ليطفأ الإنارة ويظل ضوء خافت لتقول ليينا:

..لما أطفئت الإنارة، لا أحب أن أنام على العتمة..

أجاب ساخراً:

..لا لا لن ننام، اسمعي أنتِ فقط أغمضي عينك..

ضيق عيناها لتقول:

..لماذا ها، أتريد تبديل ملابسك..

ضحك قائلاً:

..فقط أغمضي عينك ولن تشعرين بشيء بعدها..

ظلت تنتظر له بحذر وتعجب في أن واحد ليرد لها:

..والله ليس مقلب، أغلقي عينك فقط وبعدها ستعلمين كل شيء، هناك من ينتظرنا ياحمقاء هيا..

نفخت خديها بقوة وما هي إلا ثواني حتى اقترب منها سامي ببطء ووضع شفتيه على شفتيها لتجحظ عيناها بقوة ويتوقف عقلها عن العمل ..

خالف توقعاتها وكذب عليها عندما قال لها أنها لن تشعر بشيء .. فد في الواقع هي شعرت بشفتيه تلحمان بشفتيها ومن ثم جعلها تشعر بالسعادة ليأخذها برفقته إلى عالمها الوردى ..

"ولأجلك تركت الهوى فلا هوى بعدك يهتوى، نويتك بيني وبين نفسي صادقاً ولكل امرئ مانوى"

---

دخلت عليه لتقابله ببرود قائلة:

..انهض، العشاء جاهز..

نظر لها وهو يرتشف من كأسه قائلاً:

..اغربي عن وجهي، لا أريد أن أكل..

تنهدت ببأس لتتوجه ناحيته وتجلس بجانبه قائلة:

..أنت لا تأكل كثيراً وهذا لا ينع، يجب أن تنهض لتأكل هيا..

وبغضب كبير رمى الكأس بعنف ليتحطم إلى أشلاء ويهب واقفاً ليقول بحدة:

..ألا تفهمين يا هذه، قلت لك لا أريد أي طعام، هيا اغربي عن وجهي..

أنهى جملته بصراخ لتنهض سلمى وتخرج فوراً من الغرفة .. ليظل زياد واقفاً مكانه وهو يتنهد بحدة ليضرب على المرأة الكبيرة بغضب كبير والتي كانت أقوى من أن تتهشم بقبضته .. ليشعر بألم بيده ولكنه تجاهل الأمر ..

منذ شهران وهو يبحث عنها .. لقد كثرت المشاكل بينه وبين ابنه فقط لأجلها .. هزأه وعاتبه ووبخه على مافعله بها وزين لما يقابله سوى بالبرود فقط ..

يريد أن يعلم أين هي .. يريد أن يطمئن عليها ويراهم لتهدأ نيران قلبه المشتعلة بصدرة ..

منذ ذهابها وكل من في المنزل يتذوق جحيمه .. لا يستطيع أحد أن يحدثه بكلمة مخافة من صب جنونه عليه ..

مسح على وجهه باضطراب ليحبيب على هاتفه بغضب والذي له حصاة يرن وهو متجاهلاً إياه:

..ماذا تريد معين..

وبكلمة واحدة جعله يأخذ سترته ويرتديها ويخرج من المنزل بسرعة البرق ذاهباً للعنوان الذي أعطاه إياه ..

-----  
طرقاات عنيفة على الباب جعل ذلك الجالس ويتفحص هاتفه ينهض فوراً وهو متعجباً لطريقة الطرق العنيف  
ليفتح الباب ويرى زياد أمامه يناظره بحدة ..

في هذه اللحظة للصراحة ميسم لم يعلم بماذا يشعر .. لا ليس الخوف من تمكن منه على نفسه بل على شهد فقط  
..

زياد بنبرة لؤم وحادة:

..ألن تقول لي تفضل..

أشار له بالدخول ليدخل فوراً ويجلسان في الصالة قائلاً زياد بدون مقدمات:  
..أريد شهد..

تنهد ميسم ويتمالك نفسه ليحدثه بابتسامة:

..ماذا تحب أن تشرب..

كز على أسنانه ليقول بغضب:

..لا أريد أن أتسمم شيء، أريد شهد، أنا أعلم أنك تخبئها..

ابتسم ميسم بثقة قائلاً:

..لو كانت تريدك لكانت قد لجئت لك..

وبانفعال شديد هب واقفا ليقول:

..وما شانك، وبماذا تخصك هي، فلتوصلني إليها ولا شأن لك بالباقي..

لم يجبه فقط ظل ينظر له ببرود ليردف زياد:

..وانتبه أنا الآن أحدثك رجل لرجل وليس رجل لضابط، تركنا لك الفرع لتتحدث به وتأمر بما تشاء، الآن أنا  
هنا من يتحدث وأنت من سينفذ أسمعت..

ابتسم ميسم قائلاً:

.. واثق كثيراً يا سيد زياد، أنت تعلم أن باستطاعتي أن أفعل بك ما أشاء، أن ألق لك تهمة وأزجك في السجن ولن يقول لي أي شخص شيء..

-أوه هذا هو عملك إذاً، لكي تزيحني عن طريقك تُلَق لي تهمة وتسجنني كي تخلو لك الأجواء معها أليس كذلك..

أنهى جملته بصراخ ليقول ميسم بهدوء وبرود:

..صوتك ياسيد زياد، ثم أنني لا حاجة لي بها ولدي زوجة وعائلة، الفتاة لجنت لي وأنا بدوري سأظل بجانبها إلى أن تستقر وتكون مع الشخص المناسب..

-أها وأنت ترى أنني لست الشخص المناسب أليس كذلك..

باستفزاز كبير أجابة ميسم:

..أنت الشخص المريض الذي قلب حياة شهد لا أكثر ولا أقل..

ولإنه استطاع ميسم أن يضع يده على وجعه لكمه بقوة ليسقط أرضاً مما جعله يهب واقفا ليقول بغضب:  
..والله لو لم تكن عجوز خرف وبعمر والدي لكنت أريتك ما ليس بالحسيان..

أيضاً أشعل فتيلة غضبه ليعاود لكمه ومن ثم حدثه ببرود:

..أنا المخطأ لأنني أتيت وحدثتك بهدوء، عموماً سأجدها بنفسني وحالما أجدها والله لن ترى إلا المشاكل في حياتك..

وخرج من المنزل بأكمله بعد أن سمع كلمات ميسم الغاصبة ولكنه تجاهله ليمسك ميسم هاتفه ويطلب رقم علا ويحدثها أن تظل اليوم عند شهد لأن له عمل مهم ..

حسناً يريد أن يتحدى ميسم ويريد أخذ شهد وهذا ما لن يحلم به ولن يوصله لها ولو طبقت السماء على الأرض

..

---

في ذلك المنزل الكبير والذي يخرج منه الجلبة والصوت المرتفع .. كان يتحدث بعصبيّة وغضب مفرط قائلاً:

.. ما اللعنة التي اقترفتوها أبي، كيف تدعها تخرج من المنزل، كيف تطردها، كيف تطرد ابنتك أريد أن أفهم..

أجابه والده ببرود:

.. لا تجلب سيرتها على لسانك بعد اليوم، أنا لم يعد عندي سوى ولد واحد، شهد لا أريدها أبداً..

أجابه شادي بغضب:

.. اها، شهد لا تريدها أبداً، لأنها ابنة شوارع كي تتحدث عنها هكذا، لعنة هي ها..

امتعض والده وقلب عيناه ليردف شادي:

.. حسناً أبي، إذاً اعتبر أنه لم يعد لك أولاد نهائياً، مارأيك..

أشعل فتيلة غضبه بهذا الكلام ليقول بحدة:

.. شادي لا تنفوه بكلام يغضبني أسمع، أختك لم تعد مننا، انسى أمرها..

-أنت قلتها أختي، ولن يكون بي ذرة شرف إن تخليت عنها وتركتها دون أن أعلم عنها أي شيء..

أنهى جملته بانفعال وصراخ لتجحظ عينان والده قائلاً بصدمة:

.. يعني أنا الذي بلا شرف، أهذا مقصدك..

صمت شادي ولم يجيبه ليصرخ به مردفاً:

.. أجبني، لما صمت..

حدثه بانفعال:

.. ما كان يجدر عليك التخلي عنها أبي، الآن أين سنجدها، من أين سنعلم لها طريق، منذ شهرين وهي خارج منزلك ولم تكلف نفسك للبحث عنها، أريد أن أعلم كيف تستطيع أن رأسك على الوسادة وابنتك ليس معروف لها طريق..

-لا يهمني أين من ذهبت، وسأقولها للمرة الثانية انسى أمرها، هل فهمت..

-لا لم أفهم، وليكن في علمك إذا شهد لم تعد إلى هنا أنا لن أريك وجهي بحياتي كلها..

حاولت تهدأة نفسه ليقول ببرود:

..أنت أصلاً لما عدت، أولم يجب عليك البقاء مع خطيبتك..

أجابه بسخرية:

..أي خطيبة أبي، لقد تركتها، لذلك والدك غضب مني وهزأني وأنا تركته وغادرت، لم أعد أطيق أن يتحكم بكل شيء يخصني..

همهم له بحدة قائلاً:

..الآن لم يعجبك جدك أليس كذلك..

-منذ زمن وهو يتحكم بحياتي وأنا أصمت وأفعل له كل ما أريد، حتى تخصصني في الجامعة كان اختياره هو، أما أن يزوجني وعلى ذوقه بفتاة لا أحبها هذا مستحيل، حاولت أن أقنعه لأتركها ولكن لا حياة لمن تنادي..

حرك رأسه موافقاً ليقول:

..تمنيت لو واحد منكما يريحني فقط ولا يجلب لي المتاعب، اثنانكما أضرب من بعضكما أنت وأختك..

أجابه بلا مبالاة:

..حسناً هذا أفضل، أنا سأبحث عن شهد ولن أعود إلا بها، وإن عارضت عودتها لن تراني في حياتك، وها أنا قلت لك..

وبسرعة البرق خرج من منزل والده حاملاً كمية كبيرة من الغيظ والغضب ليتوجه فوراً إلى منزل زين ..

دقائق وكان يطرق الباب بعنف لتفتح له الخادمة ويدخل إلى المنزل بغضب ويرى أمامه زياد قائلاً:

..أين ابنك المدلل ها..

حدثه زياد وهو ينفث دخان سيجارته ببرود:

..في حبيتي..

تحدث بتهكم:

..ظننته في مؤخرتك، فليأخذك الله أنت وهو، فعلا ابنك مثلك تماماً بنفس دنائتك وحقارتك، لطالما قلت لأبي لا نريد نسب زياد اللعين فهو أوسخ من عليها ولكنه لم يستمع لي..

زياد باستفزاز:

..وهل يُرد على كلام الصغار..

كز على أسنانه ليتقدم منه ويحدثه بحدة:

..اسمعي يا هذا، أختي تشردت في الشوارع بسببك وبسبب ابنك الحقير ولن أخرج من هنا إلا وزين منقولاً إلى المستشفى، فقط لكي أعلمك أنت وهو كيف تعاملون بنات الناس..

وما إن أنهى جملته حتى صار يصرخ باسم زين ليخرج له زين بتعجب ويهبط إليه فوراً قائلاً بعصبية:

..مابك يا هذا، ما الذي يحدث معك..

بغضب تحدث وهو يتوجه ناحيته بسرعة:

..ستعلم ما الذي يحدث معي يا حبيب أبيك..

وجه له لكمة ليسقط على الأرض ولكنه انتفض واقفاً وهو يناظره بحدة ليسدد له لكمة وبدأن اثناهما بالشجار .. هذا يسدد لكمة لهذا وهذا يسدد ضربة للثاني ..

لم يتدخل زياد فهو يعلم أن ابنه بحجم هذا الشجار ولكنه بحركة لعينة منه استدعى الشرطة فوراً ..

ولم ينتهي شجارهما الدامي إلا عندما وصلت الشرطة وأدخلهم زياد ليُدعى على شادي قائلاً لأحد رجال الشرطة بعد أن أوقفوهما عن الشجار:

..هذا من اعتدى على ابني وضربه في وسط منزلنا، وابني طبعاً دافع عن نفسه..

تحدث واحد من الشرطة موجها حديثه لشادي:

..في الفرع سنعلم كل شيء وسنلعمك كيف تتعدى على أحد..

شادي بعصبية وهو يمسح فمه من الدماء:

..أجل ولتحاسب هذان الاثنان اللذان سيبأ بخراب حياة أختي..

وبعد القيل والقال وبعد ان علموا ما علاقة شادي بزين وزياد أخذو ثلاثتهم للفرع كي يتم التحقيق ومعرفة سبب الشجار ..

-----

في الفرع

كانا اثناهما واقفين أمام الضابط وزياد وبسام والد شادي الذي ما إن علم حتى هرول إلى ابنه فوراً .. كانا معهما أيضاً لتبدأ الاسئلة عن ماسبب الشجار ولكن شادي لم يتحدث إنما زين من تحدث:

..لا أعلم، ربما لإنني طلقت أخته..

بانفعال أجابه شادي:

..أختي أحسن من عائلتك كلها يا لعين..

-هيبى اهدئا، أين تظنان نفسيكما واقفان..

صمت الاثنان ليوجه الضابط سؤاله لزياد:

..ما سبب الشجار سيد زياد، ولما شادي تعدى على ابنك..

تنهد زياد قائلاً:

..ربما لإن ابني طلق أخته..

نظر له شادي بحدة ليقول الضابط:

..حسناً، وأنت يازين أتريد الادعاء على شادي..

-بالطبع سأدعي عليه، ألا ترى وجهي، اللعين لم يرحمني ونزل علي بالكلمات..

-حسناً حسناً..

وبما أن زين ادعى علي شادي فقد ظل بالفرع وتم سجنه .. حاول بسام التدخل ليخرجه ولكن لم يفلح .. وحاول إقناع زين أن يسقط عن حقه وأيضاً لم يفلح .. ليخرج بكل غضب من الفرع ..

رأهما سيصعدان في السيارة ليصبح قائلاً:

..تستطيع أن تعد نفسك حقير وابنك أحقر منك يا زياد..

ابتسم زياد ببرود ليحيب زين عنه:

..وأنت تستطيع أن تلم ابنتك من الشوارع لتعيد تربيتها..

انفعل بسام وأراد أن يحطم رأسه ولكن وبحكم أنهم مازالوا أمام الفرع لم يفعل شيء سوى التجاهل والصعود في سيارته ..

بينما زياد فما إن سمع جملة زين حتى ناظره بغضب لينظر له ببرود ويقول:

..أتريد أن ننام هنا أبي..

ركب بالسيارة ليركب زين بجانبه ويتوجهان إلى المنزل فوراً دون أن يحدث إحداهما الآخر ويدخل كل منهما الغيظ والغضب والندم ..

"عساها تطارك رائحتي ..ويحتجزك حضني

وتخذلك النساء جميعهن

فتعود منكسراً إلي"

---

كان جالساً في غرفته وعلى سريره يفكر بتلك الصغيرة التي شغلت عقله وقلبه منذ زمن طويل .. حتى بعد رحيلها مازالت تشغله .. حتى بعد كل ما بدر منه اتجاهها وظللك لها هو يفكر بها ولم يستطع نسيانها أبداً ..

شيء ما بداخله يحدثه أن يبحث عنها ليعيدها إليه ولكن ما إن يتذكر ما فعله والده وهي حتى يعود لكرهه وغضبه عليها ..

دخلت رؤى إليه لتجلس بجانبه وبكل برود تحدثه:  
..أريد الطلاق..

امتعض ليقول بكل بساطة وبرود:  
..كما تريد..

نظرت له بذهول ولم تتحدث .. أل هذه الدرجة مستقلاً وجودها في حياته .. على الأقل يحاول فهم السبب لمطالبتها بالطلاق ..

احتدت نظرتها قائلة:  
..بكل بساطة يعني..

-ماذا تريد أن أقول لك مثلاً، أرجوك لا ابق معي أنا لا أستطيع العيش بدونك ومن هذا الحديث، اخرجي من رأسي وبالمرّة أنت طالق هيا اذهبي..

وبذهول اكبر وشهقة خافتة خرجت منها لتحدثه بغضب بعدها:  
..حسناً يا ابن الأكاير، ستري، والله لأدفعك الثمن غالي أنت والدك اللعين..

أشعلت فتيلة غضبه لينهض ويمسك معصمها بطريقة حقاً مؤلمة لتطلق تأوه قوي قائلاً بحدة:  
..وما شأن أبي لتتوعدين له أيضاً..

أجابت بحدة وغضب:  
..والدك أسفل منك، هو السبب بكل شيء..

وبارتجاف وغضب طفيف منها حدثته بكل شيء خطط له زياد وكيف أنها ساعدته بكل ما طلبه منها لتتنزل كلماته عليه كالصاعقة ..

حالما انتهت من حديثها وصمتت حتى تملك الخوف منها من ردة فعله لتجمع أغراضها بأقصى سرعة وقبل خروجها حديثه:

..لن أتنازل عن حقوقي، موعدنا في المحكمة..

وخرجت فوراً من المنزل بأكمله .. رأت زياد في طريقها والذي ابتسم بخبث حالما رآها ولكنها تجاهلته وهربت منه هو الآخر ..فإن علم بما تفوهت به أمام زين سيحول حياتها لجحيم ..

هبط زين فوراً إلى والده وهو يصرخ قائلاً:

..لماذا، لماذا فعلت هكذا أبي لماذا..

علم أنها أخبرته ما إن رأى انفعاله وغضبه ليحاول تجاهله قدر الإمكان وعدم التكلم بهذا الحديث كي لا يخسره ليردف زين بغضب:

..أفهمني لما فعلت ذلك بشهد، لما سممت عقلي وجعلتني أخسرها ها..

تنهد بقوة ليقول ببرود:

..ليس لدي أي كلام لأقوله، ولكن كما خربت حياتك سأعود وأصلحها من جديد، أنا أبحث عنها لأعيدها لك، لا تقلق..

حرك رأسه بنفي وبسرعة قائلاً بحسم:

..لا أبي، هذه المرة أنا من سيجدها وأنت لن تقترب منها ولن تتعرف عليها حتى..

أنهى جملته بغضب هادر وصراخ ومن ثم خرج من المنزل بأكمله ليبحث عنها .. يعلم جيداً أن الأوان قد فات خصوصاً بعد أن بعثت له بتلك الرسالة يوم خروجها من منزله وتجاهله لها .. ولكن ومع كل ذلك سيبحث عنها ويحاول جاهداً أن يصلح كل شيء .. ولكن هل الذي كُسر يعاد إصلاحه ..

---

في اليوم التالي وفي الصباح الباكر فوراً توجه زين إلى الفرع ليسفط عن حقه ليخرج زين .. وبالفعل خرج دون أن يريه زين وجهه ..

وبينما كان يقود لوجهة لا يعلمها ولا يعلم حتى من أين سيبدأ بالبحث عنها اتاه اتصالاً هاتفياً من رقم غريب ليحجب ويتوجه فوراً إلى الوجهة التي استدل عليها ..

-----

كان جالساً بتوتر وهو يفرقع أصابعه منتظراً ميسم لينتهي من عمله ويأتيه فقد أخبره أنه يريد بموضوع ضروري .. خصوصاً عندما ذكر اسم شهد ..

دخل عليه ميسم ببرود ليلقي عليه التحية ويجلس امامه قائلاً:

..من دون مقدمات، أنا أعلم بكل شيء يخصك أنت وشهد، شقيقها صديقي وهذا ماجلني أساعدها وأحاول أن أحل لها مشكلتها..

ابتلع زين ريقه بصعوبة ليقول:

..أريد ان أراها، سأعترف منها، سأقبل يديها كي تصفح عني، والله لم أعد أريد شيء غير أن أصلح علاقتي بها وأسعدها..

ابتسم ميسم ببرود ليقول:

..أساساً ماكان يجدر بك أن تظلمها وتصدق والدك، عموماً هذا ليس حديثنا، أنا لم أقول لها أي شيء ولم أحدثها بأنني سأدلك عليها، أنا خائف عليها جداً ولإنني غريب ولا تربطني بها أي صلة قررت بعد التفكير كثيراً أن أتواصل معك، لربما أنت ظلمتها أجل ولكن أيضاً لربما ظلمك لها كان نابع منك دون الشعور به، ربما الصدمة كانت كبيرة عليك وأنتك من والدك وزوجتك لذلك تعاملت مع هذا الموضوع بهذا الشكل..

ابتسم زين بسخرية مجيياً:

..وربما لإنني لم أجرؤ على مواجهة أبي إلى الآن، ربما لإنني تمنيت فعلاً أن تكون شهد الخائنة وأخرجها من حياتي وأكسب أبي، أبي الذي اعتبره قدوتي في هذه الحياة، كنت أقنع نفسي أن شهد المخطئة وأبي المظلوم، كنت أعني نفسي متقصداً ذلك كي لا أخسر والدي، أعلم أنني ظلمتها كثيراً ولكن كنت أقولها بنفسني شهد ستستمر بحياتها، ستلتقي بشخص أفضل مني وتكمل حياتي معه، أجل سيؤلمني هذا الشيء سيغضبني ويشعل الغيرة بقلمي ولكن يظل فقداني لها أفضل من فقداني لوالدي..

مسح دمعته التي خانته ونزلت ليبتسم بعدها ويقول:

..كنت كالكسبر الذي لا يعي شيء، أو كالأعمى الذي يشعر ويسمع ولكن لا يرى خبث البشر، يشعر به ولكن لا يراه، الآن علمت أن الحقيقة فوق كل الأشخاص ولا تعلم والدي أم والدتي أم زوجتي، أنا الأحمق الذي سيدفع الثمن أنا..

ابنسم ميسم لوصفه وحديثه قانلاً:

..تستطيع أن تعيد ترميم ماهدمته يازين، ولكن انتبه ستتعيب كثيراً، قلت لك أنا لم أحدثها بشيء ولم أقل لها شيء، وبصراحة لو لم يأتني والدك البارحة ويطالبني بها لما كنت طلبتك..

بذهول أجابه:

..والذي طالبك بها..

همهم لها مجيباً:

..أجل ولا أعلم كيف عرف أنها عندي، أريدك ان تيعدها عنك، الفتاة تعبت كثيراً منه ومن مشاكله، حدثتني ماكان يفعله بها وكيف كان يقحمها بالمشاكل ليقبلك ضدها، أعدها إليك واحرص عليها بنفسك زين، أعد لها الثقة بك من جديد، شهد تحبك كثيراً ولكنها مجروحة منك، رمم لها جراحها واحرص عليها جيداً..

صمت عم بالمكان بعد أن دار هذا الحوار بينهما .. شعر وهو يسترجع لحظاته القاسية مع شهد أن شكله قبيح .. كلامه قبيح .. حتى قلبه أصبح قبيحاً جداً .. أقسم بالله أنه فارغ تماماً .. وممتلئ أيضاً .. فارغ وجعبته فارغة من كلمات الاعتذار التي لا يعجم كيف سيقولها لها وممتلئ بالذنب والأفعال القبيحة بحقها ..

---

كان حسام جالساً في غرفته في منزل والدته والتي أخذها منذ عودته إلى البلاد .. ويا ليته لم يعد ..

زوجته التي طلبت الطلاق حالما فجر إيهاب تلك القنبلة في ذلك اليوم والتي لم تتنازل عن رغبتها بل ذهبت ورفعت قضية عليه وبالفعل طلقها وبقي ابنه معها ..

أم شقيقته التي علم مافعلته بذلك الذي يدعى مصعب وكيف عاد ليشوهها وتجمعوا سكان الحي على صراخه وعلموا بقصته وصارت سيرة أخته على كل لسان .. والأدهى أنهم صاروا يتهامسون عليه كلما رأوه ..

أم شقيقه الذي هاجمه ولم يعد يريد وأصلاً لم يعد يريد وجهه وقاطعهم ومنذ شهرين وهم لا يعلمون عنه شيء بعد أن طلق زوجته وخرجت من منزله لتذهب وتقيم عند ابنة عمها ريثما ينتهي جواز سفرها وتساقر إلى أهلها المقيمين في تركيا ..

كل الهموم قد نزلت عليه في آن واحد .. هو عاد إلى البلاد لينهي حساباته مع سناء أجل .. لم يكن يعلم أن الحسابات هي من تنتظره ..

تنهد بضيق وضجر لتدخل عليه جهاد بوجه باكي .. ابتسم لها بحنو ليشير لها بمعنى اقتربي وترتمي هي بأحضانها فوراً باكية ..

هدأها وسايرها ليمسح على وجهها قائلاً:

.. ما بها الأميرة تبكي..

أجابت ببيكاء وخجل:

.. لسببين، الأول أنني خيبت آمالك جميعاً بي، والثاني لأن أهالي الحي جميعهم يتحدثون عني بالسوء، لقد صارت سمعتي بالأرض..

أنهت جملتها بخفوت وبيكاء ليحتضنها ويقول:

.. لربما أخطئي، ولربما كان يجب عليك التصرف بغير مافعلتيه، ولربما يتحدثون عنك بالسوء ولكن كل هذا لا يجب أن يضعفك، على العكس يجب أن تكوني أقوى لكي تتجاوزي هذه المحنة، وأنا مازلت واثقاً بك وفخوراً بك أيضاً، أجل أنت دمرت مستقبله وشوهتي وجهه ولكن هو أيضاً شوه سمعتك وجعلك تخسر بين أحلامك ودراستك ولفق عليك الكثير من الأكاذيب مما جعل ردة فعلك تكون قاسية وحسابك معه أفسى، برأيي يستحق لأنك لم تكوني الفتاة الأولى التي يفعل بها هكذا..

كلمات شقيقتها جعلتها تشعر بارتياح كبير وتبتسم من بين دموعها لتقول بخفوت:

.. يعني ستحميني منه، لن تدعه يقترب مني..

ابتسم قائلاً وهو يمرر يده على شعرها:

.. سأظل حارسك الشخصي وإن غفلت عنك الله هو من سيحميك، توكلني على الله ومن ثم علي..

اتسعت ابتسامتها لتتحول إلى ضحكة وتحتضنه بقوة وبطريقة عنيفة كما كانت تفعل معه في السابق .. ليضحك هو عليها ويستقبلها برحابة صدر .. نعم هو كان بحاجة أكثر منها لهذا الحزن وبصراحة اثناهما استشعرا الدفئ من حوارهما ولكن دواخلهما كانت النفوس تصرخ وهي مليئة بالخيبات الكثيرة والمخاوف العديدة ..

فتحت الباب بعد أن سمعت أنه يطرق لتراه واقفاً أمامها .. ابتلعت ريقها حالما رآته أمامها وظلت تناظره بتفاجئ  
لبرهة ومن ثم حاولت إغلاق الباب في وجهه ولكنها فشلت لأنه منعها ودخل عليها بالغضب ..

صرخت ما إن رآته يدخل ويقفل الباب عليهما قائلة:

..ماذا تظن نفسك فاعل، هيا اخرج من هنا هيا ..

ابتسم بخفة مجيباً:

..أريد أن أتحدث معك ..

-لا يوجد كلام بيننا هيا اغرب عن وجهي، لا أريد رؤيتك ..

أمسكها من معصمها وأجلسها على الأريكة ليجلس هو بالمقابل وتقول له:

..من أين علمت بمكاني ها ..

زين بابتسامة:

..فاعل خير دلني على مكانك ..

-إن كان ميسم فسأخرج من منزله وأخرج من حياة الجميع أيضاً ..

-لقد عاد شادي ..

شهقت بخفة عندما سمعت بجملته لتقول بلهفة:

..حقاً، يا إلهي اشتقت له كثيراً ..

همهم لها قائلاً:

..سنعود لبعضنا ..

عادت لحدثها وغضبها قائلة:

..في أحلامك، أنا لن أعود لك ولو طبقت السماء على الأرض، لن يلزمني شخص ظالم ولعين مثلك..

عض على شفته وهو يحرك رأسه بإيجاب قائلاً:

..معك حق، كل ماستقولينه حقا، ولكن أريد فرصة، فرصة واحدة فقط..

-والله ولا فرصة، لا تحلم بعودتي، أنا أفضل العيش بالشارع ولا أعود لك..

-شهد افهميني، أنا كنت تائه عن الحقيقة ولا أعلم كيف بدر مني كل ما فعلته بك، أرجوك أنا مستعد أن أنفذ أي شيء تطلبينه..

-الذي سأطلبه منك هو خروجك نهائياً من حياتي ولن أقول أكثر من ذلك..

-لن نعود إلى منزل والدي، سنعيش بمنزل بمفردنا ولن نعود للمشاكل أبداً، سأبعد والدي عنك قدر المستطاع..

شهد بانفعال وغضب:

..ومن قال لك أن مشكلتي هي والدك المريض فقط، مشكلتي أنت، أنت الذي لا يثق بي، أنت الذي ظلمتني وصدقت كل الأكاذيب التي قيلت عني، لم يعد لي ثقة بك، أنت من خسرتني ولست أنا، أنت من لم تترك فرصة لنفسك، دعني وشأني فقط..

تنهد بقوة لينهض ويجلس بجانبها .. حاولت النهوض والابتعاد عنه ولكنه أرغمها على الجلوس جانبه ليمسك يديها الاثنتين ويقبلهما قبلا متتالية:

..أولاً أنا أعتذر لكل مرة ظلمتك بها..

ترك يديها ليقبل جبينها ويردف:

..وثانياً أعتذر لكل خيبة مررتي بها بسببي ومن خلالي..

قبل عيناها وهي ساكنة أمامه ليردف قائلاً:

..وثالثاً أعتذر لكل مرة صدقت والدي ولم أصدقك..

قبل وجنتيها بخفة لتهبط دموعها قائلاً:  
..ورابعاً أعتذر لكل مرة بكيتي بها بسببي..

إلى أن وضع شفتيه على شفتيها ليقبلها بهدوء ومن ثم ابتعد وأسند جبينه على جبينها قائلاً:  
..وخامساً أعتذر لإنني كنت معك لعين وابن لعين ومن نسل لعين ومن عائلة لعينة أيضاً..

شهقت بكاء وهي تستمع لكلماته واعتذاراته لتبتعد عنه وتستدير لتعطيه ظهرها وتقول بكاء:  
..كل كلامك واعتذارك لا يساوي شيئاً أمام ما فعلته بي ولا يبرر لك أفعالك، أنا تذوقت المرار منك ومن والدك  
وفي الأخير تخليت عني وتزوجت غيري..

أدارها لتصبح مقابلة له مجيباً:  
..أنا طلقت رؤى، والله طلقته ولم أعد أريدها، أساساً أنا لم أكن أريدها ولكنني تزوجتها لأغظك..

عقدت حاجبيها بتعجب لتقول:  
..وكيف طلقته وهي حامل..

كلماتها نزلت عليه كالصاعقة ليقول بصدمة:  
..وما أدراك أنها حامل..

-زوجة ميسم قالت لي عندما أخبرتني أنك طلقته في المحكمة..

مسح على وجهه باصطراب ليحرك رأسه بنفي قائلاً:  
..لا لا لا، أكيد هناك خطأ، ليست حامل لا..

ابتلعت ريقها لتقول:

..اذهب وأعدّها إليك ودعني وشأني أرجوك زين..

نظر لها لبرهة ليحرك رأسه بإيجاب ويقول:

..سأذهب ليس لكي أرجعها ولكن لكي أقلب حاتها جحيم إن كانت فعلاً حامل، وبالنسبة لك ستعودين معي شنتي  
أم أبيتي..

أنهى جملته وخرج من المنزل متوجهاً بسرعة البرق إليها ليتأكد من صحة كلام شهد وهو يتمنى كل المنى أن لا تكون فعلاً حامل .. لأنها إن كانت حامل ستفشل كل مخططاته ولن يكسب شهد بسهولة ..

"لماذا أراك على كل شيء .. كأنك في الأرض كل البشر

كأنك درّب بغير انتهاء .. وأني خلقت لهذا السفر

إذا كنت أهرب منك إليك

فقل لي بربك أين المفر "

---

دخل عليه بوجه جامد وقلب يدق بعنف .. ليراه ممدداً على سرير مهنّدم وأنيق وهو مغمض العينين ..

تنهد حالما رآه نائماً ليقترّب منه بخطوات بطيئة وينظر لتقاسيم وجهه بعناية .. يفصّل وجهه بنظراته إنشأ إنشأ ..

لحيته الكثيفة .. شاربه المبعثر .. خصلات شعره التي باتت خفيفة وكادت أن تظهر صلّته .. وجهه المليئ بالتجاعيد التي حفرها الزمن والذي كان يمر عليه كل يوم بسنة لتخرج منه رجل بانس أشبه للمشردين ..

وبتردد مد يده ليضعها على جبينه وما إن شعر ذلك الرجل بيد على جبينه حتى فتح عيناه ببطئ لتأتي عينه بعين زياد ..

رمش عدة رمشات محاولاً استيعاب ما يحدث وأين هو وما الذي أوصله إلى هذه الحجرة المرتبة والأنيقة ..

ليقول زياد بتردد:

.. ما اسمك ..

ناظره باستغراب عاقداً حاجبيه ليردّف زياد:

.. ألا تستطيع التحدّث ..

حرك رأسه بإيجاب بمعنى بلى ليقول له:

..إذاً ما اسمك، ومن أين أنت، وأين تقيم، حدثني عنك..

عقد حاجبيه ليحرك رأسه بنفي ليتنهد زياد بضيق ويقول:

..ألا تعلم من أنت وما اسمك، قلت لي أنك تتحدث، حسناً هيا حدثني عنك..

وبصوت أشبه للهمس ويتعب سأله:

..من أنت، وماذا تريد مني..

-أنا اسمي زياد الوكيل، أريد أن أعلم عنك كل شيء..

سرح ذلك الرجل قليلاً محاولاً تذكر ماحدث معه آخر حدث وبالفعل تذكر .. هو أغمي عليه من شدة الضرب من معين وإيهاب في وقتها ومن حينها لا يعلم بأكثر من ذلك ..

تنهد زياد بعمق قائلاً:

..أنت اسمك جهاد محمد سالم محفوظ، أليس كذلك.

عقد حاجبيه بتعجب ليقلب شفته بعدم معرفة ليتنهد زياد بنفاذ صبر ويقول:

..أريدك أن تتذكر من أين أتيت، أين تقيم، وهل لديك عائلة، هل لديك أولاد، حدثني..

وأيضاً لم يجيبه لأنه ببساطة لا يعلم شيء عن نفسه .. هو حتى اسمه ناسياً له فكيف سيجيبه عن كل هذه الاسئلة ..

دخل عليه معين ليتقدم منه ويقول:

..ماذا حدث..

أغمض عيناه بقوة ليقول بحق:

..لم يحدثني بشيء لأنه لربما لا يتذكر أي شيء، ناسياً تماماً كل شيء حتى اسمه..

همهم معين قائلاً:

..حسناً مع الوقت ومع الاهتمام الذي سيراه منا سيتذكر كل شيء، لا تقلق..

انتفض واقفا ليقول بغضب:

.. وهل سأظل منتظراً إياه لكي يتحنن علينا ويتذكر، يجب أن يتحدث يجب أن ينطق ويحدثني عن ماضيه، أريد أن أعرف عنه كل شيء..

أجاب معين بعملية:

..حسناً سأبحث عن موضوعه لا تقلق، إن لم يتحدث فأنا سأعلم كل شيء يخصه..

حرك رأسه موافقاً ليلقي نظرة أخيرة عليه ويراه يناظره بهدوء ليخرج من الغرفة فوراً ويتقدم منه معين قائلاً بابتسامة ساخرة:

..ستتعبنا كثيراً ولا أعلم ما سر اهتمامك يا هذا..

حدثه الرجل:

..أريد ماء..

همهم له قائلاً:

..دقيقتان وسأجلب لك الطعام والماء والدواء، تمتع بخدمة خمس نجوم..

ألقي نظرة ساخرة عليه وخرج أيضاً من الغرفة بينما ذلك الرجل ابتسم عليهما بسخرية ومن ثم تحولت إلى ابتسامة خبيثة وهو شاعراً أنه فعلاً يتمتع بخدمة خمس نجوم ..

---

بعد مرور عدة أيام

لم ترى شهد وجه زين ولم تسمع عنه خبر .. كان منغمساً بقصة تلك التي علم أنها أجهضت الطفل .. نعم هو لا يريد منها أطفال وحتى هو كان سيطلب منها إجهاضه ولكن أراد أن يعلم ما السبب وبالفعل علم بالسبب ..

فهي بكل بساطة حدثته أن والده من طلب منها ذلك لتخرج من حياته وما كان من زين سوى الغضب والصراخ عليها وفي اليوم التالي ذهبا إلى المحكمة لتتم إجراءات الطلاق كاملة ويدفع لها حقوقها كاملة ..

كان متردداً جداً من العودة لها .. يعلم جيداً أنها لم تغير رأيها وأنها مازالت على موقفها ولكن ومع ذلك سيحاول .. سيفعل لها كل ماتريده .. سيربها ندمه وأنه مستعد لإصلاح كل شيء تسبب بخراجه ..

ذهب إليها مجدداً ولتستقبله مجدداً أيضاً بامتعاض وغضب .. علماً أنها في يوم مجيئه إليها أول مرة كانت قد تشاجرت مع ميسم وأحدثت جلبة بسبب أنه دل زين على مكانها ولكنه بأسلوبه الهادئ والرزين استطاع تهدأتها وإيقاف انفعالها ..

جلسا سوياً وبدأ الحديث عن رجوعها إليه ولكنها ظلت معاندة ورافضة الفكرة ..

تنهد زين بحنق قائلاً:

..ما الذي أفعله لك لكي ترضين، فقط أخبريني..

بحفاء ولهجة حادة أجابت:

..أن تبتعد عني فقط، لا أريدك ولا أريد أن أرى وجهك بعد اليوم، دعني وشأني..

ابتسم على ردها ليقول بثقة:

..أنت لا تستطيعين التخلي عني شهد، أنت تحبيني، مازلتي تحبيني ومازلتي تفكرين بي ومازلت أعني لك الكثير ومازلت أؤثر بك، لا تنكري وكوني صريحة مع نفسك..

ابتسمت ببرود لتحديثه بنبرة ثابتة:

..لا تكن واثقاً إلى هذا الحد، ما كان انتزاعك مني بتلك الصعوبة التي اخبرتك بها يوماً، لم تكن كانتزاع الروح من الجسد ما أماتني، بل زادني قوة كالأرض والشجرة تماماً، لم يكن العزاء لي يوماً كان لك، وأتمنى لك الأسوء دائماً، فقط بسبب عنهجيتك وغرورك، أنت الآن تشعرني وكأن السيد زياد أمامي..

أجل بجملتها هذه قد أعطته حجمه .. أنزلت من السماء إلى الأرض .. الآن تيقن أن شهد لم تعد كما كانت وحتى أن إرضائها لم يعد كما في السابق هين ..

بابتسامة خائبة أجابها:

..دعينا نبدأ من جديد، كل شيء سيكون من جديد، حتى طريقة تعارفي عليك من جديد..

-تظن أنت أننا قادران على أن نبدأ من جديد، لكن البدايات الجديدة ماهي إلا كذبة.. كذبة نكذبها ونصدقها لنخلق أملاً جديداً يضيء لنا العتمة، فادعاء إمكانية بدأ حياة جديدة ليس سوى مخدر نحقن به أنفسنا لتسكن الآمنا ونرتاح..

ابتلع غصته قائلاً:

..معك حق، أحببتني لكني خذلتك، تخليت عنك ولم أقدرك، رحلت عنك تاركاً جرحاً في قلبك رغم ما تركتني وأعطيتني لي من فرح وسعادة، قتلت فيك حلم الحب وقتلت فيك الأمل بالخيبة ومازلت أنا كما أنا، ولكنك تستطيعين تغييرني، أنا أيضاً خذلت ليس منك فقط ومن والدي أيضاً، والدي الذي كنت أعتبره شيئاً عظيماً في حياتي صار لا شيء، صار إنسان حقاً أخجل به أمام الناس الذي عرفوا بحبه لك..

كلماته لم تؤثر بها بهذا الشكل الكبير لتجيب ببرود:

..لم تكن رغبتني يوماً أن تبادلني ما أعطيك كانت كل رغبتني أن ترى ما كنت أفعله لأجلك، عن كل لحظة أردت أن أشعرك بها أي لطالما كنت هنا وأنت تنظر إلى والدك، عن كل مرة ألقيت بها كلماتك الجارحة واخترت الصبر تجنباً للمشاكل، كانت كل رغبتني أن ترى كم كنت أحبك لكنك لا ترى ولا تحاول أن ترى ذلك، فأنت لا تستحق مني أي عناء لمحاولتي في تغييرك أو الوقوف بجانبك حتى..

ابتسم بيأس وهو يحرك رأسه موافقاً قائلاً:

..أنا حقاً لم أعد أملك في جعبتي أي كلام..

صمتت ولم تجبه إنما اكتفت بإعطائه نظرة تدل على ثباتها وإصرارها على قولها وقرارها ليرد لها:

..فقط قل لي شيئاً واحداً، هل أحببتني والدي، هل هو سبب أنك لا تريدين الرجوع إلي..

أجابت بسخرية:

..أنا أصلاً لا أريد العودة كي لا أرى وجه والدك، ولا أريدك لأنك لم تكن بحجم الثقة والحب اللذان أعطيتك إياهما، وأريدك أن تعرف أن النعم إذا أهملت لا تدوم، وهذا كله من صنع يدك..

-يعني أنت لم تحبين والدي، لم يؤثر بك أبداً، لن تكونين معه..

بانفعال و غضب حدته:

..كيف سأكون معه، ماذا تظنني أنت يا هذا، وما شأنني بوالدك ذاك، أنا لم أعد أطيق والدك الذي في يوم من الأيام اعتبرته كوالدي فقط..

حرك رأسه بإيجاب بابتسامة خائبة لينهض ويقول:

..لربما لم أفلح باسترجاعك لإنني فعلاً أخطأت بحقك كثيراً وظلمتك بشكل لا يتحملة بشر، ولكنني باقٍ، باقٍ على العهد ولن أدعك إلا لأسترجعك وأسترجع ثقتك بي..

ابتسمت بسخرية ليشعر هو بسكاكين تغرس في قلبه فقط جراء ابتسامتها هذه التي رآها منها .. أي أنها تعلم أنه ليس بحجم الثقة .. أي أنه لم يكن الرجل الحقيقي ولم يقف بجانبها .. نزل من عينها وصار لا شيء وهذا مايؤلمه ..

كسرت نفسها كثيراً كي لا تكسره .. عاقبت ذاتها كي لا تمسه حزن بمثقال ريشة .. تمسكت به للحد الذي تملصت فيه من جسدها .. تماسكت أمامه وكأن كل هذه الأحداث ومن تسبب لها بها ليست تنهش أحلامها .. تبادت على الأيام ظناً منها أن لا وزن لها .. وهي التي في كل ليلة تضع فوق عمرها حجراً يكتم أنفاسها .. فتمردت ..

---

جلست بجانبه على السرير قائلة بتساؤل:

..ما الذي سيحدث مع شهد الآن..

تنهد قائلاً:

..لا أعلم، أتمنى أن تعطي لزين فرصة، فهو كان تائه جداً والآن وجد نفسه وعلم خطاه وقرر استرجاعها..

-وهل تظن أنها ستقبل أن تعود له..

-ماتبين لي أنها لم تعد كما كانت، لقد أصبحت قاسية، فزين أخبرني ماحدث ذلك اليوم بينهما ولكن أتمنى أن تعود الأمور بينهما إلى مجاريها..

فلتت ضحكة منها لينظر لها ميسم بابتسامة قائلاً:

..لما تضحكين.

اشتدت ضحكتها لتقول:

..كنت خائفة من أن يكون زين قد طلقها ثلاثة مرات وعندها ستضطر للزواج من غيره لتعود وتتزوج..

ابتسم بحيرة وما إن فهم مقصدها حتى شاركها الضحك قائلاً:

..وكنتِ خائفةً لأن أتزوجها أنا لفترة وأطلقها..

حركت رأسها موافقة وهي تضحك ليقول:

..كم أنتِ بلهاء..

اقتربت منه لتتمدد بجانبه وتنام على صدره محتضناً إياها بابتسامة قائلاً:

..حتى لو كان قد طلقها ثلاث مرات فلن أتزوجها..

-وما الذي سيمنعك..

أجاب وهو يلعب بخصلات شعرها:

..امرأة متمردة وعصبية هي من تمنعني..

بغضب نظرت له قائلة:

..تعني لو كنت مسالمة لكنت تزوجتها صحيح..

ضحك قائلاً بنبرة حب:

..أقصد حبي لك من ينعني عن رؤية أي امرأة سواك أو تبديلك بامرأة أخرى..

ابتسمت بغرور قائلة:

..هكذا غازلني قليلاً يا رجل، لم أسمع من هذا الكلام الجميل منذ زمن..

ضحك قائلاً:

..لم أقصر معك حبيبتي..

ضحكت بالمقابل ليقتررب ويلتهم شفثتها مبادلةً له وما هي إلا ثواني وسمعا طرقات على الباب .. ابتعد عنها وهو يلهث:

..إن كان ذلك الصغير يريد أن ينام معنا فسأركله ليصل إلى سابع سماء..

ضحكت علا لتنهض وتفتح الباب لابنها وما إن فتحت حتى هرول سريعاً ليصعد على السرير ويتمدد بأريحية ويغمض عيناه بينما ميسم يناظره بعينان جاحظة ليقول له:

..لما أتيت، اذهب ونم في غرفتك..

حرك وسيم رأسه رافضاً ليعطيه ظهره ويحتضن والدته التي تمددت بجانبه وهي تبتمس لهذا الموقف الطريف الذي حدث .. كز ميسم على أسنانه قائلاً:

..منذ فترة وأنا مبتعداً عنها ويوم اقتربت منها جائني هذا الصغير، إلهي ما هذا الحظ..

كتمت ضحكتها وأغمضت عينها مدعية النوم أمام ابنها لينام مثلها بينما ميسم ظل يتحدث بكلمات غير مفهومة والغيط يأكل به كون أن ذلك الصغير قد خرب عليهما هذه الليلة والتي منتظراً إياها ميسم منذ فترة ..

"رفعت بعدك سقف دائقتي

حتى ما عاد شيء يعجبني

كنت متواضعة جداً حين أحببتك"

كانت تعلم أن زين سيعود لها وسيحاول معها للمرة المائة وهي لا تريد ذلك .. لم تعد تريد رؤية وجهه ولا حتى سماع صوته .. كل شيء يخصه أصبح يزعجها وللصراحة يضعفها ..

تريد أن تظل على موقفها ولا تضعف لكلامه المعسول وتعود إليه .. ستظل على رأيها فهذا أفضل لها ولقلبها الذي صار متعباً جداً ..

خرجت من منزل ميسم محاولة الذهاب إلى منزل أهلها فقط لتصل إلى أخيها .. تعلم جيداً أن شادي سيقف معها وسيحميها وسيستقبلها برحابة صدر .. فقد كان لها طوال فترة بقائه في منزل أهله نعم الأخ والسند ..

مشيت في الطرقات وفي ظلام الليل الحالك .. عجيب .. في السابق كانت أجين من عليها ولا تمشي خطوة واحدة بمفردها في الليل .. أما الآن فهي لا تشعر بأي رهبة ولا أي خوف .. وكأن قلبها بات لا يهاب شيء ..

بخطوات مترددة دخلت إلى إطار منزل أهلها لتتقدم قليلاً وترى الأضواء كلها منطفئة .. تنهدت بخيبة أمل لتعود أدرجها وتخرج من إطار المنزل ..

حاولت مراراً أن تهاتف شادي منذ أن علمت من زين أنه عاد ولكن هاتفه كان دوماً مغلقاً .. لا تعلم لما حظها عاثر إلى هذا الحد ..

ولمرة أخيرة حاولت الاتصال به وكلها أمل أن يكون هاتفه مفتوح ولكن خابت آمالها وتوقعاتها عندما أعطاها أنه خارج نطاق التغطية ..

تنهدت بضيق وهي تمشي بالشارع المظلم غير عالمة بجوز العيون التي كانت تراقبها ..

دقيقتان وأنتها رسالة من رقم غريب وقد كان محتواها:

..أختي الصغيرة، أنا شادي، تعالي إلى هذا العنوان حبيبتي، أنتظركِ بفارغ الصبر..

التمعت عيناها بالسعادة واتسعت ابتسامتها عندما رأت رسالته .. هي مشتاقة له حقاً .. حاولت الاتصال على الرقم الذي راسلها منه ولكنه لم يجيب .. تعجبت من الأمر نعم ولكنها ما لبثت ونست ولم تهتم لتذهب بسرعة البرق إلى العنوان الذي دلها عليه ..

....

وقفت أمام المنزل الكبير الذي أعطاها عنوانه لتتنظر له بتعجب وتدلف بخطوات بطيئة وفي داخلها بعض التردد .. لتقف أمام الباب الكبير وترى أنه مفتوح ..

دخلت بتردد وهي تبحث بعينها أو بالأصح تستكشف هذا المكان والذي بدى لها أنه غير مسكون أصلاً .. كان هادئ لا يسمع به صوت أو حركة ..

جالت بالمنزل وبحثت كثيراً ولكنها لم تجد أخيها ولم يخرج لها حتى .. لتقع عيناها على غرفة كان بابها مفتوح قليلاً ..

تقدمت ببطئ وحذر لتحاول النظر لداخل الغرفة وما إن رأته من شق الباب جالساً يتطلع عليها بابتسامته الخبيثة وهينته المبعثرة ولباسه الأسود حتى جحظت عيناها واستدارت لتهرب فوراً .. مشت ثلاث خطوات فقط لترى معين أمامها واقفاً ببرود ..

أرادت أن تتخطاه ولكنه أمسكها بقوة وأدخلها إليه غصباً عنها وهي تتخبط وتتلوى وتصرخ إلى أن دفعها للداخل وأقل عليها من الخارج ورحل لتظل هي برفقته ..

لم يحرك ساكناً ولم يفتح فاهه بحرف .. فقط يناظرها ببرود وهو يرتشف من كأسه وعيناها تتفحصها من رأسها إلى أخمص قدميها ..

عقدت حاجبيها بيأس وأسدللت عن أكتافها بخيبة فائلة:  
..ماذا الآن..

ابتسم ببرود قائلاً:  
..اشتقت لك..

نفخت خديها لتقول:  
..الصبر يارب..

اتسعت ابتسامته ليقول:  
..هل اشتياقي لك صار عبئاً عليك لتطلبي الصبر شهدي..

اندفعت نحوه لتحدثه بعينان حادة ونبرة حادة:  
..أنت ماذا تريد مني، ألن أتخلص منك، ألن أرتاح من تصرفاتك هذه، وصلت بك الحالة لإن تخدعني بأنك أخي ومنتظراً إياي في هذا المنزل ها..

كرع كأسه دفعة واحدة ومن ثم رماه على الأرض ليتهشم ويصبح قطع صغيرة وينهض متوجها ناحيتها قائلاً:  
..ومن قال لك أن تكوني مندفة وغبية إلى هذا الحد..

ابتلعت ريقها عندما وقف أمامها لترى فارق الحجم بينهما .. لأول مرة تنتبه لهذه الناحية .. لو كان يكرها  
وتحدثه بهذا الشكل لكان قد سحقها بيد واحدة هي متيقنة ..

عادت بخطوات بطيئة للخلف وهي تناظره بحذر ليبتسم بخبث ويوهمها بأن وراء ابتسامته الخبيثة توجد مصيبة .. ابتلعت ريقها بتوتر ليتقدم هو ناحيتها ويحاصرها ضد الحائط ويضع يديه ليحاصرها بيديه ويهمس لها وعيناه تحكي وتنطق الكثير من الأقوال قبل لسانه:

..أتعلمين أنني وقعت في حبك بشكل كارثي، رأسي لا يهدأ، لا يكف عن التفكير بك، في كل ثانية تجتاحين أفكاري، حتى بأوقات نومي تأتيين دائماً زيارة في حلمي، أتعلمين ذلك..

أبعدت ناظريها عنه بعد أن كانت تنظر لحركة شفثيه وتسمع نبرته الهامسة .. لتبتلع ريقها وتشيح بوجهها عنه فوراً ..

علم أنها قد تأثرت به وبكلماته ليبتسم تلك الابتسامة الهادئة ويمرر شفثيه على وجنتها ويغمض عيناه ..

أبعدته بخفة عنها لينظر لها بعينان لامعة ويقول:

..أتعلمين أنك أصبحتي جزءاً من قلبي ومن روحي، أتعلمين أنني أشعر بك وأعلم متى تكوني حزينة ومتى تكوني فرحة، مثلاً اليوم كنتي مستائنة جداً وحزينة أيضاً لما سمعته من كلام زين، أليس كذلك..

همهمت له وهي تحاول أن تبعده عنها فهو مازال محاصراً لها بين يديه ليرد لها:

..أتريدين أن أريك شيئاً..

-أريد أن أذهب، أرجوك..

-فقط دعيني أريك شيئاً وبعدها سأقرر إن كنتي ستذهبين أم لا..

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

..ما هو الذي تريد أن تريني إياه..

ابتسم بحالمية قائلاً:

..أنت، سأريك أنت، سترين ومن ثم ستقررين، الآن بقي لي آخر أمل بك وبحصولي عليك..

هممت له وقلبا يطرق بعنف ليبتعد ويخرج مفتاح الغرفة من جيبه ويفتح الباب ومن ثم أمسك بيدها ليتوجه بها إلى الأسفل ..

كان المنزل مكون من طابق علوي وطابق سفلي .. ليهبط بها إلى الطابق السفلي وهي مع كل خطوة تمشيها برفته قلبها ينبض بعنف من الخوف ..

وقف أمام باب غرفة منفصلة عن باقي الغرف لينظر لها بابتسامة أمل ويدير المفتاح وقبل أن يدير مقبض الباب تحدث بحماس وعينان لامعة:

..أولاً أغمضي عيناك..

نظرت له بريية ليردف لها:

..ثقي بي، ماسترينه جميل، جميل جداً، في هذه الغرفة تكون روعي..

وبطمأنينة لسماعها لكلماته أغمضت عينها لتتسع ابتسامته ويدير مقبض الباب ويدخل بها إلى تلك الغرفة الواسعة ذات الجدران الكبيرة والمطلية بلون الذهب والسقف العالي والأثاث الفخم والمرتب وذلك العطر الفواح المنبعث منها والذي يذهب بالعقول .. ولكن كل هذا ليس شيئاً أمام ماستراه شهد في قالب هذه الغرفة ..

بابتسامة هادئة وبصوت عاشق وقلب مرهف حدثها:

..افتحي عيناكِ شهد..

فتحت عينها ببطئ لتتنظر إلى ما أمامها وما حولها وتجحظ عينها مما رآته عاجزة تماماً عن نطق كلمة واحدة

..

بذهول تنظر لما هو معلق على الجدران وقلب ينبض بعنف ترى ماتضاهيه هذه الغرفة من روعة وجمال ..

عينها اغرورقت بالدموع ولا تعلم لماذا .. كل ما تعلمه أنها تائهة .. نادمة .. مستائة .. وبداخلها كل الأماني ..

هذا الرجل سيكون سبب حزنها وبؤسها في يوم من الأيام ..

وبعد مدة من التحديق والتفحص وعينان زياد تتابعها بشغف كبير وابتسامة حاملة نطقت بذهول:

..ماهذا..

أجابها بنبرة حب:

..هذه جنتي الثانية وجنتي الأولى هي أنت..

نظرت له بعمق ليرد لها بتأمل وعيناه لا تنزاح عنها بتلك النظرة المحبة:

..كل الناس لديهم جنة خاصة بهم، يصنعونها أو يحلمون بها، إلا أنا لدي جنتان، جنتان على الأرض ولا أريد أكثر من ذلك في حياتي كلها..

عينها فاضت وحكت له الكثير .. عينها تنطق ولكنها لا تجرؤ على أن تدع لسانها ينطق .. ألم يقل أنه يشعر بها .. حسناً قلبه يشعر بها .. إذاً فليستمع لكلام قلبها في قلبه لأنها لن تحدثه بما يجب أن ينطقه لسانها ..

بعيناه دامعة ونبرة باكية حدثته:

..أنت تعذبني هكذا..

عقد حاجبيه بحيرة ودق قلبه بعنف ليتقدم ناحيتها ويقول:

..لماذا، ألم تعجبك جنتي..

حركت رأسها بإيجاب لتقول:

..بلى ولكن لساني يعجز عن وصف سعادتي بروية ما صنعته، وقلبي يعذبني لأجلك..

بدت علامات الارتياح على وجهه ليبتسم ويقول:

..كنت واثقاً أنها ستعجبك، وكنت منتظراً الوقت المناسب لأريك إياها..

عادت ونظرت لما تحويه جنته فهي حقا لم تشبع .. لم تشبع من رؤية نفسها .. كل الجدران كانت معلقة عليها صورها .. منذ أن كانت صغيرة وحتى الآن ..

بكثير من المواقف كانت قد تصورت وبطريقة ما جمع كل هذه الصور ليملؤها بجدران هذه الغرفة الكبيرة ..

كانت تحوي أكثر من مئتين صورة .. حرفياً كانت الجدران مغطاة بصورها ..

مواقف ووضعيات هي نفسها لا تعرف أغلبها .. وكله بكفة وتلك الصورة الكبير وفائقة الحجم والتي كانت معلقة على الجدار الكبير بمفردها بكفة ..

كانت تلك الصورة الكبيرة هو بذاته وقتها من صورها إياها .. صورة مليئة بالحياة بابتسامتها البريئة وعيناها الفرحة يوم عيد مولدها التاسع عشر .. مازالت تذكرها إلى الآن ..

اتسعت ابتسامتها والتمعت عيناها بالدموع عندما تذكرت ذلك اليوم .. في كل عيد ميلاد لها كان هو من يشرف على كل شيء يخص هذا اليوم .. يوم سعادته ويوم مجيء صغيرته لهذه الدنيا ..

كان يتابعها بعينان شغوفة وفرحته بها لا تضاهيها فرحة .. كل شيء بدى جميل .. معناه أنها تقبلت كل شيء .. معناه أنه يوجد أمل حتماً ..

حاوط خصرها ليشير لها بسبابته على صورة من بين الصور عندما كانت صغيرة ليقول:

.. هذه الصورة كان عمرك بها ثمانية سنوات، جنتي في يومها لكي تلعبين مع زين، كنت سأكل لطافتك لشدة جمالك بفستانك الأزرق وشعرك الذي رفعتيه كذيلين..

صمت ليرى ردة فعلها وهي بدورها تبتسم وتبكي في آن واحد لتسمعه يقول:

..انظري إلى هذه الصورة، هنا كان عمرك تسعة سنوات، كنا في سهرة عائلية عندكم وكنتي أنتِ تبعدين شادي لتلعب مع زين، أتذكرين..

حركت رأسها بإيجاب وهي على نفس وضعها ليقول أيضاً:

..وهذه عندما كنتي في الثامنة، كنتي تتذمرين طوال الوقت لإنك ترين بنات أعمام زين تجتمعن حوله لتلعب معه وأنتِ في يومها أتيتيني باكية لتشتكين عليهن، يا إلهي ما أجملك..

ضحكت عندما تذكرت هذه الذكرى ليرقص قلبه فرحاً لسماعه هذه الضحكة ليردق قائلاً:

..وهذه عندما كان عمرك أحد عشر عاماً، كنتي تشعرين بأنك فعلتي إنجاز عظيم لإنك ساهمتي في صنع كعكة الشوكولا مع سلمى..

-وهذه عندما كنتي في الخامسة عشر، يوم دخلتي أولى ثانوية، كنتي فرحة لإنك ارتديتي هذا الزي المدرسي، يومها أنا التقط لك هذه الصورة قبل توجيهك للمدرسة..

-وهذه عندما كان عمرك أربع سنوات، طبعاً لا تذكرها أنت، كنتي يومها تركضين من هنا إلى هناك بفستانك الأحمر وشعرك المنسدل، كنتي فرحة جداً لأنك ترين زين ولأول مرة، أنا في يومها فقط وجدت سعادتي، كنت أحملك والأعبك وأقبلك من وجنتيك المنتفختين..

ضحكت بسعادة ليضحك على ضحكتها ويردف لها:

..انظري انظري، هنا كان عمرك ستة سنوات، كنا في مزرعتنا وكنتي أنتِ تسبحين في المسبح الصغير ووقعتي حينها وجرحت يدك وصرتي تبيكين، على دقيقة وكنت سأبكي معك لأملك، تمنيت لو تألمت أنا عنك، يومها ظللتني برفقتي ولازمتني ولم تبتعدي عني وكل دقيقة والثانية تقولين لي عمو ضمد لي الجرح مجدداً حتى لا يتجرثم..

أيضاً ضحكت وبكت عندما سمعت نبرته الطفولية وهو يقلدها ليضحك معها ويقبل وجنتها ويكمل:

..وهذه الصورة عندما أتممتي السابعة عشر، في هذا اليوم كانت الحفل الذي أقمته لك لنجاحك في الثالث الثانوي أتذكرين، يومها ولأول مرة وضعتي مساحيق التجميل، بديتي كالأميرات، كانت عينايتا تتابعك ولم تنزاح عنك لحظة، وقتها وقعت بحبك، وقتها صار قلبي ينبض باسمك..

بكت عندما سمعت بكلماته لتستدير وتتنظر له بعينان دامعة وتقول وهي تشير على صورتها الكبيرة فأنقة الحجم: ..وهذه، لما هي أكبر واحدة من بين كل الصور ومنفردة أيضاً..

ابتسم لها بحب وعيناها امتلئت بالدموع ليحبيب:

..لأنني خلقت من جديد في عيد مولدك التاسع عشر، يومها وبعد أن قمتي بتقطيع قالب الحلوى ذهبتي لتغسلين يديك وأنتِ تجرين فستانك الطويل، تعثرتي في وقتها وأنا أمسكتك وبحركة ما كنت مقترباً منك بشكل كبير لتلامس شفتي بشفتيك، أتذكرين، يومها صار وجهك أحمر بشكل لا يوصف، ههه ورفعتي فستانك وهرولتني سريعاً من أمامي، أنا يومها قلبي لم يهدأ وصار يصرخ باسمك، ومن يومها وأنتِ تستحين مني وتتهربين من نظراتي لك..

ابتسمت لوصفه ولحديثه لتقول:

..وهذا ماجعلك تميزها عن باقي الصور وتجعلها أكبر صورة وبهذا الحجم..

-أجل، يومها كنت حطام رجل، ضلع مكسور، وعين لا ترى سوء التاريخ الأسود، كل شيء أسود، وقلبي بات مهجور، كنت كقدم داست على عشرات القلوب، ذبحت الكثير من القلوب، أهدمت الحب الذي لم أجربه كقاتل مأجور، كنت رجل نمى من أسوأ البنور، يموت النحل في زهري، كنت كشجرة تسكنها الشياطين وترقص حولها الذناب، إلى أن.....

بتر جملمته وناظرها بعينان تفيض من الحب لتقول بتساؤل وعينان باهتة:

..إلى أن ماذا..

ابتسم ليكمل وهو يمرر يده على شعرها ويعبث بخصلاتها:

..إلى أن بُعثني إلي لكي تحتضنيني في قلبك كوطن صغير، بعيداً عن قسوة وبشاعة هذا العالم والسوء الذي يسكنه في كل زاوية..

حدثته باستغراب:

..ألهذا الحد كنت سيئاً..

-ولهذا الحد كنتي كالملاك لتبدلين حالي، ولكنكِ تمررتي فعدت لطباعي القديمة..

عقبت حاجبها بحزن قائلة:

..ولكنك بدأت بالمحاربة للحصول علي في وقت متأخر جداً..

ابتسم مجيباً:

..بل كان الوقت الأنسب..

-كيف..

-كنت أريد أن أعلم هل سيكون لي ذلك التأثير الكبير عليكِ، هل ستتركين ابني لأجلي! هل سأكون صنعت المجد في حصولي عليكِ والتغلب على كل شيء أم أنني سأفشل..

-وماذا حصدت..

ابتسم بمرارة قائلاً:

..حصدت الخيبة، تخيلي عشقي لك جعلني أعمى تماماً عن ابني، جعلني كالمريض الذي يعافر لكي يشفى من مرضه الخبيث لتمسكه بهذه الدنيا، حبك جعلني في أقصى حالات جنون تارة، وتارة أخرى كنت أهنأ نفسي لهذا الحب، كنت أعتز جداً كوني أحب فتاة مثلكِ..

بحزن أجابته:

..بحياتي كلها لم أظن أنه سيحبنى أحد مثلك أنت، لم أعلم أن هذا الحب موجود فعلاً، ظننته في الروايات والقصص فقط..

ابتسم ولم يتحدث بشيء لتقع عيناها على على طاولة كبيرة تحوي على زجاجات كثيرة من العطور لتسأله:  
..ما هذا..

ابتسم مجيباً:

..كل زجاجات العطور الفارغة الخاصة بك، كنت أجمعها واحدة تلو الأخرى، أصبح عددهم مائة زجاجة..

أشار لها بيده لمكتبة صغيرة الحجم قائلاً:

..هنا توجد كل القصص والروايات والكتب التي قرأتها أنت..

أشار لها بيده مجدداً قائلاً:

..وهذه الخزانة تحوي معظم ملابسك، عندما كنتي تنسين وشاحاً أو ساعة أو نظارة أو أي شيء يخصك كنت أجمعه وأضعه هنا، لتعودين أنت في اليوم التالي وتقولين أنك نسيتي قطعة كذا وتتعجبين عندما نقول لك لم نرى شيء..

ضحكت ضحكة رنانة قائلة:

..وأنا التي كنت أسأل نفسي أين تذهب كل هذه الأغراض، بالأصح كنت أقول أين يذهب عقلي عندما أنسى كل هذه الأشياء عندكم بالذات..

-وكان خيالك الواسع يحدثك أن منزلنا مسكون لذلك تختفي كل أشيائك عندنا..

شهقت بخفة لتقول بصدمة:

..وما أدراك..

أجابها وهو ينقر بسبابته على جبينها:

..أعلم كل مايفكر به هذا العقل الجميل..

ابتسمت باتساع لتقول:

..كل مافي الغرفة يخصني..

-كل شيء يخصك، لا يوجد أي شيء خاص بي أو بغيرك، ألم أقل أنني سأريك نفسك..

هممت ليقول:

..بقي شيء واحد لم أريك إياه..

-وما هو..

أشار لها للخزانة الصغيرة ليقول:

..موجود في هذه الخزانة..

التمعت عيناها بالحماس قائلة:

..أرني..

ابتسم لحماسها ليمسك يدها ويتوجه بها إلى الخزانة ويفتحها ليخرج منها ثوب حريري ناصع البياض وفائق الجمال .. شهقت عندما رأتها مصدومة لروعته وتصميمه الأنيق والآخاذ لتشعر بلمسه وتبتسم باتساع قائلة:

..لمن هذا..

-لك أنت..

-لماذا جلبته لي..

-لكي ترتديه لي..

-كيف سأرتديه لك زياد..

وضعه برفق على الأريكة ومن ثم أمسك يديها ليقبلهما قبلات متتالية ليقول بنبرة هامسة:

..لطالما تمنيت أن ترتدينه لي وأراه عليك، أن تكونين لي في يوم من الأيام وأراك متجهزة لي به، أن أنزعه عنك لأنه واقفاً كالشوكة في حلقي وأطفئ لهيب قلبي ونيران جسدي وتشتعل فتيلة حبنا، لطالما تمنيت أن تكونين عروستي..

جملته الأخيرة كانت تصدح في أذنها وتتردد في عقلها .. لطالما تمنيت أن تكونين عروستي .. لطالما تمنيت أن تكونين عروستي .. لطالما تمنيت أن تكونين عروستي ..

وكان شخص ما قد أفاقها من هذا الحلم الذي كانت .. كأن هناك من صفعها لتستفيق مما تسايره به .. تذكرت .. أجل تذكرت هو ماذا بالنسبة لها .. ماذا يعني لها .. ماذا فعل بها .. وأنه والد زوجها ..

لا .. إلى هنا وانتهينا .. لن تتماذى أكثر من التماذي الذي فعلته معه .. سنتوقف وتوقفه هو أيضاً ..

هي استرسلت جداً معه .. هذه الجنة التي حدثها عنها فعلاً قد خطفت عقلها وقلبها .. جعلتها في حالة ثمل .. لا ترى ولا تشعر سوى به وبعنته الثانية ..

ابتلعت ريقها وهي تنظر لها نظرات فارغة وبحاجبين معقودين لتبتعد عنه عدة خطوات متعجبا منها ومن موقفها ليقول:

..مابك ياروحي..

حركت رأسها بنفي وهي مازالت ترجع للوراء ليتقدم منها باستغراب قائلاً:

..مابك شهد، حدثيني حبيبتي، ما الذي حدث..

-كفى، كفى، ابتعد عني..

-ما الذي يحدث لك أفهميني..

-قلت ابتعد اتركني، دعني وشأني، لا أريدك..

أمسكها من معصمها بقوة ليقول:

..لمأذا، ما الذي حدث، الآن كنا ما أجملنا، ما الذي حدث الآن..

حدثته بانفعال:

..قلت اتركني، أنا لا أريدك، كفى، لا تعترض طريقي بعد الآن ولا تريني وجهك أسمع، أنسيت نفسك، أنسيت ماذا أكون بالنسبة لك، كفاك، وكف لعنتك عني..

ابتلع ريقه بصعوبة والخوف اجتاح قلبه من فكرة رفضها وتبدل حالها وتخيلاته التي ضربت برأسه وملات به وهو يخسرها وتنسحب من حياته تدريجياً ..

عندما قال لها أن ماسيرها إياه هو آخر أمل بالنسبة له لم يكذب .. والآن أمله يبتعد عنه تدريجياً ..

بخوف كبير ونبرة متوترة وتائهة وعينان فاضت بالدموع حدثها:

..حسناً الهدأني واسمعيني حبيبتي، أن .. ..

قاطعته صارخة:

..لا تقل حبيبتي، لا تقولها، أنا لست لعنتك أتفهم..

ابتلع ريقه وهو يمسح على وجهه بكفيه بعنف ويكز على أسنانه قائلاً:

..حسناً حسناً كما تريدني، اسمعيني شهد، أنا لن أفعل لك شيء، والله لن أؤذيك، كل ما أفعله لك هو لسعادتك، أردت أن أريك جنتي فقط، أردت أن تصدقين حبي فقط هذا، فقط، هذا فقط..

أنهى جملته وهو يمسكها من معصمها لتبعده عنها بعنف وتصرخ:

..كاذب مخادع، تعلم أنني محرمة عليك وتفعل كل هذه الأشياء فقط لكي تضحك على عقلي وتتخذني عشيقاً لك..

حرك رأسه بنفي بجنون وعيناه شاخصة مجيباً:

..لا لا لا لا والله ليس كذلك، أنا أريدك شهد، ولن تكونين عشيقتي لا لا ، ابعدي هذه الأفكار من رأسك..

-كاذب، أنت حقير ونجس ولن تتغير، لطالما رأيت منك الوساحة والدنائة، فلن أصدقك الآن يا لعين..

ضرب رأسه بكلتا يديه وحقاً وصل إلى مرحلة الحنون ليصرخ بها:

..قلت لك لا يا لعينة، لا لا لا لا لست كذلك، لست دنيء وحقير كما تقولين، أنا أحبك فقط، أعشقتك، أهواك، فقط، لا أريد أكثر من ذلك..

-كفاك، أخرج من حياتي ولا تعترض لي بعد الآن وإلا سأقتلك أتسمع، في المرة القادمة إن رأيتك ورأيت شيء من الأعييبك والله سأقتلك يازياد..

كز على أسنانه لتجحظ عيناه ويقول:

..أمجنونة أنت، هل حدث لعقلك شيء..

-والله أنت من صنعت لي الجنون، أنا أحذرك من الاقتراب مني أتسمع..

حرك رأسه بإيجاب وعينان حادة قائلاً:

..أجل أسمع..

ليكمل بصراخ وبدأت نوبة جنونه وصار يحطم كل شيء أمامه:

..أسمع يا لعينة، أسمع يا لعنة حياتي، أسمع يا جحيمي، أسمع يا سبب عذابي، أسمع يا أسوأ ما اختاره قلبي، أسمع جيداً..

بصراخ أكبر ختم جملته ليحطم كل شيء تراه عيناه .. زجاجات العطر صارت قطع صغيرة .. خزانتها الممتلئة بالملابس صارت على الأرض .. حتى الصور أغلبها نزعها من على الجدران ومزقها وهو يصرخ ويشتم بها ..

إلى أن وصل إلى الصورة الكبيرة تلك المبلورة والمزينة ليناظرها بعينان مشتعلة وبمسك قطعة زجاج كبيرة مرمية على الأرض ويضربها بعرضها ليتهشم الزجاج ويصدح صوته القوي في الأرجاء مما جعل شهد تصرخ وتعلق أذنيها وعيناها ..

ناظرها بحدة ليقول بجنون:

..والله لن أدعك يا شهد فقط على عذاب قلبي الذي تسببته لي..

رأت نظراته المميته وسمعت لكنته الحادة والمتوعة لتحرك رأسه بنفي وتركض سريعاً وتخرج من المنزل بأكملها وهو يلحق بها ويصرخ باسمها إلى أن وصلا للشارع ..

يحدثها بأنفاس لاهثة وصراخ:

..شهد توقي، توقي لن أفعل لك شيء فقط توقي..

لم تستمع له وظلت تركض وتبكي إلى أن استطاع إمساكها لتحاول التملص منها ولكنه أحكم قبضته ليقول  
بأنفاس لاهثة:

..قلت لن أفعل لك شيء اهدأي، اهدأي بالعينة..

أنهى جملته بصراخ ليحتد بكائها ويحاول هو تهدأتها وطمأنتها إلى أن هدأت بعض الشيء ليقول:  
..لن أفعل شيء، فقط اهدأي..

حركت رأسها موافقة وهي تخرج منها شهقات باكية وشفقتها ترتجف ..

تاه وهو ينظر لشفتيها الطرية وتتحرك وترتجف .. لم يضيع الفرصة ليطبق شفتيه على شفتيها كاتما أنفاسها  
مقبلاً إياها بقوة ليروي عطش قلبه .. غير عالم طبعاً بدورية الشرطة التي كانت تقف على بعد مسافة صغيرة  
منهما وانتبهوا لهما منذ توقف شهد عن الركض ..

"فهي لم تكن منزلاً، كانت باباً مفتوحاً على الهاوية، شرخاً يشق قماش العالم ليقود إلى العدم"

---

من خلف القضبان الحديدية كان جالساً على كرسي خشبي صغير يستمع لشهقاتها وبكائها الصامت ..

لم يهتم لشيء .. فقط كان كل مايشغل باله هي .. لا يريد أن توضع بموقف محرج ..

لقد أمسكهما رجال الشرطة ولم يحسنوا الظن بهم أبداً .. فأين لهم بالظن الحسن وهم يرون هذا الرجل والذي  
يكبرها بعقدين يقبلها ويحبس أنفاسها ..

عندما رأوها فوراً قبضوا عليهما وزجوهما في السجن ريثما يهاتفون من أهل شهد .. خصوصاً عندما علموا  
أنها مطلقة وزيد كان والد زوجها ..

لشدة حماقتها وانهايارها وإحراجها حدثتهم بكل شيء وكل سؤال يطرحونه عليها تجيبهم عليه بكل سذاجة غير مدركة ما عواقب إجاباتها ..

بينما هو فكان بارداً جداً ولم يجبههم على أي سؤال .. فقط اكتفى بالصمت ولم يعيرها أي اهتمام تلك التي تفصح نفسها وتفضحها معها .. هه وهل بقي فضيحة لتعرض طريقه ياترى ..

تنهد بقوة ليقتررب ببطنى ناحية القضبان ويراها جالسة في زاوية الزنزانة تشهق وتبكي بمرارة .. فكل منهما كان مسجوناً في زنزانة ولكنهما بجانب بعضهما ..

حدثها ببرود:

..ستخرجين من هنا، أنا من سيتحمل كل شيء، لا تقلقي..

رفعت رأسها ولم يتضح له وجهها كثيراً بسبب ظلمة المكان لتقول بيبكاء:  
..وكيف ذلك وهم سيصلون إلى أهلي ويحدثوهم ماكنت تفعله معي في الطريق..

تنهد بضيق مجيباً:

..لا تقلقي كل شيء سيكون على مايرام..

-ماحدث كبير جداً، ومافعلته معي أكبر، وما أوصلتني إليه يدعني أبكي بكاء قهر لعدة أعوام، لولاك ولولا حبك هذا ماكان وصلنا إلى هنا..

ابتسم بسخرية ليتكى على القضبان ويقول:

..حبي لك صار عبئاً أليس كذلك، نسيته نفسك عندما اعترفتي بحبك لي..

-كل ماقلته في ذلك اليوم كان بسبب تأثري بكلامك لا أكثر..

-لا تحاولين التبرير شهد، أنتِ أحببتني للحد الذي أحببتك إياه، وفي الواقع أنتِ أقوى مني أتعلمين ذلك، فأنا لم أستطع أن أخبئ حبك في قلبي ولا أعترف به، إنما أنتِ استطعتي فعل ذلك وخبئتي كل شيء في صدرك ولم تبوحني بما يجب أن تنطقينه..

شهقت بيبكار مجيبة:

..لا تحاول إقحامي بقصصك المريضة وحبك هذا، أنا لم أحبك، لقد أحببت زين فقط، ولكني ندمت كثيراً فيما بعد حينما أحببته..

ابتسم ساخراً لإجابتها وظل ينظر لها بعينان تحمل كل طيات الألم به .. أمانيه وأحلامه كانت كثيرة ولكنه لم يستطع أن يحقق شيئاً منها .. كل تعب ذهب مع الرياح .. كل ما شقي به حصل عليه ابنه في السابق ولربما يعاود تحصيله من جديد فيما بعد ..

ظل صامتاً لبرهة ليقول بعدها:

..كل ما شعرته لأجلك لم تستحقينه شهدي، أنا حتى عندما وقعت في حبك لم أقل أنني وقعت في حبك، كنت أقول علوت بحبك، كبرت بحبك، تجملت حباً، لم أكن أريد أن أفهمهم أن حبك يؤدي بي إلى الهاوية..

ابتسمت بسخرية قائلة:

..تلك الهاوية جرفتني معك، وقعت بها وماعدت أعرف كيف أعود إلى القمة التي كنت عليها..

-لطالما جهزت لك الكثير من الأقاويل والأحاديث، أردت ان أحدثك عن كل شيء أشعر به اتجاهك، أحياناً كنت أشعر بالتناقض شهدي، أخاف عليك مني ما التقينا، وخوف الروح يأخذني إليك، فلا يرتاح قلبي ما ابتعدنا ولا يرتاح قلبي في يديك ! أود البقاء على كتفك، بين يديك، في عمق عمتك، في أقرب أغنية لقلبك، وددت البقاء في تفاصيلك فقط..

ابتسم بحزن وهو ينظر للأرض مرفأً:

..ألا تشفع لي عندك هذه المشاعر والأقاويل..

لم تجبه ولم تعطيه أي أهمية حتى .. ملت وتعبت .. والأكثر أنها لا تريد أن ترضخ له أو تتأثر بكلماته ..

همهم لها وهو يحرك رأسه بإيجاب قائلاً:

..أعلم أنك لم تعودين تطيقين سماع صوتي حتى..

-ماكان يجدر بك أساساً أن تحبني، مللت وأنا أقول لك هذا الكلام..

ابتسم قائلاً:

..إذا سقط القلب في الحب فلن ترفعه كل عظمات الفلاسفة، يستطيع الفلاسفة أن يجدوا حلاً لمشكلات الناس كلها إلا الحب، فإنه يستعصي على كل فهم وينفلت من كل تقنين، فهمتي شيء..

ابتسمت بسخرية وأشاحت بوجهها عنه لتعاود البكاء متذكرة جيداً مصيرها ومتأهبة لنظرات الاشمئزاز التي ستراها من والدها ..

ابتعد وعاد ليجلس مكانه ولم يعد ينطق بحرف واحد .. تقاسيم وجهه تدل على أنه متعب من مائة سنة .. الهم والتعب والقهر أصبحوا يلازمونه أينما ذهب وكلما رآها .. يشعر بالرغبة في الاستمرار بالنوم لألف سنة .. أو فقط لو أنه غير موجود .. أو ليس واعياً بوجوده على الأقل ..

لذلك يحاول معظم الأوقات منع نفسه من ممارسة التفكير .. يريد لكل شيء أن يتوقف بعد الذي مر به .. يريد من هذه العجلة أن تتوقف عن الدوران .. فقد صارت حياته محطاً للسخرية لا أكثر ..

تنهد بتعب ليسند رأسه على الحائط وينظر للسقف بشرود ..

كم مرة أعطته أمل البقاء بجانبه .. لا يعلم .. كل مايلمه أن البعد عنها يربكه .. كان يريد أن يعود .. في كل مرة يبتعدان كان يعود دوماً .. يرجع وكله أمل أن تتغير .. أن تصبح له .. أن تتخلى عن حماقاتها وتراه على حقيقته ولو لمرة واحدة ..

كان يريد أن تكون مثالية وتكون له وحده .. كان يريد كل شيء وحده ولم تكن تشعر بأي شيء .. تركته هنا في المنتصف تماماً .. لا هو أكمل الطريق وحده ولا هي بقيت معه .. صار في هذا المنتصف اللعين .. لا لون له ..

سينسى .. سيحاول جاهداً أن ينساها .. لقد استنفذت طاقته كلها .. لم يعد بوسعه فعل شيء .. ولكن هل سيستقن ذلك .. هل سيفلح في نسيانها وبعده عنها .. حتى لو لم يفلح لن يحدثها .. يحتاج لشيء منها ولكن لم يعد يريد لها .. ترى أي علم هذا الذي لم يستطع حتى الآن أن يضع أصوات من نحب في أقرص .. أو زجاجة دواء نتناولها سراً عندما نصاب بوعة عاطفية بدون أن يدري صاحبها كم نحن نحتاجه ..

بأمل أخير وضوءه خافت جداً في قلبه نهض متوجهاً لناعية القضبان ليقول بها بهدوء ونبرة ملنتها الحزن والحب معاً:

.. هل ستتغير نظرتك ورأيتك بي إن قلت لك لا يوجد لي أحد من بعدك، الكل في سوق الحياة مهتم لبضاعته، وأنا اعتبريني بضاعتك، لا تتركني للغير فيسحقني بحدائه، أنا ضعيف بدونك، هش، لين، لا شيء، خذيني، اجعليني خادماً لك، أي شيء فقط لا تضعين احتمال الابتعاد، هل تكفيك هذه الكلمات، هل يعجبك إذلالي وخضوعي لك لترضين ..

حركت رأسها بياس والدموع تأخذ مجراها على وجنتيها قائلة ببكاء:

..أي حب هذا الذي لا تستطيع تركه أو نسيانه، أي حب يجعلك ضعيف إلى هذا الحد أمامي، لست مصدقة نفسي مافعلته بك والله..

ايتسم بتألم محبياً:

..أستطيع أن أقول أحببتك كثيراً، يمكن أن أقولها الآن وقد مضى كل شيء وقد انتهى كل شيء، وأظن أنك لو ناديتني من فراش موتي فسوف أجد القوة للنهوض والالتحاق بك، أتريدين أكثر من ذلك..

شهقت ببكاء ولم تجبه فقد كل مافعلته هو تحبته وجهها والبكاء الحاد وبصوت مسموع .. لتقطع كل هذه السلسلة بدخول الشرطي عليهما وهو يفتح الباب الحديدي:

..أنتما الاثنان، هيا انهضاه..

تنهضت شهد بتناقل وتوجهت ناحية الشرطي وأيضاً زياد فعل مثلها وتوجه ناحيته ليتوجه بهما إلى مكتب الضابط والذي لم يكن سوى ميسم الذي ناوب اليوم بدلاً من صديقه منذ ساعة تقريباً ..

وما إن دخلا حتى أنت عينها بعين شقيقها وزين .. زين الذي ما إن رآها حتى نظر لها بنظرة قهر وابتسامة حزن وأشاح بوجهه عنها .. بينما شادي كان ينظر لها بغضب وتوعد ..

زياد لم يفرق معه أي شيء .. ينظر لهم ببرود وجمود كبيران غير سائلاً عنهم ..

شهد لم تكن تعلم أين تودي بنفسها من شدة خجلها وخزيها مخفضة رأسها وهي تبكي غير قادرة على أن تضع عينها بعين أحدهم ..

تنهد ميسم قائلاً:

..تستطيع شهد الخروج مع أخيها، والسيد زياد أيضاً يستطيع الخروج..

نهض شادي وتوجه ناحية أخته التي مازالت تبكي ليمسك يدها ويأخذها برفقته .. بينما ظل زياد متابعاً لها حتى خرجت لينظر لابنه ببرود ويخرج من الفرع بأكمله متوجها إلى العدم .. ليعلم جيداً أنه قصته معها انتهت ولن يعد يراها بعد الآن .. او بالأصح لن يعد يسمح لنفسه أن يراها ..

خرج والألم جاثم على أنقاض فواده .. بل حتى تلبس جسده .. يشعر بالغبرة ومرارة العيش .. الوحدة ستقتله بعدها والوجع يسكنه وذكريات الماضي ستشغله .. يشعر أن همومه ستخنقه وأحزانه ستغرقه .. جراح تعفنت من كثرة الدماء .. جراح أبكته حتى جفت كل دموعه .. جراح أطفأت رغبته في الاستمرار بالحياة ..

---

في منزل صغير بعيدة قليلا عن إطار البلدة كان جالسا برفقتهم غير عالما ما يصنعه .. ماحدث كبير جداً .. وما وصلت له أخته أكبر .. كل ذلك الحب الذي يكنه لها زياد لا يعطيه مبرراً واحداً لخراب بيتها ودمار حياتها ..

ابتسم مازن شقيق مصعب محدثا شادي صديقه:

..ها أين سرحت يارجل، ولما تأخرت..

نظر له شادي بجفول قائلاً:

..لا شيء عندي عمل ضروري..

همهم له مازن وحرك رأيه بإيجاب ليقول نزار صديق مصعب:

..اشتقنا لك يارفيق، أين أنت وأين سهراتك..

ابتسم لهما بفتور قائلاً:

..تعلم السجن الذي كنت أقنط به عند جدي..

قال جملة بسخرية ليضحكان على كلامه ويسألها شادي:

..لما لم يخرج مصعب، أريد أن أراه..

ببرود أجابه مازن:

..لا أنصحك برويته هذا أولاً، ثانياً هو مشغول الآن..

-بماذا مشغول..

ابتسم نزار قائلاً:

..هناك حساب عسير له مع فتاة جميلة، يريد تصفيته..

ابتسم شادي بمكر قائلاً:

..هل هو جوه الجديد..

ضحك مازن قائلاً:

..ليس جو، قلنا لك حساب عسير جداً، يريد أذيتها..

عقد شادي حاجبيه بانزعاج قائلاً:

..لما الأذية، لم أعتد عليكم هكذا يارفاق..

نزار بيرود:

..حينما ينتهي حسابه معها وترى وجهه ستقول أنها تستحق..

تحدث شادي بتساؤل:

..هل هي هنا..

-أجل في هذه الغرفة..

-ولكن لا يسمع أي حركة أو صوت..

-لإنها مازالت تحت تأثير المخدر، حالما تستفيق ستسمع لصرخاتها..

بدت علامات الانزعاج على ملامحه ليقف ويقول:

..أنا سأذهب إذاً..

مازن:

..إلى أين، لم نراك بعد..

شادي:

..لا أريد، تعلمون أني لا أحب هذه الأفعال..

نزار:

..اجلس وسنلعلك كل شيء وعندها ستحكم اجلس شادي..

جلس متتهداً بضيق ليقصا عليه كل شيء حدث وكل شيء فعله مضعب بجهد وفعلته جهاد بمضعب وماكان من شادي سوى الصدمة والذهول ..

دقائق من الصدمة المتمكنة منه ليقول:

..ولكن كيف هذا، كيف يفعل مضعب بالفتاة هكذا، فتاة لا تريده إعطائه مايريد لما يفعل هكذا بها ويشوه سمعتها..

مازن بسخرية:

..كثير الله خيرك، وقفت مع الفتاة ولم تقف مع مضعب الذي تشوه وجهه وصارت حياته بائسة..

شادي بغضب:

..أليس هو من فعل ذلك بنفسه، أليس هذا من صنع يده، انتهينا فتاة لا تريده لما يفعل بها هكذا، ما الذي توقع أن يجنيه بعد أن يشوه سمعة فتاة لم تفعل له شيء سوى الصد، يريد أن يمتع نفسه فليذهب للملاهي فلا يوجد أكثر من العاهرات هناك..

صمت اثناهما ولم يتفوهان بكلمة ليتمالك شادي أعصابه ويسألهما:

..كيف اختطفتموها..

نزار:

..من جانب منزلها، أظن أنها كانت ذاهبة لتشتري بعض الأغراض فاستغلينا الفرصة واختطفناها، منذ عدة أيام ونحن منتظرين خروجها..

شادي بانفعال:

..وأنتما تنفذان له كل شيء وتجرا نفسيكما معه في الغلط أليس كذلك..

تنهد اثنيهما بضيق ولم يتحدثان لينظر لهما شادي بغضب ويأس من تصرفاتهم جميعاً .. إلى أن سمعوا صوت صراخ منبعث من تلك الغرفة الموجودة بها جهاد ومعها مصعب ..

ابتلع شادي ريقه قائلاً:

..ألن نفعل شيء..

نزار بسخرية:

..لا، ستأخذ عقابها وسيرميها خارجاً وانتبهينا..

أما في داخل الغرفة

وما إن استفاقت من أثر المخدر ورأته أمامها واستوعبت كل شيء حتى بدأت تصرخ وتطلب ابتعاده عنها وترجوه أن لا يفعل لها شيء ..

هو أقسم أنه سيشوهها كما فعلت به ولن يتراجع أبداً .. بعينان خائفة ومرتابة وباكية حدثته راجية:  
..أرجوك أرجوك لا تفعل لي شيء، أرجوك، أنا آسفة على كل شيء فعلته بك آسفة..

ابتسم بسخرية وعيناه تملؤها الشر:

..آسفة، وبماذا سيفعني تأسفك واعتذارك وأنا الذي خسرت وجهي وشكلي وأصبحت كالمسخ ها..

أنهى جملته بصراخ لتقول هي ببكاء وانهباء:

..أرجوك لا تفعل، اقتلني ولا تشوهني أرجوك، أنا نادمة صدقتي..

-نادمة يا لعينة، والله لو أشعلتني لي أصابعك العشرة لن أترجع عما أريد صنعه..

أخرج من جيبه قارورة الأسيد ليحفل عندما سمع صوت شادي من الخارج وهو يأمره أن يفتح له .. لم يعيره اهتمام واقترب ناحيتها وفي أثنائها كان شادي يحاول خلع الباب ونزار ومازن يمنعانه ولكنه خلع الباب فيما بعد بصعوبة ليدخل عليهما فوراً ويرى جهاد منهارة من البكاء ومصعب مقترباً منها ليرش عليها الأسيد ..

وما إن صرخ شادي به وتقدم ناحيته ورأى مصعب أنه يتقدم ليمنعه حتى رش الأسيد وانتثر وجهاد انهارت من البكاء والصراخ ووقفوا جميعهم بذهول لما فعله مصعب ..

"تمنيثُ لو أنني أبكي شيئاً أعمق من دموعي

أو أنني أتقيء روعي"

---

مر شهرين على حياة أبطالنا وقد حدثت الكثير من الأحداث .. أولها هو سفر شهد وذلك بناء على طلب شقيقها شادي وإصراره حول ذلك الموضوع ..

نعم هي رأت أن السفر هو أفضل حل لها وابتعادها عن هنا سيريحها ولو قليلاً .. كل شيء يذكرها به .. مازالت تذكره ومازال يعني لها .. تفتقه جداً وتحن له .. تشتاق لملاحقته لها ولحديثه لها عن عشقه بها وهوسه ..

ولكنها أبدأ لن تنصاع إلى ما يريد قلبها .. كون موقفها كان واضحاً منذ البداية فقرارها على ما هو ولن يتغير أبداً ..

لم يسافر شادي معها .. كان مهتماً لتلك الفتاة التي شغلت باله وعقله .. تلك التي تدمرت بالكامل بعد الذي فعله بها مصعب ..

ذلك اليوم كان كالجحيم بالنسبة لها وشادي لم يتركها .. ثلاثتهم هربوا في وقتها إلا شادي .. ظل معها وأمنها لتصل إلى أهلها والذين كانوا منهارين تماماً لفقدانها .. طبعاً ماعدا إيهاب الذي لم يرونه منذ أن طلق سناء ..

-----

مند أن خرج زياد من السجن وهو مقررراً الابتعاد ولكنه لم يبتعد سوى لشهر واحد فقط .. سافر لكي يرتب نفسه قليلاً .. ليجد نفسه التائهة والتي وضعها عندها ..

عاد والأمال تتجدد في قلبه ليحاول معها من جديد ولكنه صعق عندما علم أنها سافرت ..

لم يحاول إيجادها او البحث عنها علماً أنه علم إلى أي بلد سافرت ولكنه اكتفى .. انتهينا هي لا تريده وهو لم يعد يريد المحاولة بعد أن علم أنها سافرت .. لن يسافر إليها ولن يبحث عنها وسيصبر على فراقها متيقناً أن القدر تلاعب به وأعطاه الأمال ومن ثم رماه على عتبة الطريق جاعلاً منه أضحوكة ليس إلا ..

-----

زين ظل على وضعه لم يغيره شيء سوى ازدياد استيائه لسفر شهد .. ولكن أيضاً هو مل والشيء الذي جعله يتراجع عن محاولته لإرجاعها هو ذلك اليوم الذي سجننت فيه مع والده وعلم ما كانت تفعله معه في الطريق ..

أجل قلبه احترق منها ومن والده ولكنه يستطيع أن يتحمل ويصبر ليرى أين سيرمي به القدر ..

---

دخل عليهم بهدوء ونظر لكل منهما ببرود تام .. لم يلقى التحية ولم يفعل أي شيء سوى أنه نظر لهما بكل جمود ليبادلونه بنظرة جامدة أكثر ..

ابتسم بعمق قائلاً:

..السلام عليك يا أماء..

نظرت له والدته بابتسامة حزينة:

..وعليك السلام، كيف تذكرتنا يا إيهاب..

ظلت ابتسامته العميقة ظاهرة لينظر لأخيه بسخرية ويناضره حسام ببرود .. حدثهم وعيناه لم تنزاح عن عيان حسام:

..أريد أن أعرفكم على زوجتي..

وما إن سمعت تلك المرأة جملته حتى دخلت وأظهرت نفسها لهم .. في الواقع والدة حسام شهقت حالما رأت دينا أمامها تنظر لاثناهما بحاجب مرفوع ونظرة مأكرة ولكن حسام لم تتغير نظرتة الباردة أبداً ..

نعم هذا هو سبب تغيب إيهاب عنهما كل هذه الأشهر .. كان يرى دينا ويحاول إقناعها بفكرة الزواج منه ما إن تنتهي من عدتها وفي الواقع ورغم حبها الكبير وطيبتها ورزانتها التي كانت تريها لحسام خرج قهرها وغيظها منه وضربت كل شيء بعرض الحائط لتقبل عرضه وتتزوجه ..

حسام كان يعلم أن هذا ما سيحدث فهو علم بطريقة ما أن إيهاب على تواصل معها وفي الواقع لم يأتي بأي حركة لسببين .. أولها أنه أصلاً لم يعد يريد لها وثانيها أنه بهذه الطريقة سيكسب ابنه وسيظل برفقته ..

ببرود تام نهض وتوجه نحوهما ليقول:

..مبارك لكما..

ومن ثم نظر لها قائلاً:

..بهذه الحالة لؤي سيظل معي وأنتِ افرحي بعريسك..

أنهى جملته وهو يشير برأسه على إيهاب ليبتسم بسخرية ويخرج من المنزل بأكمله تاركاً إياهما بغيظ كبير ..  
لنتتهي قصة دينا مع حسام وتبدأ مع إيهاب بشكلٍ خاطئٍ ولأسباب لا تعطىها الصلاحية لإتمام هذه الجيزة ..

---

..ماذا يعني أنك لم تعودى تريدين رامت، ما الذي يحدث معك..

تحدث نزار بغضب لابنته ألمى لتقول له:

..كما سمعت أبي، أنا لم أعد أريده، ولا تحاولون إقناعي بالعودة إليه، أنا أعلم ماذا أصنع..

ابتسم والدها بسخرية قائلاً:

..وماذا تصنعين، أواعية أنتِ لما تتفوهين به، هذا زوجك ولم يفعل لكِ شيء لنتركينه..

حدثهم بغضب وصوت عالي ولأول مرة يرتفع صوتها بهذا الشكل:

..هذا ما عندي وإن لم تقتنعوا سأبتعد عنكم جميعاً ولن تروني بعد اليوم، لست أنت من تحيي برفقته بدلاً عني  
لتحكم أن سأظل معه أم لا، دعوني وشأني، أنا بالأساس لم تكن بخاطري هذه الجيزة كلها ولكن ما الذي سأقوله  
بكم، سامحك الله فقط، سامحك الله لأنكم تركتم جدي يتحكم بكم جميعاً ويتحكم بأبنائكم أيضاً..

ابتلع ريقه نزار بتوتر وأشاح بوجهه عن ابنته .. فهو يعلم أن معها حق بكل ما تفوهت به .. لطالما كان عماد  
يتحكم بحياتهم جميعاً ولا يستطيعون النفوه بحرف ولكن ألمى والآن تمردت واستطاعت أن تخرج عن سلطة  
جدها وأوامره ..

تدخل سامي والذي كان واقفاً هو ولينا منذ دخول ألمى ليقول:

..دعها على راحتها أبي، هي معها حق، جدي تلاعب بنا كثيراً وتحكم بنا جميعنا، فلتتركها على حريتها ولتتحمل مسؤولية قرارها لا بأس، ومثلما قالت لك نحن لم نحىي بدلاً عنها لنحكم ببقائها عنده أو بقاتها عندنا وانفصالها عنه..

تنهد نزار بياس وحرك رأسه موافقاً لتحمل ألمى حقيبتها وتصعد بها إلى غرفتها التي كانت لها قبل زواجها مقتنعة تماماً بما فعله ومتيقنة أنها فعلت الصواب ..

ففي فترة بقاتها مع رامز لم ترى منه سوى الإهانات ورجولته التي كان يظهرها لها على الفراش لتشعر بروحها تتمزق .. حاولت أن تغير عن رأيها وتنسيه ما تفوهت به في يوم زفافها ولكنها لم تفلح ..

ما قالت في يومها ظل قابلاً في رأسه وكلمنا سنحت له الفرصة كان يعبرها به .. معه حق فأى رجل سينسى كلمات كهذه لا تدخل بعقل ولا يتحملها رجل شرقي بعقليته ..

نعم هو أخطأ بتصرفاته معها وبمعاملته لها وعدم تقبله ورضوخه لمحاولتها بتغييره ولكن يبقى له العذر أنه لم ينسى ولن ينسى كلماتها .. لتنتهي قصتهما إلى هذا الحد ويفصلان بالمعروف وبموافقة الأهل دون أي عداوة أو خسارة ..

بينما لينا ما إن سمعت بجملة سامي نظرت له بقلق وبدأت تقضم أظافرها .. وما زاد من خوفها هو تركها وصعوده بمفرده إلى الغرفة لتلحق به سريعا وقلبا يطرق بعنف ..

دخلت عليه بهدوء لتتقدم ناحيته وتجلس بجانبه بينما هو فكان ممددا على السرير وعلامات وجهه باردة ..

ابتلعت ريقها لتقول وهي تفرك أصابعها بتوتر:

..لأول مرة أرى برودك وسكونك، ما الذي حدث..

حدثها دون النظر لها:

..لا شيء..

اجتاح قلبها الخوف عندما رأت موقفه وسمعت لكنته الباردة لتقول بخفوت:

..هل أنت نادم على زواجك مني! تظن أن جدك أجبرك على ذلك كما فعل مع رامز وألمى..

استطاع ببراعة أن يخفي ابتسامته ليقول ببرود جاعلاً قلبها يزداد خوفاً متلاعباً بأعصابها:

..ربما..

ترقرقت عيناها بالدموع لتقول بصوت مختنق:

..رامز وألمى انفصلا لإنهما يريدان هذا اثنيهما، ولكن أنا لا أريد أن أنفصل عنك وأنت تريد وهذا ليس عدل، يجب أن تأخذ رأيي وتحترم قراري إن رفضت ولا تتركني..

وأيضاً استطاع إخفاء ابتسامته علماً أنه كان يود أكلها لشدة لطافتها في هذه اللحظة ليجيب ببرود وامتعاض:  
..ولما لا ننفصل، ما الذي تريدينه مني، انتهينا سننفصل بالمعروف كحال رامز وألمى..

هبطت دموعها وجحظت عيناها عندما سمعت بكلامه لتقول ببيكاء:

..ولكنني لا أريد ذلك، هما انفصلا وهما أحرار ولكن أنا لا أريد الانفصال عنك..

لماذا..

بصوت مختنق أجابته:

..لأنني أحببتك ولم أعد أستطيع الابتعاد عنك..

رجت شفقتها السفلى كالأطفال ببيكاء ما إن أنهت جملتها لتتسع ابتسامته سامي ويقفز عليها ليحتضنها بقوة وهي تبكي بحضنه .. ضحك عليها قائلاً:

..ومن قال لك أنني سأتركك يابلهاء، لا بارك الله بي ولا سامحني إن تخليت عنك يوماً أو أحزنتك..

ناظرته بعينان دامعة وهي تشهق ببيكاء لتقول:

..إذاً لما قلت لي أنك لا تريدني..

اتسعت ابتسامته قائلاً:

..أردت أن أعلم ماردة فعلك، وهل أحببتني أم لا..

أجابت بعبوس:

..وماذا رأيت..

حدثها وهو يقرص وجنتها وبابتسامة شغب:

.. رأيت كل ما هو جميل..

ضربته على كتفه بخفة ليضحك عليها وتقول:

..حسناً هيا صالحنى لأفركك بخبر جميل..

همهم بتفكير ليقول:

..ممم حسناً سنلعب لعبة الفيديو وسأدعك تفوزين علي مارأيك..

صفقت بحماس لتقول:

..هياي اتفناا..

ضحك عليها قائلاً:

..حسناً ماذا تحبين لي..

أمسكت يده وهي مبتسمة لتضعها على بطنها المسطحة وتقول وهي تشير عليها:

..هنا، المفاجأة هنا، بعد سبعة أشهر ستصبح بابا..

بذهول حدثها:

..يعني بيبي صغير..

ضحكت عليه وهي تحرك رأسها بإيجاب ليسحبها ويمددها على السرير بسرعة ويقول:

..هكذا إذا سنلعب لعبة الفيديو وأدعك تفوزين دوماً..

ضحكت مجدداً لتتسع ابتسامته قائلاً:

..أحبك ياحمقاء، أحبك أنتِ والبيبي الذي لم يأتي بعد..

بنظرة حب أجابته:

..وأنا أعشقتك، بشهرين فقط عشقتك أيها الأبله..

اقترب منها وامتلكت شفيتها بقيلة شغوفة بعد هذا الاعتراف اللطيف لتتبدل القيلة من قيلة حب يتدرج ويتكون إلى قيلة حب ظاهر لم يعد يمنعه شيء من الخفاء ..

---

..أهلاً سيد زياد تفضل..

دخل زياد إلى منزل حسام بعد رحيل إيهاب ورجوع حسام للمنزل .. ليدخل زياد ببرود ويجلس في الصالة الكبيرة ..

وبدون مقدمات تحدث:

..جئت لكي أطمئن على جهاد..

همهم له حسام بإجاب مجيباً:

..هي بخير، لقد تعافت تقريباً، وحالتها النفسية لا بأس بها، اليوم كانت آخر جلسة لها عند الطبيب النفسي..

..الحمد لله، لقد فرحت بهذا الخبر..

حرك رأسه بإيجاب ليرد زياد:

..وهل يتردد شادي عليكم..

أجاب حسام:

..أجل يأتي ويطمئن عليها بين الحين والآخر، أصبحا صديقين وفي الواقع أنا فرحٌ إذ أن جهاد طوال فترة صمتها واكتئابها لم تتفاعل مع سواه..

ابتسم زياد قائلاً:

..لربما وقعت له..

نظر له حسام ببرود ومن ثم ابتسم بسخرية مجيياً:

..ألا تؤمن بالصدافة سيد زياد..

زياد بخبيث:

..لا، فصداقات كثيرة تحولت إلى حب ومن ثم لم يُحصد سوى خسران الحبيب..

تنهد حسام بضيق قائلاً:

..أرجوك أغلق على هذا الموضوع..

-لم أفتحه لأغلقه، عموماً جئتُك بعمل..

همهم له حسام ليقول زياد غير عالماً أن والدته حسام السيدة نجوى تنتصت عليهما .. منذ سبع سنوات لم تطأ قدمه هذا المنزل .. منذ آخر مصيبة أتى بها لولديها وجعلهما أشبه لرجال العصابات .. ينفذان ما يطلب منهما .. يفعلان مايليه عليهما دون التفوه بحرف ..

لطالما كرهته وكرهت وجوده وكرهت معرفته لأولادها .. ولطالما ذلك السر الذي تعرفه عنه والمخبأ منذ سنوات يأكل بها وينهشها ويقف كالشوكة في حلقها ..

أنصتت جيداً عندما تحدث زياد:

..كما السابق، كل من يقف بطريقنا سنبعده، ستكون معي كوني خسرت إيهاب فأنت ستحل محله..

ابتسم حسام بسخرية قائلاً:

..أنت هكذا دائماً سيد زياد، تستغل المواقف وترى كمية القهر والودع بالناس ولا تحرك ساكناً، فقط تضغط على أوجاعهم وتستغل مللهم وبؤسهم وتأتي لتعرض عليهم عمك، أليس كذلك..

زياد بحاجب مرفوع ونبرة واثقة:

..ولما لا أستغل وأمشي لصالحني، هذه فرص تأتينا ونحن يجب أن نستغلها، لا تقل لي هذا لا يصح وهذا لا يجوز، هذه الحياة مخيفة ولا تأكل سوى الضعيف وتزيحه عن طريقها أما القوي فيقائه ثابت ولا تستطيع تحريكه شعرة واحدة، بل هو من يتحكم بالحياة والناس، فلما لا أستغل برأيك..

همهم له حسام قائلاً:

..معك حق، كلامك صحيح، ولكن قل لي! لما لم تستغل زوجة ابنك منذ أن كانت صغيرة واستحوذت على عقلها لتتزوجك، لما في هذه الفترة بدأت تلاحقها وتبرهن لها حبك وتحاول أخذها من حبك..

خرجت شهقة خافتة من نجوى التي سمعت وعلمت بقصة زياد الآن .. بينما زياد اشتعلت عيناه غضباً وغلاً ليقول بغضب مخيف:

..قسماً بالله يا حسام انطق بكلمة أخرى عنها وسأقتلك في أرضك، والله لا أسأل عنك ولا عن الذي أكبر منك، أخذ روحك إن تفوهت بكلمة أو فتحت هذا الموضوع بعد الآن..

ابتسم حسام بعمق ليعلم تماماً أنه تفوه بشيء يربك زياد ويضعفه .. هذه هي نقطة ضعفه .. شهد .. تلك التي أماتت وأحييت الكثير من الأشياء داخل زياد ..

لم تتغير نظراته العاشقة عندما سمع بسيرتها .. لم تتغير مشاعره ولا طريقة اشتياقه ولا طريقة تفكيره بها .. ظل مثلما هو ..

باضطراب كبير وواضح عليه هب واقفاً ليقول:

..سنتحدث فيما بعد..

وقف حسام قائلاً:

..أنا أسف إن أز عجتك بكلامي، اجلس لننتحدث..

أراد أن يجلس ولكن معين هاتفه ليجيبه:

..ماذا..

سمع كلامه ليقول:

..حسناً أنا قادم..

تنهد عندما أغلق الهاتف قائلاً:

..أنا مضطر للذهاب، سأحدثك لاحقاً..

همهم له وصافحه ليوصله إلى الباب ويودعه ومن ثم خرج بسرعة إلى وجهته .. لتخرج نجوى قائلة بحدة:

.. هذا الرجل سيدمرك أنت وأخيك إن ظللتما معه هل تسمع..

-أمي لا تبالغي، هو يحبنا كثيراً، ولا يضر لنا الشر أبداً، على العكس كان دائماً يحمينا أنا وإيهاب..

أجابته بحدة:

.. أنت لا تعلم شيء عنه، أنا التي أعرفه، وهل أنسى ما فعله منذ أربعة وعشرين سنة، والله لن أتركه أبداً إلا وأفضحه فقط على خسته ونذالته مع زوجة ابنه أيضاً..

لم تدع ابنها يسألها أي سؤال علما أنه كان متعجباً كثيراً من حديثها ولم يفهم عليها شيء لتتوجه هي إلى غرفته وكلها إصرار على ما ستقوم بفعله ..

---

دخل عليه بسرعة بوجه واجم ليقول معين:

.. أنا بحثت عن جهاد محمد سالم محفوظ وعلمت كل شيء يخصه، هو يقطن بمنطقة قريبة من هنا برفقة زوجته التي أصبح نظرها ضعيف جداً، علمت كل ما يخصهم عن حياتهم وعمله، زوجته كما قلت نظرها ضعيف حسب ما قيل لي وهو مازال في يعمل في ورشة النجارة خاصته، وسمعت أيضاً أنه مديون كثيراً ويعيش بمنزل بسيط ووضع المادي على حجمه تقريباً..

كان يستمع له بصحبة كبيرة غير مصدقا لما يسمعه ليقول:

..إذاً من هذا الذي بالداخل..

حرك معين كتفيه ليقول:

..بطريقة ما وصلت هويته لجبية هذا الرجل، أشعر أنه يتلاعب بنا، ويجب أن نكتشف أمره..

كز زياد على أسنانه ليصرخ بجنون:

..أنت تسايهه منذ شهر وتقدم له كل شيء فقط لكي نجعله يتحنن علينا ويتذكر أي شيء يخصه وينطق وفي الأخير لا يكون هو جهاد الذي أعرفه أنا، أقسم أنني سأخذ روحه إن لم يتحدث..

وبسرعة البرق دخل عليه زياد ليلحق به معين كي لا يفتعل مصيبة به .. ليرى ذلك الرجل الذي كان يغير ملبسه على عجلة وكأنه ينوي الهرب ..

توقف عن فعل أي شيء حالما رأى زياد أمامه ليتقدم منه بسرعة ويمسكه من ياقته ويقول بغضب:  
..من أنت، ومن أين أتيت، وكيف وصلت هذه الهوية إلى جيبك، حدثني قبل أن آخذ روحك أسمع..

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يرى نظرة الشر من عينيه ليقول بتلعثم:  
..أنا، كن كنت فق .. ..

قاطعته زياد وهو يصرخ:  
..إن حاولت التذكي علي والكذب والمراوغة ستري شيء لا يعجبك أبداً، قل لي من أين جلبت هذه الهوية ومن  
أين تعرف صاحبها، أخبرني قبل أن أقتلك..

نتره من يده ليقع على الأرض ويتحدث الرجل بخوف:  
..أنا لا أعرفه ولكنني سرقت محفظته منذ عدة أيام وصرفت كل الأموال التي في المحفظة وظلت الهوية في  
جيبتي، صدقني هذا ماحدث..

سأله زياد بحدة:  
..ولما سرقت الرجل..

تحدث بخوف:  
..لإنني لا أملك شيء، مشرد في هذه الشوارع، فسرت محفظته عندما تأكدت أنه يوجد بها أموال، كنت أراقبه  
وهو يعدهم في الطريق لذلك استغللت الفرصة وسرت المحفظة وهربت..

سأله معين:  
..ألم يحاول لحاقتك، إيقافتك، أي شيء..

-بلى صار يصرخ ولحق بي إلى أن تعب ولم يستطع إمساكي وأنا لم أسأل به، صرفت الأموال وانتهى الأمر..

تنهد زياد بحدة ليقول بغضب مكتوم:  
..ارمه خارجاً، لا أريد رؤية وجهه، أعطه قليلاً من الأموال وارمه في الخارج..

معين:

..ولما نعطيهِ الأموال، أنا الآن أتمنى لو أقتله على خداعنا..

صرخ زياد قائلاً:

..كي لا يسرق جهاد ثاني ويخرج لي جهاد ثاني، أعلمت لماذا..

وجه كلامه للرجل:

..وأنت إن حدثت ورأيت وجهك ولو صدفة في الطريق سأخذ روحك أسمع..

حرك رأسه بإيجاب وخوف ليمسكه معين وينظره باشمئزاز ويخرجه من المنزل بعد أن أعطاه مبلغ لا بأس به وشمته وطرده خارجاً ..

حسناً في الواقع هذا الرجل كان يخدمهما طيلة هذه الفترة .. فهو استغل الفرصة ورأى اهتمامهما به وأحب ذلك ليظل على صمته وادعائه بالمرض وبالنسيان كي تطول مدة بقائه عندهما في ظل هذا الاهتمام وهذه الخدمة التي لم يحلم بها في حياته ..

تنهد معين وهو يدخل على زياد ليقول:

..ماذا الآن..

حدثه زياد بعد تفكير عميق وشرود:

..أعطني عنوانه..

---

دخل إلى منزله بعد عناء طويل وقهر وكبت .. ليرى زين جالساً في الصالة برفقة سلمى التي تتلوى من قلقها وعيناها تفيض بالدموع والقلق ..

نظر لتلك المرأة التي تغيرت كثيراً عليه وكبرت وهرمت أيضاً .. خوف طفيف اجتاح قلبه لفكرة وجودها ونظرتها التي فسرها على أنها لا تنم على خير أبداً ..

لم تكن سوى نجوى والدة حسام وإيهاب .. كانت جالسة تناظره بحاجب مرفوع ونظرة صارمة وكأنها تقول له  
جئت للحساب وللفضيحة ..

دخل ليجلس ونظره مثبت عليها ليقول:

..ما الذي أتى بكِ إلى منزلي..

أجابت بثبات:

..جئت لكي نتحدث بكثير من الأشياء، وأولها ابتعادك عن أولادي..

ابتسم ببرود قائلاً:

..ومابهم أولادك، هل أذيت واحد منهما ياترى..

-أنت لا تجرؤ أصلاً على أذيتهما يازياد..

لطالما كانت هذه المرأة تستفزه وتشعل فتيلة غضبه بكلامها وحديثها .. لطالما وقفت كالشوكة في حلقه .. كثير  
من المرات وصل به الحال للجنون والتفكير في قتلها ولكنه كان يتراجع ويعود عن فكرته فقط رافة بأولادها  
الذين كانوا صغاراً جداً .. كان يرى فيهم زين .. فلم يحبذ ظلمهم وجعلهم أن يعيشوا بلا أم ..

بأسنان مصطكة وأعين حادة ونبرة متوعدة حدثها:

..أستطيع يا نجوى، وأستطيع أن أخذ روحك أيضاً..

ابتسمت بتهكم مجيبة:

..هذا ما تفلح به، حصد الأرواح، التهديد، المصالح، السير وتلتقدم بالخطأ، النظر إلى ما هو محرم عليك..

فهم مقصد جملتها ليهب واقفا ويقول بغضب:

..اخرجي من منزلي، بسرعة اخرجي قبل أن أفقد أعصابي وأفعل بكِ شيء أندم عليه فيما بعد، هيا اخرجي..

أنهى جملته بصراخ لتهب واقفة وتقول بصراخ مماثل:

..لا لن أخرج قبل أن يعلم ابنك أي حقيقة تخبأها عليه منذ سنوات طوال..

هنا أجهشت سلمى بالبكاء وزين عقد حاجبيه بتعجب كبير قائلاً:

..ما الأمر أبي، ماذا تقول هذه السيدة..

-أتريد أن أحدثك ما الذي أقوله..

زياد بصراخ وغضب:

..اصمتي وإلا قتلنك أتفهمين..

زين بالحاح:

..أبي أرجوك ماذا يحدث..

ابتلع زياد ريقه عندما شعر أنه على حافة الهاوية .. إن لم تستطع شهد إسقاطه على مافعلته به وبسبب حبها فهذه المرأة حتماً ستفعل ..

حدثته نجوى بلؤم و حدة:

..لطالما فعلت الكثير من الأخطاء المخزية وظلمت أناس كثيرين، قهرت وظلمت وأبعدت كل من يقف بطريقك، ولم تحسب حساب هذا اليوم، يوم يعلم ابنك من هو ومن أين أتى وما صفته بالنسبة لك وما صفته أيضاً بوجوده في هذا المنزل..

بعينان حادة ومشتعلة اقترب منها زياد ليمسكها من رأسها لينزاح حجابها قليلاً وتظهر خصلات شعرها الشائبة ليصرخ بها:

..كفى، اخرجي من منزلي ولا تريني وجهك بعد اليوم، وإن فكرتي بالعودة إلى هنا سأقتلك، والله أقتلك ولا أسأل أنسمعين..

أبعدت يده عنها بكل قوتها لتقول بغضب:

..ولما سأخافك أيها الجبان، أيها المخادع، أيها الحقير خاطف الأطفال..

أنهت جملتها بصراخ لتجحظ عينان كل من كان موجود ليقول زياد بهمس حاد وعينان تشع غضب وقهر ورجاء:

..اخرجي من منزلي أرجوك، اخرجي وأعدك أن لا أقترب من أولادك..

أجابته وهي تضيق عيناها وتتوعد لن وبنبرة صارمة:

.. لا والله لن أخرج قبل أن أحدث زين بكل شيء، ليس لإنني أحزن عليه بل لإنني أحزن على تلك المرأة التي ضعف نظرها وهي تبكي بقهر منتظرة ابنها الوحيد أن يعود لها ولم يعود إلى الآن، وذلك الرجل البسيط الذي كسر ظهره لفقدانه لابنه، ظللت طوال سنوات أشاهدهما وهما يتلوان ويتعذبان على فراق ابنهم وأنا لا أستطيع أم أفتح فاهي بحرف فقط لـ أو من لقمة عيشي وعيش أولادي منك، أعلم أنا لعينة أكثر منك لصمتي وسكوتي كل هذه المدة ولكن ليس بعد الآن، اليوم ستكشق حقيقتك يا زياد..

بانهيار تام وهو يصرخ ويشتم بها ويجرها ليخرجها من منزله كانت تتلوى وتحاول التملص من قبضتيه لتكمل حديثها وزين واقفا يتابع كل شيء بذهول غير مستوعباً لما يحدث .. لتصرخ وهي تجاول التملص منه:

.. اتركني قلت اتركني، أريد أن أحدثه بكل شيء، سأخبره بالحقيقة..

لم يستمع لها وقبل أن يفتح باب المنزل ليخرجها صرخت بتلك الجملة التي صدحت في أرجاء المنزل قائلة:

.. زين أنت لست ابن زياد، أنت ابن جهاد محمد سالم محفوظ، زياد اختطفك وأخذك منه منذ أربعة وعشرين عاماً..

"تكسرنا العائلة أكثر مما تفعل الحكومة والسجون وأقبيبة المخابرات والعساكر وزوار الليل والناس أجمعين ..  
تكسرنا العائلة"

---

"كنت أعرف منذ البداية أنني وجدتك لأضيعك ... وأحبيبتك لأفقدك ... فقد التقينا مصادفة وكنا سهمين متعاكسي الاتجاه ... وكان لا مفر من الوداع كما اللقاء"

هل تسائلنا يوماً عن أحوالنا كيف ستصبح بعد مرور خمسة سنوات .. كيف تتغير علينا الحياة ونعيشها بحلوها ومرها وجنونها وغضبها وبؤسها وفرحها ..

أشد المشاعر إيلاماً عندما ترسم بأحلامك حياتك القادمة .. تزاحم عليها طوابير الحالمين .. ثم تعصف الرياح بك وبعد أن تنتهي العاصفة تفتح عينيك بعد عناء لتشاهد الحياة من جديد .. وإذ بك مجرداً خالياً من كل شيء .. وليس هذا الألم .. الألم أن تسمع ضحكات خافتة لطيفة بالقرب منك .. تنظر مسرعاً وإذ بها حكايتك .. نعم نفس الرواية التي رسمتها لحياتك .. نفس الأحداث والتفاصيل .. نفس المشاعر .. نفس الحب .. نفس الشخص الذي أحبيته ..

ولكن ماهذا!.. البطل ليس أنت .. فتعود خائباً مكسوراً .. من عبث بأوراق مخيلتك!.. من عبث بأوراق حياتك أيضاً!.. من سرق كتابات أحلامك!.. من جنبك دور البطولة وأسنده لغيرك .. إنها الواقعية والعدالة ..

تلك هي حاله .. منذ علمه بزواجها لم يرى يوماً من الفرح أو السعادة .. أصبح معزولاً تماماً عن العالم كله .. ليس لبعدها عنه فقط بل لخسارة ابنه أيضاً ..

هي الأيام التي فعلت مافعلته به وجعلته يقاسي كل أنواع العذاب .. حياة خالية بانسة أشبه بظلام المقابر ..

ماعاد شيء يعجبه أو يلفته أو حتى يبكيه .. أصبح وحيد تماماً .. لا شهد كانت له ولا ابنه ظل على اسمه ولا زوجته ظلت في هذه الحياة ..

وكتكرار الأيام عليه ببرودها وخلوها من أي لون نهض ليصنع له فنجان قهوة سوداء ومرة كمرارة أيامه ..

دخان متصاعد بكثرة وظلمة وعممة .. في وضح النهار يعزل نفسه ويطفئ الإنارة ولا يدع ضوء الشمس يدخله .. بات يزعجه جداً .. كما صارت خلطته بالناس تزعجه وتعكر مزاجه ..

طاولة صغيرة وكروسي منفرد وأوراق مبعثرة وعدة أقلام ودخان وقهوة سوداء .. هكذا صارت حياته .. عبارة عن كتابة ودخان كثير واحتساء القهوة بكثرة ..

تنهد ليضع فنجانه أمامه ويجلس وراء الطاولة ويمسك بقلمه ليبدون ما خطر في باله:

..اليوم السابع عشر بعد مرور خمسة سنوات على غيابك .. لقد دخلنا في السنة السادسة .. مضى منها الآن سبعة عشر يوماً وتسع ساعات ودقيقتان وست ثواني من أصل ثلاثمئة وسبعة وأربعين يوماً وخمسة عشر ساعة ..

بات فوادي محترق في غيابك .. في كل دقيقة من غيابك أشعر به كيف يحترق من داخله ولا أستطيع أن أطفئ نيرانه المشتعلة .. كل شيء أصبح ضدي .. كل شيء تخلى عني .. أصبحت منبوذاً ووحيداً ..

في غيابك كل شيء حولي صار أسود وحياتي باتت بلا طعم وبلا لون وبلا رائحة ..

صحيح أنني كنت معتاد على هذا الشيء لسنوات طوال قبل أن ألتقي بكِ ولكن أنتِ يا شهيد عندما رأيتكِ أعدتي  
لحياتي رونقها وأعدتي لها البهجة والسرور ..

في الوقت الذي كنت أحتضنكِ كأب وأعتبركِ كزينة تماماً جعلني ألتصق بكِ كثيراً .. لم أكن أحبكِ ذلك الحب  
الذي أريبتكِ إياه والذي لطالما حدثت الكثير من المشاكل بسببه .. ولكنني كنت أفرح عندما أراكِ .. أشعر أنني  
على قيد الحياة .. كنت أعد الساعات لتأتيني راضية في كل يوم بشعركِ الطويل وفسنانكِ الناعم لتقولين جملتكِ  
المعتادة:

.. عمو هيا بنا نلعب سوياً أنا وأنتِ وزين ..

ومازلت منتظراً هذه اللحظة بالساعات والأيام والسنوات .. تمنيت لو أنكِ لم تكبري وتبقين صغيرة لأراكِ ..  
لأرى وجهكِ الباسم .. لأرى ضحككِ البريئة .. لم يعجبني بعدكِ ولم يدعني أرتاح .. في كل ليلة أناشدكِ بكل  
غالي عليكِ أن تتوقفي عن ذلك التجوال الليلي الماجن داخل أعصابي .. أن تدعيني ولو لمرة واحدة في العمر  
أحظى بليلة هادئة .. ليلة أنام بها على سريري من دون أن تشتعل الوسائد والأغطية ..

في قلب كل رجل رغبة للحياة .. إلا أنا .. تتشكل رغبتني في أن أعيش وأموت بحضنكِ الوطن ولا أفهم كيف  
تأتي الأشياء مقلوبة في غيابكِ .. إنكِ لا تعلمين كيف يدس الحزن في قلبي من غيابكِ .. يحدث كل هذا كما لو  
أن صدري يُسحق بأطراف زجاج مكسور ..

أصبحت في نظر نفسي محطاً للسخرية وليس للناس .. فقد اعتزلت الناس .. اعتزلت الحياة وجردت نفسي من  
نفسي .. شوقي لكِ أصبح مبك .. هل تعلمين ؟ .. أراكِ فيما أكتب .. أراكِ في حديثي .. أراكِ في حاجتي .. أراكِ  
في أحزاني .. أنا من وقع في الفراق القاسي ..

لم يكفيني بعد ابني عني لتبتعد عني أنتِ .. أتصدقين .. لقد رحل زين .. ابتعد عني ودموعي تملأ وجهي ..  
لم أخجل أن أذرف له دموعي في وقتها .. ولم أستحي في أن أرجوه أن يبقى بجواري ولا يتركني وحيداً بعد أن  
علم أنني لست والده ..

لطالما علمت أن القدر يعاقبني على ما فعلته في السابق .. عندما تجبرت وتكبرت وفعلت ما فعلته .. عندما أبكيت  
سندس في ليلة شتاء باردة وأفقدتها عذريتها وهي ابنة السادسة عشر .. يوم كنت أتلاعب بسلمى وأسخر منها  
لطريقة حبها لي واهتمامها بي .. كنت أسخر منها إلى أن بت أسخر من نفسي لإنني وقعت مثلها في الحب ..  
يوم علمت بعقبي وصرت أتهم سلمى أنها هي العقيمة وتزوجت عليها لأكتشف حينها أنني حقاً عقيم .. يوم  
أسودت الدنيا في عينايا ولم ترضى عنهجيتي أن أقول لسلمى اتركيني وتزوجي غيري لتحظين بالأولاد .. بل  
فعلت ما هو أسوأ لأحظى بالأولاد ..

يوم تأمرت مع طبيب المستشفى ومديته بالأموال ليعطيني ولداً قد ولد حديثاً .. وبالفعل هذا ما حدث يوم أنجبت  
والدة زين الحقيقية وأخبروها أن ابنها قد فقد وهو في الحضانة ولم يعد له أثر ..

يومها وبكل تجبر وتكبر كنت في تلك المستشفى وكنت أشاهد كيف تنوح وتبكي بحرقه كالطير الذي فقد صغيره .. رأيت عجز والده البسيط والذي علمت أنه كد وتعب وشقي ليؤمن مبلغاً وافراً من المال ليدع زوجته تلد في أحسن المستشفيات .. وعلمت أنهما بعد علاج دام خمس سنوات حتى رزقا بهذا الطفل قد فقد منهما الآن بكل بساطة ..

كنت أضحك بيني وبين نفسي عندما رأيت زين كيف كبر وشب أمامي ودخل كلية الطب وسيصبح أحسن الأطباء بعد تخرجه .. كنت أقول لو أنه عاش مع والده البسيط ما الذي سيقدمه له! وعلى ماذا سيعلمه! وأي تربية سيربيه عليها! وما الدراسة التي سيدرسه إياها! .. هه أو لما سيدرسه! .. كنت أقول طبعاً سينتظر ليصبح بالثامنة عشر ومن ثم يأخذه معه إلى ورشة النجارة ليعلمه هذه الصنعة ويجعل منه رجل ..

كنت بكل عنهجية أقولها بيني وبين نفسي وأضحك .. في كل موقف يمر علي مع زين أتذكر وأقارن .. في الأطعمة الفاخرة أو الثياب الباهظة الثمن أو المدارس الخصوصية التي كنت أدخله إليها أو النوادي التي كنت أخذه عليها .. كل هذه كنت أتذكرها وأقارنها وأعتر أن عندي ولد كزين وربيتة أحسن تربية لأصنع منه رجلاً متقناً وواعياً ومتعلماً .. لم أكن أعلم أن أبوين كوالدي زين سيدفعان دماء قلوبهما ليأمنان له كل سبل الراحة ..

أترين!.. بكل قسوة كنت أراقبهما ولم ترف لي عين .. ولكنني لم أحظى بزین طويلاً .. فقد شاء القدر أن يعود إلى والديه .. رحل أمام ناظري ولم أستطع فعل شيء في وقتها .. تماماً مثلما فقد من والديه في وقتها ولم يستطيعان فعل شيء أو العثور عليه .. كنت أعلم أن العدالة الإلهية ستتحقق ..

أنا الآن أدعو له وأتمنى أن ألمحه للمرة الأخيرة .. فقد أصبت بالأمراض المزمنة وبت أشعر أنني سأنتهي عما قريب .. أريد فقط أن أراه للمرة الأخيرة .. لا أريده أن يقسو لأربعة وعشرين سنة كما قسوت أنا على والديه وحرمتها منه .. فلم أعد أضمن عمري وبقائي في هذه الحياة ..

أتعلمين ما حل بسلمى يوم فقدت زين .. أصيبت بجلطة قلبية وضعف قلبها جداً وصارت تقضي وقتها في المستشفيات والعلاج أكثر من قضاء وقتها في المنزل .. لم أستطع أن أحتمل وضعها خصوصاً أنني كنت سبباً من بين تلك الأسباب التي جعلتها تزور المستشفيات بكثرة .. نعم كثير من البعد بيننا ولكنها مازالت معي .. لم أتخلى عنها وهذه الحسنة الوحيدة التي فعلتها في حياتي .. أنني داريتها واعتنيت بها طوال فترة مرضها ووجع قلبها لفقدان ابننا ..

تمنيت لو أنني في يومها أصبت بجلطة ومت ولم أبقى وحيداً في منزلي الكبير الذي أصبح موحش جداً بوجودها ولكن بجسد دون روح .. فروحها في المنزل كانت تخفف عنا الكثير .. الآن باتت امرأة مريضة تعاني من أمراض عدة وأولها القلب وليست قادرة على الحركة ..

أنا معها الآن ولست معها .. وهي معي وليست معي .. أراها وأعتني بها وأخفف عنها وهي تخفف عني وما إن أطمئن عليها حتى أعود لعزلتي وأكتب لك مايجول بخاطري ..

قلبي الذي امتلئ بالسواد لفقدانك أيضاً بات موحشاً بشكل لا يوصف ..

أكثر ما يخيفني أن يخالط الشيب رأسي أكثر من الآن ويصيبني الزهايمر وتنسيني الدنيا انت وكنتي أنت لي دنيا .. أخاف ألا يوفيك حزني حَقْكَ .. أخاف من كل ابتسامة تتسلل إلى فمي .. من كل لحظة يسعد بها قلبي ولا يكون سبب سعادته أنت .. أخاف أن تخونني الذاكرة وأنساك أو نلتقي ثانية ولا أذكرك .. أخاف أن لا أحبك .. باختصار .. أنا أخاف أن يتلوث قلبي بغيرك ..

أنا الآن أحكي لك وأدون كلماتي في عدة سطور وأعلم كل العلم أنك ستقرأينها في يوم من الأيام .. ستعلمين كم كنت أحبك وأعشقتك .. ستعلمين كم كنت متيماً بك ولطالما حاولت قدر المستطاع أن أبرهن لك حبي ..

كنت أقول لك أنني أريدك وأريد أن تصبحين زوجتي .. كنتي تفسرينها على أنني أريدك عشيقتي .. لم أستطع أن أنطق أمامك أن زين ليس ابني .. لم تأتني الجرأة للإفشاء عن هذا السر الذي ظل مخبأ طيلة هذه السنوات عن الجميع .. كان معي أنا وسلمي وتلك اللعينة نجوى ..

كنت أريد أن ألتقي بك كنت أبحث عنك .. أريد أن تعرفيني بعد كل هذه السنوات التي ظللت أنتظرك بها متواري في الظل .. أريد أن تقدريني وأن تحبيني كما أحببتك ..

أصبحت كل ليلة أكتب اسمك ثم كلمة أحبك على جميع أوراقني منذ اللحظة التي اكتشفت فيها أن طيفك يأتي للتجسس على كتاباتي بعد أن أنام ..

لا تحزني يا ريحانة قلبي ولا تبكين عندما تقرئين سطورني .. فلنعيشي مسرورة وبهناء كبير مع زوجك الأحمق والذي مع أنني لم أراه إلا أنني لم ولن أطيقه .. فهو من حظي بك وأخذك مني ..

كوني قوية كما أعهدك وحافظي على بشرتك لا تدعي للهالات السوداء مكاناً لها .. لطالما عشقت لون بشرتك ونعومتها .. لطالما تمنيت أن أضع شفاهي عليها وأشعر بحلاوتها .. لطالما تمنيت وتمنيت .. ولكن التمني يبقى تمنياً وأعلم جيداً أنني لن أحصل على ما أتمناه ولو أُلجئت إلى رماد ..

«----»

تنهد بقوة ليترك قلمه ويرتشف قهوته ويدخن سيجارته بشراهة مبتسماً وراضياً عما كتبه ..

نظر لصورتها وهي في عمر التاسعة عشر والتي يضعها دوماً أمامه ليمسكها بيده ويبتسم باتساع ويحدث الصورة:

..اشتقت لكِ شهدي..

---

دخل إلى منزله بهدوء ليبحث عنها ويجدها جالسة في الصالة هي وذلك الصغير .. تقدم منه ابنه الصغير ذو السبع سنوات ليحتضنه كعادته ومن ثم اقترب منها مقبلاً إياها من وجنتها وهي تبتسم له باتساع ..

حدثته ألى:

..لما تأخرت..

ابتسم حسام وهو يحمل لؤي:

..زحمة الطريق حبيبتى..

ألى بمكر:

..زحمة الطريق أم شيء آخر.

ضحك قائلاً:

..صديقي زحمة الطريق مابك يا امرأة..

هممت له بابتسامة لتقول:

..حسناً إذأً هيا اذهب وبدل ملابسك ريثما نجهز لك الغداء أنا ولؤي..

حسام بابتسامة:

..حسناً، ولا تنسين لدينا سهرة في المساء..

حركت رأسها بإيجاب لتتوجه إلى المطبخ ولؤي برفتها بينما حسام فقد توجه إلى الغرفة ليبدل ملابسه ..

تتسائلون كيف اجتمع حسام وألى ابنة شقيق زياد .. حسناً سأخبركم ..

في الواقع لقاتهما كان بمحض الصدفة لا أكثر .. فهو إلى الآن لم ينسى يوم وقوف سيارتها بوجه سيارته .. يومها لم تتنازل وتبتعد له علماً أنه كان الطريق له وهي من كان يجب عليها الرجوع قليلاً ليمر ولكنها وبحكم عنادها ومزاجها السيء الذي كانت به في وقتها لم تتنازل ولم تعود له ولم يفض هذا النزاع إلا حسام الذي علم أنها مجنونة وابتعد مسافة لا بأس لها لتمر ..

مازال يذكر تلك الكلمة التي حدثته بها وهي تمر بعد أن فُتح الطريق في وقتها قائلة:  
..لا تقود سيارة بعد الآن أيها الأحمق، أعان الله زوجتك على عقلك وتصرفاتك، غبي..

وبغضب كبير مد رأسه ليقول بغیظ و غضب:

..لو كان لدي زوجة ما كنت سأخرج في هذا الوقت تحديداً لأرى وجهك أيتها الحمقاء، فلتحترمي نفسك وتقصين هذا اللسان الذي تنفوهين به كلماتك السامة..

وكون أنه أشعل فتيلة غضبها وهي سريعة الغضب عادت بسيارتها لتصبح خلف سيارته تماماً وهنا ضربت سيارته ليهبط من السيارة بغضب كبير وتهبط هي أيضا ويقول بحدة:

..ماذا فعلتي أيتها الحمقاء، لما كل هذه العدائية، سأدعي عليك والله..

وببرود تام أجابته:

..لا يهمني، وما أسوأ ما يحدث يعني، آخرها سأدفع لك الأضرار وانتهينا..

ابتسم باستفزاز قائلاً:

..أجل ستدفعين طبعاً وقدمك فوق رأسك أيضاً..

جن جنونها عندما سمعت جملته لتركله على منطقتة وتحفظ عيناه ويتأوه بألم لتقول بغضب:

..احفظ لسانك أيها الغبي وإلا والله سأنزل عليك بالضرب المبرح..

كان يتألم كثيراً ومعالم وجهه منكمشة ليقول:

..والله لن أتركك أيتها المسترجلة..

بسخرية أجابت:

..أجل فليكن بيننا رجل لا بأس، فأنت بعيد كل البعد عن الرجولة، أحمق..

وأنت كلماتها وصعدت بسيارتها ورحلت ولكن حسام أخذ رقم سيارتها وأقسم أنه لن يتركها ..

علم عنوان بيتها بعد مدة وعلم كل شيء يخصها ولم يدعي عليها فقد أراد محاسبتها بنفسه .. حتى أنه علم أنها تكون ابنة شقيق زياد وعلم أنها مطلقة وكل شيء يخصها بالكامل ..

لم يتركها في تلك الفترة وكأنها وجد تسليية وظل يطاردها أينما ذهبت ويزعجها ويضايقها لدرجة أنه في مرة من المرات أرسل لها مع طفل صغير ظرف بحجم الكف واستلمته في وقتها من الطفل لتقرأ الرسالة والتي لم يكن مدون بها سوى كلمة واحدة وهي (مسترجلة) ..

علمت أنها منه عندها ومزقتها بغضب وغيظ كبير .. إلى أن طفح معها الكيل وحدثت أخيها سامي لإيقافه فهي لم تعد تقدر عليه ويوم تدخل سامي وتحدث معه طلب يدها منه ..

لم تتقبله أول فترة وظلا كالقط والفأر في فترة الخطبة ولكن بعد أن أصبحت في بيته رأت جانبه المحب والراقي والحنون لتسلمه قلبها بكل أريحية ..

كانت فرحة به وفرحة أكثر لأنها اختارت شريك حياتها بنفسها وهي تعيش معه حياتها والتي تملؤها التفاهم والحب والحنان وطبعاً لم تمنع من بقاء لوي معهما وكانت له الأم الثانية والحنونة عليه خصوصاً أنها ومنذ زواجها من حسام منذ ثلاثة سنوات لم ترزق بطفل بعد لمشكلة ما بها ولكنها في طريقها للعلاج ولا بد أن يمن الله عليهما بولد ثاني وفرحة ثانية ..

في المساء

دق جرس الباب ليتوجه حسام فوراً ويفتحه وطبعاً كان إيهاب وزوجته سناء .. نعم تصالحا بعد سنة من المشاكل التي حدثت بين الشقيقين وخصوصاً عندما علما أن ليس لهما سوى بعضهما بعد وفاة والدتهم ..

وطبعاً حسام بعدما قابل ألمى وتزوجها بعد فترة ساهم في إرجاع سناء لإيهاب .. خصوصاً عندما رأى ندمه لخسارتها واشتياقه لها .. استطاع أن يجمع بينهما ويعيدها له مثلما كان السبب بطلاقهما في وقتها ..

وطبعاً عندما أعادها لم تقبل دينا أبداً بهذا الشيء فلم يكن قرارها إلا الانفصال عنه .. علماً أنه كان حريصاً عليها ولم يظلمها أبداً ولكنها اختارت الطلاق منه كما اختارت الطلاق من أخيه أول مرة ..

وقد تزوجت دينا بعد سنة تقريباً من طلاقها من إيهاب وطبعاً حسام كان وقتها متزوج ولم يمنعها من رؤية لؤي وهي الآن هكذا .. كلما أرادت أن ترى لؤي يرسله لها فوراً ولم يحرمها منه أو يكرهه بها .. على العكس دائماً يفهمه ويعلمه أنه يتوجب عليه احترام أمه وجميع الأمور تمشي وتمر ولا يوجد أي مشاكل بعد الآن ..

"الحب لا يبحث عنه

ولا يخطط له ..

لا يصنع ، ولا يخلق ..

الحب يختارك ،

يضرب قلبك في غارة خاطفة

لم تسبقها صفارة إنذار ..

وهو الشعور غير المبرر ،

الذي يبطل عندما نجد له أسباباً"

---

في ذلك المنزل الكبير وبغرفة منه بالتحديد كان يخرج أصوات ضجة وصراخ وبكاء ولم يكن سوى طبعاً سامي ولينا ..

كانت لينا تقفز وهي تمسك القبضة وتضغط على أزرارها بسرعة وعيناها تملؤها الحماس لتسجل هدف وتدع زوجها يخسر ..

سامي كان يحاول التشويش عليها ليكسب هو وكلما لمسها تصرخ وتشتتمه وطبعاً كانا مدموجان جداً باللعبة ولم يهتما للطفلين اللذان يبكيان ..

أحدهما يبكي والآخر يصمت وبالعكس أيضاً وأحياناً يصمتان سوياً وأحياناً يبكيان سوياً .. ليبدأ سامي محاولاً إسكاتهما والإشارة لهما وهو يلعب ليصمتان ولكن لا حياة لمن تنادي ..

كانت الضجة حقاً منبعثة من غرفتهم ولطالما اعتاد نزار وزوجته على هذا الشيء ..

ولإن الطفلان (جاد وجواد) ذو الأربع سنوات حقاً اشتد بكائهما صرخ بهما سامي:

.. اصمتا أنتما الاثنین، انتھینا، دعانا نكمل اللعبة اللعینة هذه..

صمت جاد ولكن جواد ظل يبكي وما إن انتبه جواد أن توأمه صمت حتى صمت مثله .. اقترب منه وشد له شعره ليصرخ جاد ويلتفت سامي صارخاً به:

.. لا لا، اترك شعره أيها الأحمق..

تركه وابتعد عنه ليصمت جاد ويهرول ناحية اللعبة المرمية على الأرض ليأخذها والتي لم تكن سوى لجواد وما إن أمسكها حتى صرخ جواد وبدأ بالبكاء لتستدير ليينا وتقول:

.. لا لا اتركها له وخذ لعبتك أيها الصغير..

رماها له على الأرض ليلتقطها جواد سريعاً ويهرول بها إلى أمه وبدأت التثرثرة المعتادة:  
..مامي أريد لفلوفة شوكولا..

قفز جاد ليهرول أيضاً ناحية أمه قائلاً:  
..وأنا أيضاً مامي..

حدثتهم ليينا وهي مندمجة باللعبة ونظرها مثبت عليها قائلة:  
..حسناً حسناً فهمت..

جواد:

..مامي هيا انهضي..

جاد:

..مامي هيا أنا جعت..

جواد:

..مامي أريد الذهاب للحمام..

جاد:

..مامي أريد أن ألعب في حديقة المنزل..

جواد:

..مامي خذينا أنت وبابا إلى الملاهي..

جاد:

..مامي خذينا أنت وبابا لنشتري الألعاب..

جواد:

..مامي تعالي العبي معنا..

جاد:

..مامي تعالي أنت وبابا لنلعب الغميضة..

وبغضب كبير وشعور سامي أن رأسه سينفجر من شدة وكثرة ثرثرة ولديه صرخ بهما قائلاً وهو يرمي بالقبضة:

..اللعة على بابي وعلى مامي وعليكما وعلى زوجي من والدتكما وعلى اللحظة التي قرر بها جدي أن يزوجني لئنجبكما أيها اللعينان، اصمتا!!!..

صمت عم بالمكان ولم يعد يسمع همسة واحدة .. رمت ليينا القبضة من يدها وناظرت زوجها بغضب وعبوس لأنها كثير من المرات قد حذرت سامي أن لا يتفوه بهذه الألفاظ أمام الطفلين .. غير ذلك ككل مرة يلعن لحظة زواجه منها يبدأ الموشح الآتي ..

..أها حسناً حسناً فهمنا، فهمنا أنك لا تطيقنا وتتمنى بعدنا عنك أنا وطفلاي..

لم يجيبها وظل ينظر لها بغضب لتردف هي بغضب أكبر:

..ليتك في ذلك اليوم طلقنتي، لما كنت استمعت لموشحك هذا ككل مرة..

نهضت بغضب وهي تحوم بالغرفة غير عالمة ماتفعله ليركضا الطفلين ما إن رأيا والدتهما تحوم بالغرفة ليخرجان من تحت السرير حقيبتان صغيرتان على حجميهما ..

لطالما كان سامي يتحدث بنفس الكلام كل مرة ولطالما حدث شجار معتاد لأجل كلامه ولطالما أيضاً كان هذا الشجار أمام الطفلين ..

تعجب سامي من فعلتهما وهو يراقبهما كيف يفتحان حقيبة كل منهما ليضعان ثياباً صغيرة لهما بعشوائية .. اقترب جواد ووقف أمام الخزانة الكبيرة ليقفز وهو يرفع يده وتخرج منه لهيئة خافتة وكأنه يفعل مجهود كبير لتقول له لينا:

.. ما الذي تفعله أيها الصغير ..

حدثها جواد بصوت طفولي:

.. هيا هيا تعالي وساعديني لألتقط حقبتك الكبيرة من فوق الخزانة هيا ..

عقدت حاجبها بتعجب وسامي أيضاً تعجب من موقفه لتسأله:

.. لماذا تريد الحقبة الكبيرة ولماذا أخرجت حقبتك أنت وأخاك ..

نفخ خديه بقلة صبر ليقول بصوت عال:

.. لكي نذهب إلى منزل جدي، أليس دائماً تقولين لبابا أنك ستأخذينا وتذهبين إلى منزل أهلك وتتركينه، حسناً والآن تشاجرتي معه وأنا وجاد نجهز أنفسنا لنذهب معك وتتركه، هيا تعالي وأعطني إياها ..

ثواني من الصمت والذهول قد اجتاح سامي ولينا وجاد ليس وكأنه هنا .. كل مايفعله هو أنه يهرول من هنا إلى هناك ليلتقط ثيابه الصغيرة ويضعها في حقبيته ..

انفجر سامي ولينا بالضحك لهذا الموقف الطريف وظلا مدة يضحكان أولاً للموقف وثانياً لحديثه وصوته الطفولي ..

تحدث سامي بضحك:

.. ااه ياربي ما هذا الهبل عند هذا المساء ..

ظلت لينا تضحك على الموقف وجواد واقف يناظرهما بعبوس ليقول:

.. هيا تعالي ..

اقترب سامي وحمل ابنه ليقبله من وجنته وكالعادة جواد يتذمر ليصرخ جاد ويهرول ناحية والده ليرفع يديه الصغيرتين كي يحمله والده .. وبالفعل لم يخيب ظنه وحمله وهو يناظر اثنيهما ويضحك عليهما ..

نظر سامي لـ لينا قائلاً:

..أتريدين أن نجلب لهما أختاً صغيرة يلاعبانها ويكفان عن التثرثرة أمامنا..

تخصورت أينا وامتعضت لتقول:

..أساساً كنت أريد أن أقول لك أنني حامل ولكن أنت نكدي وتحب الشجار..

شهق سامي بخفة وعيناه جاحظة تماماً كموقفه عندما علم بحملها الأول ليرمي ابنه على السرير ويتوجه ناحيتها ويحتضنها بقوة وهو يقول:

..سيصبحوا ثلاثة يا جالطتي، أقصد يافرحتي..

أبعده عنها وضربته على كتفه ليضحك عليها ويوجه كلامه لطفليه:

..هيا يا أولاد ماما ستجلب لكما فتاة صغيرة جميلة..

قفز جاد ليقول:

..لاااا، نريد اثنتان، واحدة لي وواحدة لجواد..

وافقه جواد الرأي لينظر سامي لزوجته ويغمز لها .. وما إن فهمت مقصده حتى قفزا اثنيهما على السرير وكل منهما التقط ولد ليبدأ بزغزغته وأصوات الضحك ملأت الغرفة وعمت بأرجاء البيت ..

"منذ أن رأيتك وأنا أسأل نفسي ..!؟"

أيُّ عملٍ صالحٍ ذاك الذي كان ثوابه أنتِ"

---

تطلعت إلى نفسها في المرأة بشرود وهي مرتدية قميص نوم قصير وبدون أكمام بلونه الأسود ضد بشرتها البيضاء ليعطيها منظراً جذاباً .. وضعت يدها على عنقها وهي تتحسس مكان الحرق وتسترجع بعينان دامعة تلك الذكرى اللعينة التي مرت بها ..

يوم رش الأسيدي مصعب عليها وقيل أن يصل إليه شادي ليمنعه .. كان يفصله لحظة في وقتها ليمنعه ولكنه لم يلحقه ليطير الأسيدي وتستقر عدة قطرات لا بأس بها على رقبتها وذلك ماجعلها تصرخ وتبكي في وقتها حينما شعرت بسخونة الأسيدي ومن ثم هربوا ثلاثتهم في يومها وآخر ما شعرت به هو وجود شادي قربها لتستيقظ في المستشفى وتعلم أن رقيبها تشوهت وسيظل أثر الحرق مرافقاً لها طوال حياتها ..

لم تستطع تقبل ما حدث وكثير من الأوقات كانت تفكر في الانتحار ولكنها تعود عن تلك الفكرة عندما كانت تتذكر مصعب ووجهه المشوه وضياع حياته ومستقبله .. فهي تبقى أخف ضرراً منه ..

عندها فقط شعرت بوجعه وشعرت بمدى حقه عليها وتوعده للانتقام منها ..

تذكر يومها كيف ظل شادي مسانداً لها وواقفاً بجانبها إلى أن تحسنت نفسيته قليلاً وبدأت تتقبل وضعها وعيبتها .. وفي يوم أتاها بخبره فقط شعرت بالارتياح عندما أخبرها شادي أن مصعب قد مات ..

فبعد أن خرجت جهاد من المستشفى استطاع ميسم ورجال الأمن والذي حدثهم شادي بكل شيء حدث أن يقبضوا على ثلاثتهم ويزجواهم في السجن ..

في وقتها حكم على مصعب بثلاثة سنوات سجن ولكن نزار ومازن حكم عليهما بسنة واحدة كون أنهما قد اشتركا مع مصعب بخطف جهاد ..

وعندما أخذوا أقوال جهاد وحققوا معها لم يتهمونها بشيء لأنها حدثتهم في يوم محاولة اعتدائه عليها كانت تدافع عن نفسها وتبعده عنها لذلك لم يسجنوها ولم يعاقبوها فهذا كان دفاعاً عن النفس ..

لم يستطع مصعب تحمل كل تلك الاتهامات وكل هذه الأمور التي مر بها .. هو من الأساس كان ينوي الانتحار لأنه لا يستطيع أن يعيش ويتأقلم مع شكله .. ولكنه كان منتظراً فقط ليأخذ حقه منها ويشوهها مثلما شوهته ومن ثم يقدم على الانتحار ..

نسي تماماً أنه من فعل بنفسه هكذا وأنه هو من أوصل نفسه إلى هذا الأمر ولم يحسب حساب تلك اللحظة ولم يقتنع بذلك الشيء ليفكر أيضاً بالخطأ غير مرتدعاً عنه ..

يوم محاكمتهم بكل أسى كان ينظر لهم شادي وبكل عتاب وحزن عليهم ولكن ماكان يستطيع تقديم أي مساعدة لهم ..

ظلوا ثلاثة أيام سوياً في السجن إلى أن سأم مصعب ولم يستطيع تحمل كل هذا العبا وأقدم على الانتحار ..

مضت السنة على نزار ومازن كأنها دهر أولاً لفقدانها مصعب وثانياً لما وصلا إليه ..

وما إن خرجا من السجن استطاع نزار التقدم إلى الأمام إلا مازن كان يفتقد شقيقه لأنه لم يكن له أحد سواه في هذه الدنيا .. ظل فترة يتردد إلى الطبيب نفسي .. لربما الطبيب لم يؤثر به بكلامه وتحفيزه ودروس السلوك التي كان يعطيه إياها كما أثرت والدته العاجزة عليه .. فهي لم يعد لها أحد سوى مازن وانفطر قلبها عندما علمت بموت ابنها ..

وهذا ماجعل مازن أقوى واستطاع التقدم إلى الأمام ولكن ذكر مصعب لم ينسى وطبعاً وجود نزار بين مازن ووالدته جعلهما يتجاوزان هذه المحنة قليلاً ويكملان الحياة ويتقبلانها ..

---

استفاقت من شرودها لتشعر بيدان تحاوطان خصرها وخطوط الدموع قد أخذت مجراها لتتظر لانعكاس شادي من المرأة .. ابتسم لها بدفئ قائلاً بحنو وهو يقبل عنقها مكان الحرق بالتحديد:

..والله أحبك كيفما كنتي، وأقبل عنك وتشوهك أينما كان ولو كان بوجهك حتى..

ابتسمت من بين دموعها لتستدير وتنظر له بعينان دامعة ونظرة الحب بانته في عينيها لتتقرب وتقبله من فمه قبلة سطحية .. ضحكت عندما رأت أحمر شفاهها ترك علامة على فمه لتمسحه بإبهامها وما إن لمست شفثيه حتى أغمض عينيته مبتسماً لتقول له:

..وأنا والله أحبك لأجل حنانك ورفقك بي، والآن فقط اقتنعت ورضيت وأشكر الله وأحمده على الظروف التي مررت بها لتجعلني أقابلك وأكون على اسمك..

بعينان تحمل كل الحب والشغف بها ابتسم لها باتساع قائلاً:

..ولن أرضى بالقليل، أريد الحب الكثير منك، أريد أن أكون أول وآخر شيء في قلبك وفي حياتك..

حركت رأسها بإيجاب وهي تمرر يدها على شعره الكثيف لتبعثره ويهمهم هو قائلاً:

..هااا تريدين اللعب أليس كذلك..

ضحكت وهي تحرك رأسها بإيجاب ليقول:

..حسناً ولكن لن نقفز كثيراً لأجل البيبي وبطنك المنتفخة هذه التي لا تحملك..

ضحكت وهي تضربه على كتفه ليقرصها من أذنها قاصداً إغاضتها .. فلطالما كانت تنغازب كثيراً من هذه الحركة لتصرخ ويهرب منها سريعاً وتلحق به بخطوات بطيئة خوفاً على الطفل الذي يتكون في بطنها والذي لم يتبقى له سوى ثلاثة أشهر ويرى هذه الدنيا وظلت أصوات ضحكاتها تغم في المنزل ..

هذه حياتهما يقضيانها بحلوهما ومرها .. بنفسية جهاد المتقلبة والتي تتجدد وتتغير بكثرة وصبر شادي وحنوه عليها ..

لم يقبل تركها عندما طلبت منه ذلك ولم يقبل بالابتعاد عندما طلبت منه قبل زواجه بها ..

ظل ملازماً لها وطلب منها الزواج كثيراً ولكنها كانت ترفض لهذه العلة التي بها .. كانت تخجل بنفسها .. تخجل من أن تتخذ هذه الخطوة وتقبل بالزواج منه وتقابل عائلته وتكون واحدة منها ..

تخجل من التجمعات .. تخجل من الجلوس مع أي شخص وكلما مشيت بالطريق أخفضت رأسها بعينان حزينة ووضعت يدها على عنقها مخفية ذلك الأثر .. لكن شادي لم ييأس .. لقد أعطاها بقدر ما أعطته .. كان شخصاً عجولاً يحب كل شيء أن يحدث بعجلة .. لا يستطيع الصبر ولكن إصراره عليها وطلبها للزواج مراراً وتكراراً جعلته يتعلم كيف يصبر ..

لطالما خسر الكثير من قلة الصبر والعجلة التي فيه .. حتى عندما خطب تلك الفتاة التي اختارها له جده كان يستطيع أن يحاول مرة واثنان وثلاث ليقتنعه بتركها ولكن من أول محاولة ترك كل شيء ونسي كل شيء قدمه له جده وعاد لمنزل أهله ..

أكملها وأكملته .. صبر عليها وحاولت هي أن تغير فيه العلل وبالفعل استطاعا .. تقدما ونسيا كل شيء .. حتى أنها شجعت لمصالحة جده وكان شرط جده ليرضى عليه هو أن يسكن معه هو وزوجته وبالفعل ظلا عنده ولهما سنتين متزوجان ويسكنان في منزل جده ..

واستطاعت جهاد أن تكسر حاجز خجلها من نقصها وانخرطت بالمجتمع وأصبحت تجالس كل عائلة شادي من دون أي خجل ولكن حزنها وخجلها الوحيد كان منه هو لتعلم فيما بعد أنه أحب نقصها والأمور السلبية التي بها قبل إيجابيتها وشخصيتها المرحية والرائعة التي كانت عليها قبل دخول مصعب إلى حياتها ..

"عينك لو تدرين ما عينك"

كونان لكن دونما أفلاك

هل تقبلين أعيش دمعاً فيهما ؟

وإذا بكيت تعيدي كفاكٍ !"

---

تطلعت عبر النافذة وقطرات المطر تنهمر بغزارة وهي تسترجع ذكرياتها السابقة .. ذكرياتها معه هو بالتحديد .. كيف أنه وطوال تلك السنوات لم تنسى كلمة مما قالها لها ولم تنسى موقف مرت به من خلاله ..

لقد أثر عليها بشكل كبير وبسبب تأثيره لم تستمر بزواجها .. زواجها الذي حدث بشكل تقليدي جداً .. فعندما عادت إلى منزل أهلها وتصالحت معهم بقيت لمدة سنة تقريباً عندهم .. تقدم لها الكثير لخطبتها ولكنها كانت ترفض ..

كانت منتظرة إياه ليعود ولم يعد .. منتظرة إزعاجه المستمر لها .. وحبه الذي يحاول أن يبرهنه لها .. وتهديداته وكل شيء .. انتظرت حتى ملت ..

وفقدت الأمل عندما علمت بما حل بزین وبأنه لم يكن ابن زياد .. كل هذه الأشياء علمت بها ولكن زياد لم يعلم أنها علمت بها .. أساساً هو لم يعلم أنها عادت إلى البلاد فقد كان مشغولاً في مصائبه ..

في وقتها فقط استجابت ووافقت على أول شاب يتقدم لها .. كان حسن الأخلاق يريد زوجة محبة وخلوقة وشهد كانت موجودة وكان معجباً بها جداً وتم النصيب ولكنه لم يستمر ..

ظلت سنتين برفقته وفي كل موقف وكل جلسة وكل كلمة كان الماضي بينها وبين زوجها .. لم تستطع التأقلم ولا التعايش ولا النسيان .. بقيت معلقة في حبال ذكريات الماضي وهذا ماجعل زواجها يفشل وتم الطلاق وعادت إلى أهلها ..

كما أنها طلبت أن لا أحد يعلم بعودتها ولا بطلاقها .. هي في الماضي وقبل زواجها كانت تنتظره ولكن الآن لا ..

نعم بسبب فشل زواجها وبسببه عاشت معاناة كبيرة وبسببه لم تعد تستطيع التعايش والتأقلم مع أي شيء .. ولكن زين ما إن علم بعودتها وبطلاقها حتى تجدد الأمل داخل قلبه وعاد ليطلبها ..

رأى الصد منها كثيراً والرفض القاطع والحاسم .. أتعبته كثيراً .. سنة ونصف وهو يأتي ويروح فقط لتغفر له وتقبل به .. هي لم تكن مشكلتها زين بقدر ماكانت مشكلتها زياد ..

فزياد ظل قابعاً في ذاكرتها حتى عند زوجها فلماذا تعيد نفس الخطأ وتتزوج زين وتظل تفكر بزياد ..

كان الأحسن لها أن تبقى دون زواج ولكن زين ظل ملازماً لها ومحاولاً معها حتى وأخيراً اقتنعت .. وعدها بالكثير من الأشياء وأولها أن ينسيها كل شيء ليبدأ من جديد .. وعدها أنه سيجعلها تحبه من جديد .. أن تتعلق به من جديد وتسلمه قلبها بكل أريحية ..

ماكر هو كآبئه تماماً .. صحيح ليس من صلب زياد ولكنه تربيته .. أخذ طباعه وشخصيته وكلامه وغضبه ومكره وتصرفاته .. حتى طريقة حبه أخذها منه أو بالأصح تعلمها منه ومارسها على شهد لترضى بهذا الحب ولكنها لم تبادله ..

تعاشيت ورضيت ولكنها لم تبادله .. فشيء ما جعلها تقفل على قلبها وتحكم إغلاقه ولا تعلم ما هو .. أعجبت بطريقة حب زين وامتلاكه وإصراره عليها .. أحببت وتذكرت .. خائنة نعم ولكن بعد كل ما مر عليها اعتبرت نفسها ورقة رابحة ومن يقدم الآن عليها وعلى حبه ويدعها تتقبله يكسبها مدى الحياة .. وزين فلاح في هذا الشيء ..

ولربما حزنها عليه ولما مر به من كذب وخداع طوال تلك السنوات جعلها توافق عليه لتسانده أيضاً .. حمقاء هي فقد مزجت بين حياتها ومصيرها بزين وتعاطفها معه .. ولكنها مرتاحة .. مرتاحة ومطمئنة وسعيدة ..

فزين لم يخيب ظنها عندما وعدها أنه سيسعى جاهداً لتحبه وتطمئن له .. وهي الآن مطمئنة فقط دون حب .. والأصعب أن لا يوجد حب ومشاعر في الحياة الزوجية ..

ولكن حب زين لربما يكفي اثنيهما ليستمران في هذا الزواج الذي أتى بعد صعوبات عدة ..

دخل عليها بابتسامة ليتقدم ناحيتها وتبتسم له ويقبلها من جبينها ليقول:

..كيف حالها حبيبتي اليوم..

شهد بابتسامة:

..بخير، كيف كان العمل..

-تمام، كل شيء على مايرام..

همهت له بابتسامة لتقول:

..حسناً سأذهب لأحضر الغداء، والديك لم يقبل أن يأكلان إلا عندما تأتي..

ابتسم وحرك رأسه بإيجاب لتتوجه هي ناحية المطبخ وتحضر الغداء .. بينما زين بدل ملابسه وتوجه ليجلس مع والديه جهاد ومنى .. ذلكا الأبوين البسيطين واللذان يعيشان في منزل متواضع وبسيط ..

يوم علم زين بالحقيقة خرج من المنزل نعم ولكنه لم يذهب لهما .. أساساً هو لا يعرفهما ولا يعرف لهما طريق .. ولكن تدخل حسام بالأمر وتواصله معه ليأتي ويحدث والدته نجوى جعله يعلم كل شيء عن والديه ويعلم كيف وصل إلى زياد ..

في يومها زين كان ليس مقتنعاً تماماً بالحقيقة وزياد أيضاً ظل ينكر إلى أن استفاقت سلمى وتحسنت قليلاً من مرضها وحكت له كل شيء ..

ومنذ ذلك اليوم هجر والديه المزيفان وعادت سلمى وانتكست لتعاود الدخول والخروج من مستشفى إلى مستشفى ..

قسي عليهما نعم ولكنهما ظلا مبقيانه في كذبة طوال الأربع وعشرين سنة .. نسي سهرهما وتعبهما عليه .. نسي التربية الصالحة التي ربياه عليها .. نسي كل شيء وكل لحظة جميلة وكل لمسة حنان دافئة ولحق ذلك السبب .. الكذبة .. الخدعة .. اللتان عاش بهما طوال فترة بقائه في منزلها وقسي .. نعم قسي كثيراً ..

وفي وقتها عاد إلى والديه .. اقتنع أنه لم يكن ابناً لهما وإنما كان يعيش مع من اختطفه من حضن أبويه .. عاد إلى والدته التي باتت شبه ضريرة والتي ما انفكت عن ذكره طوال السنوات التي فقدته بها ولم تباأس من يوم يأتي ويدخل عليها .. نعم هذا قلب الأم وكانت متيقنة أنه لم يموت ولم يحدث له شيء ولم تقطع الأمل من عودته وايقنت أنه سيعود لها في يوم من الأيام ..

لقاء يفطر القلوب تلاه صرخات وبكاء ودموع اشتياق وقهر في تلك اللحظة .. ليبقى زين معهما ويحظى بالحنان المفرط والخوف الدائم عليه من فكرة خسارانه مجدداً ..

كان كلما يخرج أمه تؤكد عليه للمرة المائة أن يعود سريعاً .. أن ينتبه لنفسه .. أن لا يتأخر .. كل هذه الأقاويل كانت تجعل زين يتعلق بها كثيراً ويقسو على زياد وسلمى أكثر ..

امرأة كمنى في عمر لم تتم الخمسين بعد ومن يراها يقول أنها في السبعينات لشدة حزنها ومقاساة العذاب التي عانتها وعاشته ليعود لها ابنها .. ووالد زين ذلك الرجل البسيط الذي فقد الأمل من رجوع ابنه .. شعور العجز والبؤس لعدم ملاقة ابنه جعله يفقد أمله من عودة زين ..

منزلهما كان يشوبه الظلام والحزن والبؤس ولكن الآن فقد أنيرت حياة هذين الأبوين بعود ابنهما إلى أحضانها

..

ومع أن زياد وسلمى أخذوا زين والذي لم يكن من حقيهما إلا أن منى والدة زين كانت تحب عليهما ليذهب ويراها ولكن هو كان يغضب لسماح سيرتهما وما إن يغضب حتى تخاف منى وتبدأ بمسايرته وبموافقته الرأي فقط حتى لا تخسره ..

فعلياً هو لا ينوي تركهما أبداً ولكن خوفهما قائم من خسارته وعودته لسلمى وزياد ..

اجتمعت هذه العائلة الصغيرة حول المائدة لتبتسم منى باتساع وتقول:

..يا إلهي كم أنني فرحة ومطمئنة القلب..

ابتسم كل من جهاد وزين وشهد لكلامها وباشروا بالطعام ولتبدأ منى بإطعام زين بنفسها .. منذ خمس سنوات وهو معها وإلى الآن تطعمه بيدها .. مدت يدها بلقمة لتقول لزين:

..كُل يا عزيز أمك..

ابتسم لها زين باتساع ليأكل اللقمة من يدها وتظهر منى لشهد التي ابتسمت لهذا الموقف المتكرر وتمد يدها لها بلقمة قائلة:

..وأنتِ كُلِي هذه من يدي يا زوجة الغالي..

ضحكت لتأكل اللقمة من يدها وجهاد يبتسم لهم بحنو وقلبه منشرح ومرتاح لهذه الجمعة اللطيفة ..

---

في غرفة زين البسيطة والمرتبطة والتي أشرف على تجهيزها بجميع الأثاث والد زين وهو فرح ومسرور عندما علم أنه ينوي إعادة شهد له ..

كان زين وشهد جالسان على السرير يتبادلان أطراف الحديث إلى أن حدثته شهد بشيء مهم:

..ألا تنوي الذهاب لرؤية أمك..

بملاح منكمشة ومنزعة أجاها:

..لا أريدك أن تفتحي هذا الموضوع بعد الآن رجاء..

بأسلوبها العاقل وحنيتها التي لم تزلها السنين حدثته:

..حبيبي أنت يجب أن تذهب لرؤيتهما، الله أعلم ما الذي سيكون قد حل بعمتي سلمى على فراقك، خمس سنوات ألم تحن بعد..

تنهد بضيق ليشيخ بوجهه عنها مخفياً حنينه واشتياقه لهما .. أجل هو تركهما وقسي عليهما ولكن تأتيه أوقات يحن لهما ويشتاقيهما أيضاً ..

نظر لها ببرود قائلاً:

..إن رأيتهما سيطلبان مني المكوث معهما وأنا سأضعف أمام أمي ولن أستطيع رفض طلبها وبنفس الوقت أمي منى ستحزن كثيراً، هي متعلقة بي جداً وأنا لن أستطيع تركها هي ووالدي..

اعتدلت شهد بجلستها وهي تبتسم باتساع..

..الأمر محلول، نذهب أنا وأنت ووالديك ونعيش معهما..

قالتها بضحك ليضحك عليها قائلاً:

..كم أنت بلهاء..

-حسناً، فقط اذهب وقابلهما زيني، لا يجب أن تقطعهما، بالنهاية هما من ربياك وتعبا عليك جداً، غير ذلك أنت يجب أن تسمع كلام والدتك وإلا ستحزن منك..

ابتسم بحزن مجيباً:

..وما الذي جعلني أقسو وأجافيهما غير عينان أمي التي بانّت لا ترى بهما بوضوح..

-أمك راضية عنك وأنت أنرت عتمة عيناها برجوعك، لا أظن أنها تريد أكثر من ذلك لتتعافى مما هي عليه، فقط اذهب وقابلهما..

حرك رأسه بإيجاب ليجيب:

..سنرى..

"إن غبت عن قلبي فيا ضيعتي

من أين للمصدر بقلبٍ بديل"

دخل إلى المنزل ليتعجب من الهدوء التام الذي به .. فعادة كلما دخل تستقبله والدته على الباب ويرى وجهها أول الناس .. هذه المرة كانت غير ..

عقد حاجبيه بتعجب ليدخل إلى الصالة بهدوء وما إن دخل حتى ابتلع ريقه وازدادت ضربات قلبه العنيفة ..

بعينان دامعة وقلب ملتهب ومنفطر توجهت ناحيته سلمى لتحضنه بقوة وهي تشهق وتبكي .. لم يستطع أن لا يبادلها الحزن ففوق كل شيء هو حقاً اشتاق لها ولحضنها الدافئ والحنون .. ليبادلها الحزن مغمضاً عيناه براحة تامة ..

ابتعدت عنه بعد ثواني لتقول بصوت مختنق ووجه باكي:

.. أرجوك لا تحرمي منك، أنا متعبة جداً، متعبة ولا أعلم متى سأموت، لربما اقترب يومي بني، لا تحرمي منك في أيامي المتبقية أرجوك..

عقد حاجبيه بحزن واستياء وعيناه ترقرت بالدموع ليحرك رأسه رافضاً وعيناه مرتابة من هذه الفكرة ليعاود احتضانها بقوة وهو يدفن وجهه بعنقها ودموعه قد أخذت مجراها ليستاء كل من كان حاضراً هذا المشهد وأولهم زياد ..

ابتعد عنها بعد دقيقة لينظر لوالده بعينان دامعة ووجه باسماً مقترباً منه ومحتضناً إياه بقوة وزياد يشتم عبق رائحته باشتياق بالغ .. لم يستطع إبعاده علماً أنه أخذ مايكفيه وأشبع نفسه من احتضانه ولكنه لم يبتعد عنه ..

ظل محتضناً إياه إلى أن تدخلت سلمى قائلة ببكاء:

..ابتعد عن ابني، اترك لي حصة يارجل..

أبعده عنه ليبتسم له ويبتسم زين باتساع ليعاود احتضانها مجدداً وتشعر منى بضربات قلبها العنيفة وخوفها الزائد وغيرها على ابنها .. لا تعلم لما شعرت بالخوف عندما سمعت كلمة سلمى وبدأت تشعر بالقلق ..

حممت لتتدخل وتقول:

..ارتاحي سيدتي، تفضلي..

نظرت لها سلمى بابتسامة وعينان دامعة لتحرك رأسها موافقة وتمسك زين من يده وتجلسه بجانبها وتلصقه بها أيضاً ..

جهاد كان متابعاً كل شيء بابتسامة حزينة .. لم يستطع رفض استقبالهما خصوصاً عندما علم بحالة سلمى ومرضاها وحالتها التي وصلت إليها منذ ابتعاد زين عنها ..

نعم احترم أنهما يبقيان هما من ربيا ابنه وتعبا عليه ولكن يبقى شيء في القلب يحرقه ويذيبه ومع كل ذلك يشعر أنه مجبر على الصمت فقط لسعادة ابنه .. فهو قد تخيل كم أن زين سيفرح عندما يراها ولكن خوفه كان من أن يقنعانه للعودة معهما ..

..اشتقت لكِ أمي..

استفاق من شروده على صوت زين وهو يحدث سلمى لينظر لزوجته التي بدى على ملامحها القلق والخوف ليبتسم لها باطمئنان ويضع يده على يدها مطبباً عليها ومحركاً رأسه بإيجاب أي معناه (لا تقلقي) ..

ابتسمت سلمى باتساع قائلة:

..وأنا أيضاً ياروح أمك..

اتسعت ابتسامته لتضحك شهد وتقول:

..يا سلام، كل الأولاد لهم أم واحدة إلا زوجي لديه أمهتان..

ضحكوا جميعهم ماعدى زياد فقد نظر لها بابتسامة حزينة لتشعر بنظراته التي تخترقها ولكنها أخفضت رأسها بتوتر ولم تنظر له أبداً .. عيناه حكمت لها الكثير ولكنها لم تنظر كي لا تقرأ .. لم يكذب حينما قال لسامح ذات مرة أنه تكفيه نظرة من عيناها لتستيقظ كل خلايا جسده .. نظرة واحدة قادرة أن تحيي وتميت كل الأشياء بداخله ..

لقد تفاجأ كثيراً عندما علم أنها تطلقت من زوجها وتزوجت زين بعده .. الآن حقاً تيقن كيف أن القدر قد أغلق بابه في وجهه ..

تحدثت سلمى بابتسامة متألمة:

..بني ألن تأتي معي لتعتني بي..

ابتسم زين بتوتر وهو ينظر لوالدته منى بطرف عينه قائلاً:

..أمي سنتحدث في هذا الأمر فيما بعد..

عقدت حاجبيها بحزن ومنى بدت على ملامحها القلق لتبتلع ريقها بصعوبة مخافة من أن يأخذوا ابنها مجدداً  
ولكن جملة زوجها أراحتها عندما قال:

..عذراً سيدتي ولكن ابني لن يخرج من منزلي، أنا أتمنى لك الشفاء العاجل وموكد زين سيأتي إليك كل يوم  
ليطمئن عليك ولكن لن يعود للسكن معكما..

نظرت له بحزن ومن ثم ناظرت زين بحزن أكبر لتخفض رأسها وتقول:

..أجل معك حق، فغيركم من الآباء والأمهات ماكانا سيقبلان باستقبالنا حتى، هذا كرم أخلاق منكما أنكما  
سمحتما لنا برؤية زين..

تحدث زين بسرعة محاولاً مداراة الأمر:

..لا لا ليس هذا القصد أمي، أبي يقصد أن أمي منى أيضاً مريضة وليس عندها أحد ليعتني بها ولكن أنتِ لديكِ  
الخدمة وعندما تحتاجين شيء ستلبينك..

أجابته بلهفة:

..حسناً أستطيع أن أجلب لها خادمة لكي تعتني بها وممرضة أيضاً وغير ذلك والدك زياد لن يبقيهما هنا  
سيشتري لهما منزل كبير وكل شيء يحتاجونهما سيكون عندهما، أنت فقط ابقى عندي بني..

تحدثت منى ببرود:

..لن تشترينا بأموال زوجك ياسلمى هانم، ابني سيظل معي ولن يبعده عني أي شخص، وكما قلت غيرنا من  
آباء وأمهات لا يقبلان استقبالكما حتى، ولكن نحن فعلنا هكذا لأجل ابني، ابن بطني..

أنهت جملتها مشددة على حروفها لتشعر سلمى بسخونة في جسدها وتهب واقفة وتقول:

..لا أنتِ لن تحرميني من ابني، لا أنتِ ولا زوجك..

نهضت منى بعنف وهنا أخرجت كل ما في قلبها من قهر ووجع سنين قائلة:

.. ليس ابنك هذا أولاً، ثانياً لو أن زوجك منذ سنوات طوال لم يختطف ابني لما كنتي عرفتي زين أصلاً، كنت أنزع أمام عينيه في المستشفى ولم ترف له عين وفوق كل هذا تأتين الآن وتقولين ابني، لا ليس ابنك، إنه ابني و لي وحدي أسمعين..

نهض زياد ليمسك سلمى التي كادت أن تسقط ودموعها قد أخذت مجراها ليمسكها زين أيضاً وعيناه بها اللهفة ..

شعرت منى بتأنيب الضمير عليها وهبطت دموعها لتقول بصوت باكي:  
.. آسفة سيدتي ولكن لم أستطع تمالك نفسي، اعذريني..

نظرت لها سلمى ودموعها أيضاً تأخذ مجراها لتحرك رأسها بنفي أي (لا عليك) ليقول لها زياد:  
.. هيا سلمى دعينا نذهب..

حدثهما زين:

.. أبي لا تذهبا الآن ابقيا قليلاً..

ابتسم له زياد بدفئ قائلاً:

..متى ما أردت تعال إلينا بني، نحن اشتقنا لك..

ونظر إلى شهد ليكمل جملته بنظرات حزينة:

..اشتقنا لك كثيراً..

أخفضت رأسها فوراً وتجاهلته وبدأت تفرك بأصابعها بتوتر لتقول سلمى بنظرة أمل:

..تعال إلي اتفقنا، لا تقسو علي مجدداً بني..

ابتسم لها بحزن ليقبل رأسها ويقول:

..وهل أستطيع أن أقسو بعد الآن أمي، أعدك أن آتي إليك..

ابتسمت له مطمئنة لتخرج مع زياد والذي نظر لشهد بشغف وابتسامة منكسرة وكأنها المرة الأخيرة التي يراها بها ليخرجان من المنزل وزين ورائهما ..

---

لقد طُرحت عدة أفكار من أجل حل مشكلة زين وإقامته عند والديه ولكنهم لم يصلوا لنتيجة .. فهو لا يستطيع أن يترك والديه ويذهب ليعيش مع زياد وسلمى ولا يستطيع أيضاً أن يحزن زياد وسلمى منه لذلك قرر وأخيراً أن يذهب كل يوم جمعة وينام عندهما ..

وبعد الكثير من المداولات والأحاديث والإقناع من قبل زين لوالديه وافقا أن ينام عند سلمى وزياد فقط يوم واحد وأيضاً شهد وافقته الرأي ولكنها أبدأ لم تحبذ فكرة أن تذهب معه في كل يوم جمعة وتنام في منزل زياد .. وقد بررت على أنها لن تترك منى وجهاد بمفردهما وقد اقتنع زين بتبريرها ..

نعم لم يحدث اتفاق بين العائلتين أبدأ فمنى وجهاد مازالا يحملان الكثير في قلوبهما على زياد وسلمى وبصراحة معهما حق .. كل هذه السنوات العديدة كانا سبباً في إبعاد زين عنهما فهذا ليس بالشيء اليسير والسهل ليغتنفر ..

لذلك وجد زين أن تجنب بعضهما أفضل حل وعلاقته بوالديه الحقيقيين ستفصل تماماً عن علاقته بسلمى وزياد ومرت عدة أشهر وهما على هذا الحال والوضع مستقر ولا يوجد أي مشاكل ..

---

رن جرس الباب لتفتح الباب بتعجب فليس من العادة أن يأتيهما أحد لتفتح وترى شاب أمامها قائلاً:  
..مساء الخير سيدتي، هل أنتِ المدام شهد..

هممت له بإيجاب قائلة:

..نعم، من تكون! وماذا تريد..

ابتسم قائلاً:

..أنا من طرف السيد زياد..

ابتلعت ريقها بصعوبة وازدادت طرقات قلبها ليرد لها:

..تفضلي هذه أمانة منه، أخبرني أن أسلمك إياها باليد، والآن عن إذنك..

أعطاها صندوق بحجم متوسط ورحل لتشكره بخفوت وتغلق الباب بهدوء وهي تنتظر للصندوق بتعجب وحزن لتسمع صوت منى من الداخل:

..من عالباب ياشهد..

جفلت شهد لتجيب بصوت عالي:

..لا أعلم أمي، لم أرى أحداً، لربما أحد الأطفال قد دق الباب وهرب..

أجابت منى:

..حسناً بنيتي، هيا اذهبي وجهزي الغداء سيأتي زين بعد قليل..

ردت عليها بالإيجاب لتتوجه إلى غرفتها فوراً بقلب مضطرب وتغلق الباب ورائها وتفتح الصندوق بيدين مرتجفة وتجد فيه عدة صور لها .. تعجبت من فعلته لتتنظر إلى باقي محتويات الصندوق وتجد ورقة بيضاء مطوية ومن ثم كتاب متوسط الحجم ..

انتابها الفضول حوله لتمسكه وتفتح أول صفحاته وقد كان مدون عليه:

..صغيرتي.. حبيبتي.. معذبتني.. مرهقة قلبي.. جنتي.. دنياي.. شهدي..

ابتسمت لكتابته ومن ثم قلبت الصفحة لتقرأ المحتوى:

..لو جننتي لوجدتني سحبا تراكم دمعها ويكاد يهطل في ثنايا أحرفي .. لو جننتي لوجدتني يعقوب أعمام الفراق وليس غيرك يوسف ..

ترقرقت عيناها بالدموع عندما قرأت هذه الجملة لتقلب بصفحات هذا الكتاب وتقرأ كل ما يحتويه بفضول وبيين كل صفحة و صفحة تهبط دموعها ويبدأ قلبها الخفقان أكثر من ذي قبل ..

إلى أن وصلت إلى آخر الصفحات لتقرأ محتواها:

..دعيني أسألك للمرة الأخير : كيف حالك!.. كيف حال العسلي في عينيك!.. أما زال فاتناً كأخر مرة رأيتك فيها!..

كيف هو الكحل على جفنيك!.. أما زال له تأثير البنج!.. فقد كنت أتخدر كلما رأيتك يحيط بعينيك .. كيف هو الثلج الأبيض في خديك!.. أما زال ناعماً كأخر مرة مررت أصابعي عليه!..

كيف هو القرنفل الأحمر في شفتيك!.. أمازال دافئاً كأخـر عهدي به .. كيف حاجبيك!.. أمازالا أنيقين كما كانا  
دوماً!..

وكيف هي الخدوش الصغيرة في يديك!.. أتذكرين كيف كنت أقبلك منها لتشفى!.. وكيف أنت؟ أنت كلك  
كيف؟!..

دعيني أسألك عن زين .. هل يحسن تقبيلك!.. وهل يحسن أيضاً اغتصاب أنفاسك!.. هل يعرف هذا الأبله شيئاً  
عن كتبك المفضلة! .. وهل يستيقظ من نومه كي يقول لك حكاية لتنامي بعدما أصابك الأرق!.. هل سيظل لأكثر  
من شهر لا يفقد الأمل بقلبك أم سيبيدي عليك سلعة أخرى!..

هل يعرف العزف داخلك أم لا يعرف العزف إلا على نهديك!.. هل سيهدأ من روعك إن خفتي من فيلم رعب أم  
سيثير خوفك سخريته!.. هل يعرف عطرك المفضل؟ وردتك المفضلة؟ كاتبك المفضل؟ هل يسألك عن حلم الأم  
فيك؟ أم سيسمي أبناءه على اسم والديه؟ هل سيغير شيء من طريقه إذا لم يتقاطع بعينيك؟ هل يعرف كيف  
تحبين أن يناديك؟ هل يعرف حلمك الحر؟

أخبريني ما الذي يعرفه عنك! وما المنفعة التي تأتيك منه! اتركه وتعالى إلي .. تعالى لأحول دموعي دماً  
لأجلك .. تعالى لأعطيك نبضات قلبي مايكفيك .. تعالى فروحي مسها أرق و عيوني باتت ضريبة عن غيرك  
وقلبي أشعر أن شخصاً ما داخله يقضم منه ليشبع جوعه ..

دموعها لم تتوقف عن الذرف لتتصفح الكتاب وتقرأ كلمات في منتصف الكتاب كانت قد لفتت نظرها:  
..تذكري بربك ياشهد.. آخر وعد أنى سأنسى كل الذي بيننا وعهد الله أن أنسى أنى وعدتك هذا الوعد..

أجهشت بالبكاء عندما انتهت من قراءة كل ما يحتويه هذا الكتاب لتمسك الورقة المطوية وتقرأ محتواها:  
شهدي .. ما إن كتبت اسمك ابتسمت لوحدي أتصدقين!

اشتقت لك .. شوقي لك لا تسعه بحور ولا بلدان ولا أرض ولا سماء .. يا الله كم كنت أتمنى لو أحتضنك يوم  
أتيت أنا وسلمى إليكما .. أشتاق لك بشدة .. ااااه لو تعلمين ما الذي يحدث لي الآن وأنا أكتب لك هذه الكلمات ..

بصراحة لا أعلم من أين أبدأ .. ولكن قبل كل شيء أتمنى أن تعجبك كتاباتي الموجودة في الكتاب .. كتبتها لك  
طوال الخمس سنوات التي غبتها عني ..

أتذكرين جنتي الثانية .. لقد أحرقتها .. أحرقتها بكل ماتحتويه .. ماعدت أستطيع الدخول إليها والاختلاء بنفسى  
فيها كلما اشتقت لك .. أصبحت أهرب إلى الكتابة لأجلك .. هكذا أستطيع أن أعطيك حقل أكثر ..

سأبتعد .. سترتاحين من شخص اسمه زياد .. ولكنني سأعود .. أتعلمين متى سأعود .. حالما أنتهي من شيء اسمه شهد تمشي بدمي وبعروقي .. عندما أنساك أو عندما أعلم أنني أستطيع أن أسيطر على نفسي عند رؤيتك سأعود ..

عندما يصلك الصندوق بكل ما يحويه اعلمي أن الطائرة ستكون قد أقلعت وطارت بي بعيداً إلى بلاد الغربة .. البلاد التي ستسنيني إياك أو ستجعلني أتحكم بنفسي عندما أراك ..

فلتنتبهني لنفسك جيداً وكوني زوجة مطيعة لابني .. هو يحبك كثيراً ولطالما حكى لي الكثير عنك وعن حياتكما الهادئة التي قضيتانها منذ عودتكما لبعضكما ..

فرحت .. أجل فرحت عندما علمت أنك مرتاحة معه ومتقبلة كل شيء .. لا أتمنى الآن سوى سعادتك وفرحتك أنتِ وابني ..

لا أعلم إلى متى سيكون الغياب .. لربما سنة لربما سنتان لربما ثلاثة لربما لشهر فقط لربما أكثر أقل الله أعلم .. كل ما أعلمه أنني سأرحل لأرتاح وأهناً قليلاً ..

لا .. لستي أنتِ من تسبب تعاستي ووجعي على العكس .. أنتِ كنتي الدواء لشفائي كنتي الأجل والأحلى في حياتي ولكنني تعبت .. حتى من حبي لكِ تعبت .. أشعر أنني أصبحت عاجزاً بما يكفي لأستمر بهذا الحب .. أريد أن أجد نفسي التي أضعتها في حبكِ ..

كنت أقول أنني سأحبك لأتوهج .. لأشع .. لأضيء .. لأمسك بالمعرفة والفن .. ولكن الآن صدقاً تعبت .. روحي ممزقة وقلبي احترق .. خنت العهد .. أجل شهدي ولكن الحب يبقى كما هو ولا يتغير .. ذهبت أنا وابتعدت ومللت وسأمت وشتمت وبكيت وصرخت ولكن الحب باقٍ على ما هو ..

لا لن أتخلى عن حبكِ لإنني إن تخليت عنه سأصبح رجلاً بشع جداً .. أنتِ كنتي الأجل في حياتي وستبقين الأجل وستبقين الأنظف أيضاً .. أتذكرين مرة قلت لكِ أن النهاية حتماً ستكون بين يديكِ !.. ها أنا بين يديكِ الآن .. بكتاباتي وأوراقٍ وخطي المبعثر وروحي الموجودة في الكلمات والتي أقولها لكِ .. أكتب نهايتي لكِ وأنا بين يديكِ ..

لا أريدك أن تحزني ولا أريدك أن تبكين .. أنا أعلم أنك تبكين الآن .. فلتمسحي دموعكِ وتتقدمين بحياتكِ حبيبتي .. عيشي حياتكِ بسعادة .. بفرح .. بأمل ..

وإن كنتي ستسأليني عن صورتكِ لماذا بعثتهم لكِ فسأقول أنني لا أريد أي صور لكِ طالما صورتكِ قابعة في ذاكرتي ولن تمحي أبداً .. أنتِ ملازمة لي في كل مكان وفي كل زمان ..

اعتني بنفسك جيداً وبحملك .. أنا لم أعلم ما جنس المولود ولكن أتمنى أن يكون فتاة تشبهك بكل تفاصيلك وكل تصرفاتك ..

سأختم كلماتي وأقول لك أحبك .. أعشقتك .. أهواك .. وسأحبي لأحبك حتى لو كان حبك يتعبني ويرهق قلبي ..  
أحبك شهدي ..  
زياد ....

بقلب منفرط وعينان باكية لم تتوقف احتضنت تلك الورقة وهي تجهش بالبكاء .. بكاء على الماضي وبكاء على الحاضر وبكاء عليه هو ..

لم تستطع إكمال حزنها وبؤسها وبكائها فقد سمعت جرس الباب لتمسح دموعها بسرعة فقد علمت أن زين قد أتى لتمسك الصندوق وتغلقه وتخفيه فوراً ..

توجهت فوراً لتفتح الباب والصدمة أنها رأت سلمى وزين وزياد أمامها مبتسمين لها .. لم يخطر في بالها أي شيء سوى أن الصندوق لربما بُعث من غيره أو أنه خدعة .. عقلها توقف تماماً عن العمل وظلت تحمق بهم بذهول تام ليتعجب زين ويقول:

..مابك شهدي هيا أفسحي الطريق لوالداي..

دخل زين وهو يدعو والديه ليدخلان ودخلت سلمى فوراً ورائه لتقول لشهد:

..جننا لربما نستطيع أن نعيد وصل حبال الود بيننا وبين أهل ابني، لربما يسمحان لنا أن يبقىان زين عندنا ثلاثة أيام وعندهما أربعة أيام، هذا عادل أليس كذلك..

وقبل أن تسمع جوابها بابتسامتها الواسعة دخلت فوراً ليدخل ورائها زياد وهو يناظرها بابتسامة وصلت لعيناه وواضعاً يديه في جيوبه ليقول:

..مابك..

لم تستطع التحدث من شدة ذهولها لبيتسم ابتسامة جانبية ويقول:

..زياد العاشق سافر بالفعل، وزياد عمك ووالد زوجك بقي، ألن تستقبلين عمك يافتاة..

عقدت حاجبيها بتعجب كبير وهي تحرك رأسها بمعنى (ماذا) لتقول بعينان حزينة:  
..وحبك الذي حدثتني عنه..

ابتسم مجيباً:

..ذهب مع زياد وأنت ستسنيه..

-كيف..

قرب وجهه من وجهها ليقول بهمس وهو رافعاً حاجبيه:  
..زين سينسيكي، سيكون زياد الثاني..

غمز لها بأخر جملته لتعقد حاجبيها بعدم فهم وابتسم لها قائلاً:  
..بطنك المنتفخة تضحكني، تشبهين البالونة..

عبست بوجهها وتذمرت ليضحك عليها ويدخل ليستقبلانه جهاد ومنى بابتسامة خفيفة .. وبعد الكثير من  
الأحاديث المعتادة تحدثت منى بحماس:

..شهد ذهبت إلى الطيبة اليوم وعلمت ماجنس المولود..

التمعت عيون الجميع بالحماس لتقول منى بعد ثواني:  
..سيأتيان توأم ولدان..

تعالت الضحكات والمباركات وزين قفز من فرحته ليقول هو ومنى وسلمى بصوت واحد:  
..إذا زياد وجهاد..

ضحك الجميع وأخفضت شهد رأسها بخجل ليقول زياد:  
..وأنا أقول لما بطنها منتفخة أكثر من المعتاد، ألم أقل لك بالونة..

انفجر الجميع ضاحكاً على جملته لتحمر هي خجلاً وتتذمر من حديثه ليعاودوا الضحك عليها مجدداً ..

ناظرته بوجه باسم ليبادلها بابتسامة خفيفة .. هذا الرجل الذي أسمته المنفصم وبعده شخصيات حقاً يشعرها دائماً بالذهول .. عندما يمارس دور العاشق فإنه يتقنه بشدة وعندما يمارس دور والد الأب والعم فيتقنه أيضاً بتأني ..

ولكن أظن أنه سيظل بعد الآن ممارساً دور العم فقط ودور العاشق هذا سيكون بينه وبين نفسه .. يستطيع أن يخفيه .. بعد العديد من المحاولات وبعد أن جعله يسافر يستطيع إخفائه بكل إتقان ولكن أقولها دوماً نظرة العاشق تظهر على الشخص ولو تلبس بمائة شخصية وأتقن مائة دور سيبقى زياد يحب زوجة ابنه ...

الحب لا يمكن أن يشيخ أبداً .. قد تفقد الأفعال لونها الذهبي .. قد تتلاشى نضارة الخدود .. ولكن القلوب المحبة سوف تعرف أنه لا صقيع الشتاء وبرده يؤثر فيها بل دفء الصيف لا يزال فيها ..

هوى والعشوقُ نبيذٌ صُنبَ في امرئٍ حتى طَفَحَ وبارى

تُسقى فيه من عيناً تسمى . . عقاراً !

ولذلك ترى العاشقين سُكارى وما هم سُكارى !

خائضين في أخيلةٍ تتمخض عن تلاقٍ به الأعمارا .

تحسبهم من شدة ألهيام في معزلٍ ليس لهم في الأرض قربي ولا جاراً !

والعشق إن دخلَ قلباً جعل أعزة أهله أذلةً . . صغاراً !. وسكارى ..

النهاية

تمت بإذن الله

---